الجمهوريّة الجزائريّة الديمقراطيّة الشّعبيّة

وزارة التّعليم العالـي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد- تلمسان



كليّة الآداب واللّغات

قسم اللّغة العربية وآدابها

رسالة مقدّمة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب المغربي القديم بعنوان:

# غرض الزهد في المغرب العربي من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن التاسع الهجري

**إعداد الطّالب:**

عكرمي عبد القادر

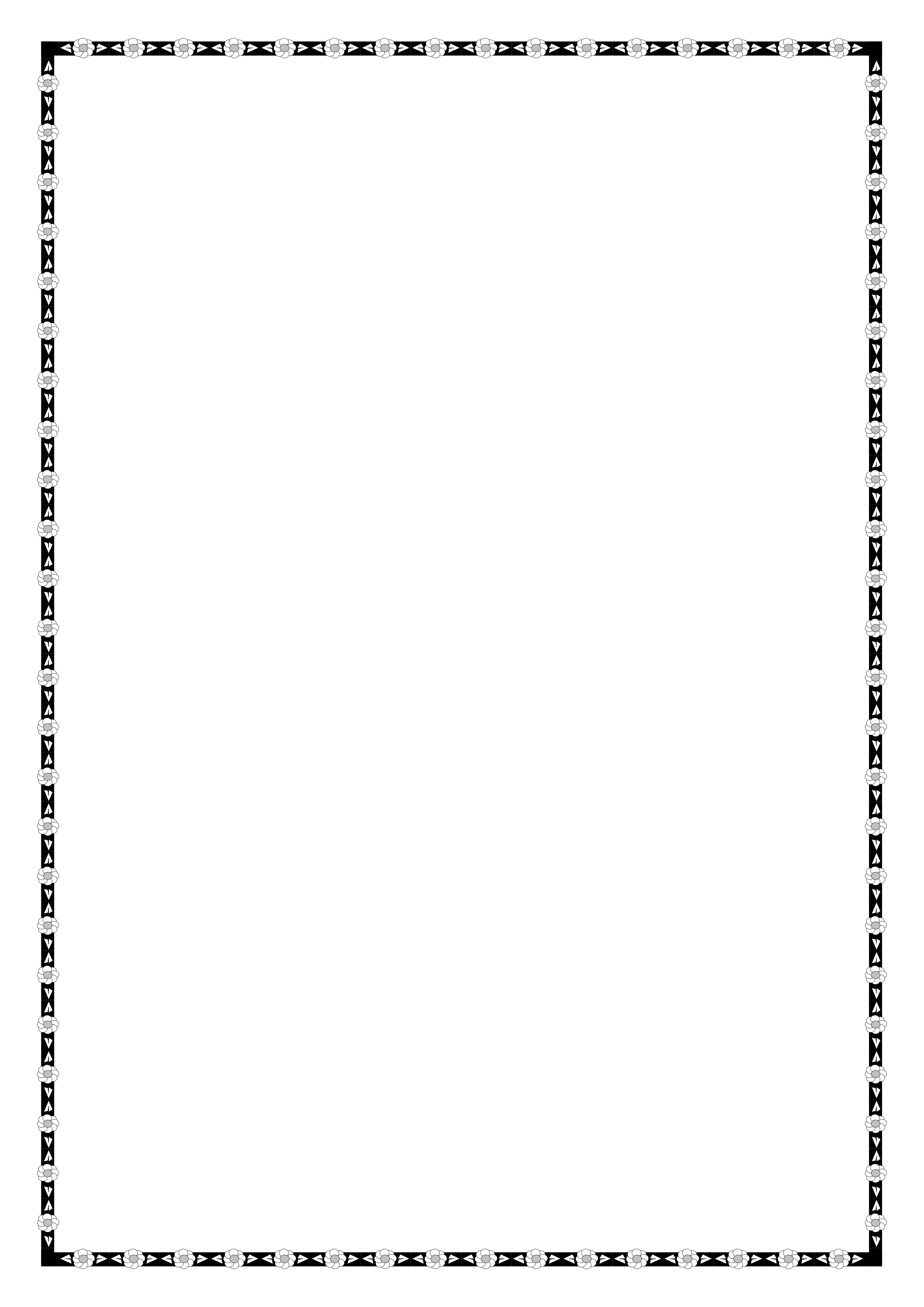
**إشراف:**

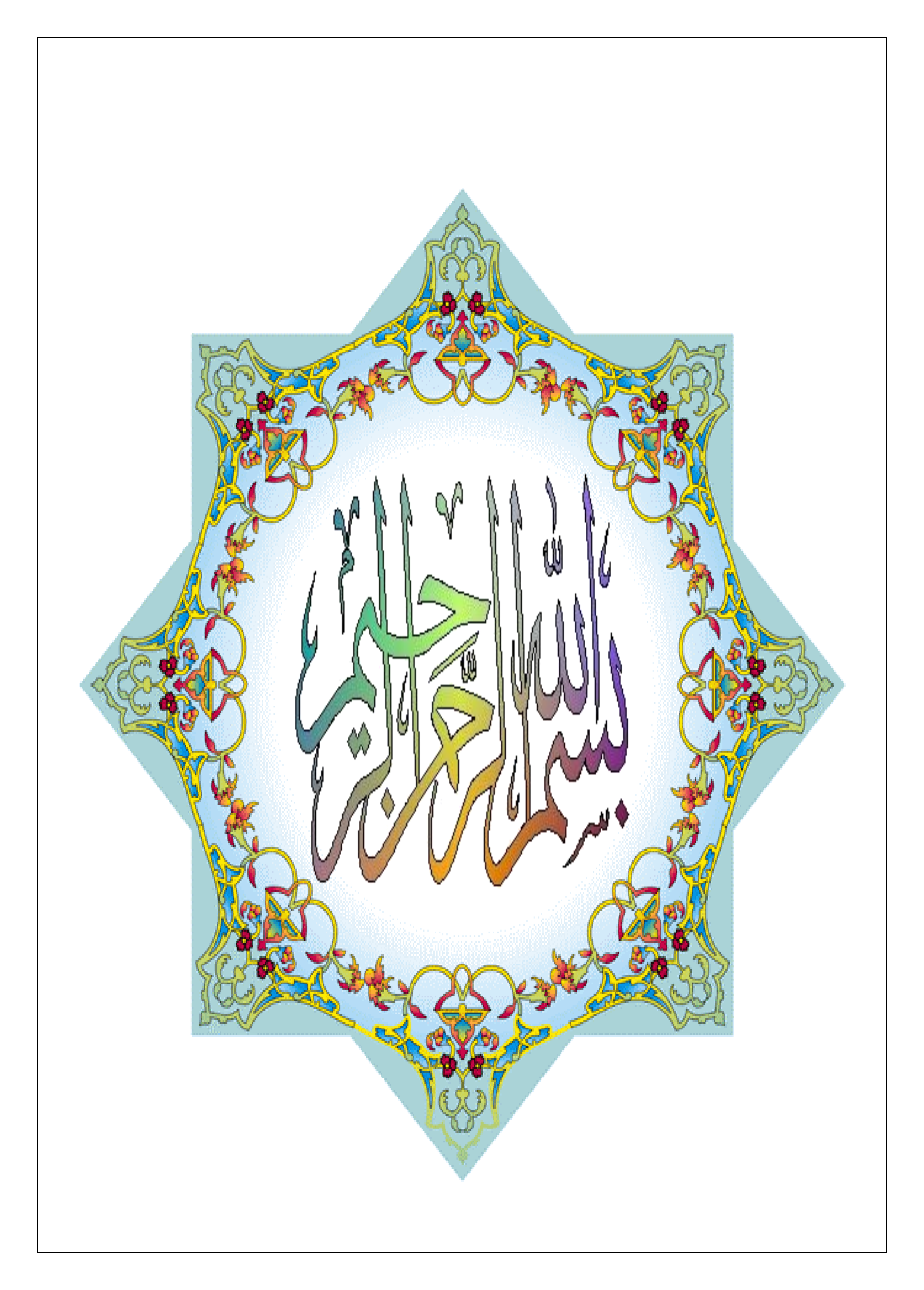
أ. د/ أحمد طالب

**لجنة المناقشة**

| اسم ولقب الأستاذ | الرتبة | جامعة الانتساب | الصفة |
|---|---|---|---|
| أ.د/ محمد مرتاض | أستاذ التعليم العالي | جامعة تلمسان | رئيسا |
| أ.د/ أحمد طالب | أستاذ التعليم العالي | جامعة تلمسان | مشرفا ومقررا |
| أ.د/ محمد زمري | أستاذ التعليم العالي | جامعة تلمسان | عضوا مناقشا |
| أ.د/ حشلافي لخضر | أستاذ التعليم العالي | جامعة الجلفة | عضوا مناقشا |
| أ.د/ قريش بن علي | أستاذ التعليم العالي | جامعة سيدي بلعباس | عضوا مناقشا |
| د/ بوشيبة عبد القادر | أستاذ محاضر قسم" أ" | المركز الجامعي مغنية | عضوا مناقشا |

**السّنة الجامعيّة 2018 –2019م**




بسم الله الرحمن الرحيم

# كلمة شكر وتقدير

قبل كل شيء نشكر الله عز وجل ونحمده، الذي وفقنا في إنجاز هذا العمل المتواضع ثم نتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف " أحمد طالب " الذي كان له الفضل في الإشراف على هذه الأطروحة ، ولم يبخل علينا بنصائحه وتذليل الصعاب ، وإلى الأستاذ الدكتور محمد مرتاض الذي أعانني عل اختيار الموضوع .

وشكرا




أهدي هذا العمل المتواضع

إلى الوالدين الكريمين

إلى إخوتي

إلى كل من أدين لهم في جميع أطوار

الدراسة


مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الأدب المغربي بكل أجناسه وما ينطوي تحتها من موضوعات تمس صميم المجتمعات التي توالت على هذه الأرض استطاع أن يبقى ظاهرا بينا كما هي الآداب الأخرى التي تعد رائدة في مناطق أخرى. وحق لنا أن نفتخر به ونعتني به ونحافظ عليه ونثريه بالدراسات ولا نقلل من شأنه ونعتبره تراثا هاما ، وكلما كان هذا التراث أقدم كان الافتخار أكبر. لا يخفى على المهتمين بالموضوع ما يكتسيه هذا المنعطف التاريخي من أهمية بالغة بالنسبة لذاكرة الثقافة المغربية، كما أن الجميع يدرك ضرورة الالتفات بالدرس، والتحليل، والتأريخ إلى جذور وبوادر الأدب المغربي الأولى، مع موازاتها بأختها المشرقية، لأن في القيام بهذا العمل وبذل هذا الجهد خدمة علمية قيمة، بإمكان الباحثين والدارسين المبادرين إليها أن يعرفوا ويوضحوا الهوية الحقيقية للثقافة المغربية، مع العلم أن الخوض في هذا الشأن يستحق جهدا متواصلا في ما يستقبل من الزمان، لأن مسألة الأدب المغربي في حد ذاتها لا يحاط بها دون عناء ونصب. وهنا نقول أن الأمة سعت جاهدة إلى جمعه مسخرة لذلك كل الوسائل . ويبقى المغرب العربي أرضا خصبة بالنسبة للدارسين والباحثين في مختلف المجالات. لا سيما المجال الأدبي الذي تُجدد فيه الجهود دائما حول إعطاء الحركة الثقافية في هذا القطر حقها ومكانتها بين الأمم الخالية والحالية مما صنعه أهل هذه المنطقة الجغرافية من تأليف وإبداع شعري ونثري حتى تتمكن الأجيال القادمة من معرفة تاريخها .

فقد خلق الله الإنسان وهداه النجدين فإما يطلب ملذات الدنيا و شهواتها وإما يحكم عقله الذي فطره الله به ، فيلجأ إلى الله ويعتمد الحدود و الشرع كوازع له مترفعا عن هذه الملذات و الشهوات وفي وسط كل هذا يظهر الشاعر الزاهد الغير راغب في هذه الدنيا معبرا عن سخطه منها و مرغبا في الآخرة ومرهبا من عذاب الله .

إن التحلي بالأخلاق الفاضلة و التمسك بالخصال الحميدة مبدأ جوهري من مبادئ الإسلام وتعاليمه ، فقد أحاط الإسلام المجتمع بمنظومة من القيم الأخلاقية والخلقية ووضع

للأخلاق قواعد يتم على أساسها تربية النفس وتهذيبها منها القناعة والتوكل على الله والصبر و التقوى والالتزام بالصدق والوفاء والحياء والسخاء كما أنه ذم النقائص الخلقية التي ينزلق إليها ذوو النفوس الضعيفة مثل الحسد و التكالب على الرزق و الإقبال على الدنيا و الكبرياء و الحقد والجبن والكذب وسوء الظن بالنفس وبالغير.....

إن فن الشعر من أشهر الفنون الأدبية وأكثرها انتشارا وهو الصورة التعبيرية الأدبية الأولى التي ظهرت في حياة الانسان ، فهو الطريقة الوحيدة التي اهتدى إليها الإنسان للتعبير عن انفعالات النّفس . والزهد قيمة إسلامية خالصة يستمد أصوله من مفاهيم الإسلام و مبادئه . نقول هذا لأننا مسلمين ولأن الإسلام هو دين الحق الذي لزم على البشرية أن تستقي منه مناهجها و منظوماتها ونحن نعلم أن الزهد وجد في الأمم السابقة للإسلام، تحلى به أنبياؤها والصالحون منها .

ولكل طالب علم رغبة تجعله ينكب على بحث معين ومنه فقد تواصلت عندي الرغبة في دراسة هذا الموضوع الذي درست جزءا منه في مذكرة الماجستير وكان الاقتراح علي كذلك من طرف أحد أساتذتي الكرام . وكما هو الحال في كل بحث أو عمل مهما كان مجاله فإن الصعوبة تكون في البداية لما يشوب الإنسان من تردد و خوف من الخطأ حيث تشتت الأفكار وتهرب الجمل ، لكن وبعون الله كانت العزيمة التي بثتها الرغبة ، تلك الرغبة التي جعلتني أميل ميلا شديدا لهذا الأدب الروحي ذلك الجوهر الأصيل في التراث الإسلام الذي غذى مشاعر الأمة علي امتداد العصور بكل القيم الجميلة ، كما هو الحب لأدب الأجداد الذي صاغه القرآن صياغة حضارية جديدة والذي نطقت به ألسنتهم علي شكل نزعات زهدية . إن رغبة أخرى كانت دافعي في تناول هذا الموضوع وهي أن هذه الظاهرة لها أبعاد نفسية و روحية تجعل كل من يتداولها بكثرة ينغمس فيها ويحاول التشبه و الاقتداء بأولئك والابتعاد عن ضوضاء هذه الدنيا .

رغبة أخرى أستطيع أن أضيفها وهي أن هذه الظاهرة تنحصر في أشعار ليست متداولة بكثرة ولا تجد كاتبا أو باحثا أو مؤرخا إلا و مر عليها مرور الكرام ، فهذا ما أغراني وجعلني أتحلي ببعض الجرأة في البحث في هذا الجانب الروحي الخاص بهذه الفترة و بهذه المنطقة الجغرافية من بلاد الإسلام.

تظهر أهمية هذا الموضوع في القيم الجمالية الفنية المختلفة لغرض الزهد وضروب الفكر المغربي ومدى تواصل إنسان هذه المنطقة بواقعه المعيشي و تكيفه مع زمنه حينما يتأمل الكون والحياة و يرخي لشاعريته زمانا ، وبخاصة حينما تنطلق هذه الأشعار من الذات ، موحية بالألم والعذاب الذي حس به هؤلاء الشعراء و مدى ارتباطهم بالله و تفكيرهم الطويل في مصير هذا الإنسان.

لقد آثرت تحديدا للموضوع قصر هذا البحث على الشعر دون النثر ، وجعله يبتدئ من الفتح الإسلامي وينتهي بنهاية القرن التاسع الهجري ، و لم أخص بالذكر شعر من ولدوا بهذه المنطقة بل حتى الذين ارتحلوا إليها و إن كانوا لم يلبثوا فيها إلا قليلا.

لا أقول كلهم بل ما استطعت العثور عليهم . أردت بذلك أن يكون شاهدا على أصحابه و وردا للطلاب ، وتكوين مدونة لبعض من هؤلاء الشعراء الزهاد المتوسمين بالحكمة و المعرفة .

وككل طالب باحث أراد لبحثه أن يكون مفيدا له ولغيره وسعى بكل ما رآه وسيلة للوصول إلى هدفه فإني وجدت بعض الصعوبات على رأسها قلة البحوث في شعر الزهد دائما وبدرجة أقل من بحثي الأول فقد كانت وفرة هذه المرة في المقطوعات الشعرية لأن المدة اتسعت ، وهناك صعوبة أخرى وهي أن هذه المقطوعات متناثرة في كتب التاريخ أو كتب الأدب أو كتب التراجم على الرغم من أن هذه الكتب غنية بهؤلاء الرجال الزهاد .

وقد اعتمدت خطة منهجية لذلك فقسمت البحث إلى ثلاثة فصول بالإضافة إلى مقدمة ومدخل ثم خاتمة ، فتحدثت في المدخل عن الموقع الجغرافي للمغرب العربي ثم شرح مبسط لعنوان الأطروحة ، فالسياق التاريخي للزهد في الفكر الإنساني والفكر الإسلامي ، والمفهوم

الإسلامي للزهد من خلال ما جاء به القرآن الكريم و ما جاءت به السنة النبوية و ما ذكرته المصادر عن السلف الصالح وختمت المدخل ببعض عوامل الزهد وأسبابه . وتحدثت في الفصل الأول عن شعر الزهد عند المشارقة ثم شعر الزهد عند الأندلسيين ، و ذكرت فيه كذلك بعض المصادر والمراجع التي اعتمدتها وزدت الحياة الثقافية في المغرب العربي قبل الـــقرن الثالث الهجري ، أما في الفصل الثاني والفصل الثالث فطرقت شعر الزهد وموضوعاته وهواجسه في الفترة المأخوذة أي من الفتخ الإسلامي إلى نهاية القرن التاسع الهجري موزعة هذه الأشعار حسب هذه القرون التسعة والتي انتشرت في مختلف مناطق المغرب العربي . والتي واكبت تلك الإمارات والدويلات التي حلت بالمنطقة . وزدت في الفصل الأخير مصادر هذا المعجم الشعري ثم التشكيل الفني في شعر الزهد محتويا على العناصر: اللغة والأسلوب ، ثم الصورة عند شعراء الزهد المغاربة ، فالموسيقى الشعرية لهذا الغرض عندهم ، بعد كل هذا مدونة لما وجدته من شعر هذه الفترة ، و في الأخير خاتمة هي حوصلة لأهم النتـــــائج التي توصلت لها .

ولما كانت طبيعة الموضوع تملي علينا ضرورة الأخذ من كل منهج بطرق فسوف ننهج المنهجين التأريخي والتاريخي في البداية للأحــداث التي طرأت في هذه العصور وتفصيـــل ما أمكنني تفصيله من جوانب الإبداع المغربي التي تقتـــــضي فهما دقيقا ، يتجسد في ارتباط الشاعر بالواقع و بأبعاده الاجتماعية والثقافية و البيئيـــة ، و يتجـــسد في مدى قدرة هؤلاء الشعراء على تحديد فلسفتهم في الحياة و إخراج ما خالجهم من شعور و إحساس فقد لزم علينا انتهاج منهج آخر هو : التحليل الاجتماعي ، وشرح ما يمكن شرحه من هذه الأشعار المجموعة في هذا البحث وإظهار ذلك النوع من الخطاب الشعري حتى توضح في غرض متداول متعارف ، ذلك لما يتطلب الموضوع من المؤثرات البيئية و الدينية ، وما تركته من أثر واضح على شخصية الشعراء ، مما جعلهم يترجمون ويعبرون على هذه الخوالج في أبياتهم الشعرية ، كمأ أن المنطقة عرفت الكثير من الزهاد ؛ وهـــنا أشير إلى أنني في هذا البحث المتواضع لم

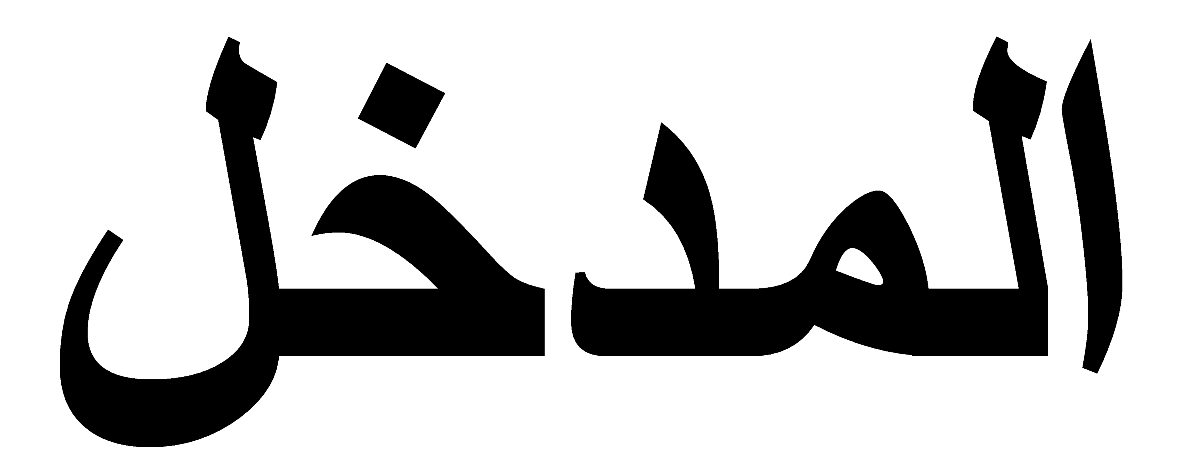
أذكر كل الشعراء المغاربة الذين تواجدوا في هذا الإقليم ؛ فهم كثر على قول أحمد أمين في كتابه " ظهر الاسلام " .

"ونحن لا نستطيع أن نترجم لكل شاعر لأنهم كثيرون ، وقلما يخلو مترجم له من شعر سواء كان أميرا أو وزيرا أو قاضيا أو عينا من الأعيان" (1)يقصد بذلك شعراء المغرب والأندلس ، وهذا إن دل على شيء فهو يدل بالدرجة الأولى على وفرة الشعر عند المغاربة وأنه ليس حكرا على غيرهم.

المشرية في : **17**ديسمبر **2017**

**الباحث : عبد القادر عكــرمي**

(1) أحمد أمين. "ظهر الإسلام" م1 ، ط1 تحقيق محمد فتحي أبو بكر. الدار المصرية اللبنانية – ص 120


المدخل

# الزهـــد فنونه وأشكاله

## 1- جغرافيا الموقع :

إن تحديد المكان للدراسة المأخوذة أمر لا يتعارض فيه اثنان وهو الحال نفسه بالنسبة للزمان ونحن هنا نأخذ المغرب العربي كمكان والتسع قرون الأولى من بداية الفتح الإسلامي التي عاشتها المنطقة في ظل الإسلام كزمان.

و منه فالمغرب العربي هو يمتد من طرابلس الغرب إلى موريتانيا ، و قد أطلق العرب اسم " جزيرة المغرب" على ما يسميه الجغرافيون في عصرنا هذا شمال إفريقية أو إفريقية الشمالية ، و بعبارة أصح الشمال الغربي من إفريقيا ، و ذلك لأن البحر الأبيض المتوسط يكتنفها من الناحيتين الشرقية و الشمالية . و المحيط الأطلسي _ أو بحر الظلمات _ من الناحية الغربية(1).

أما في القديم فقد تطورت تسمياته حسب العصور. والأنظمة السياسية و الحضارية التي تواردت عليه . وأقدمها اسم " ليبيا" الذي أطلقه لأول مرة الإغريق و رحالتهم منذ القرن الخامس قبل الميلاد ، ليدل على الأجزاء الشمالية المعروفة و المأهولة من قارة إفريقيا كلها بحيث أن كلمة " ليبيا" عندهم كانت ترادف مدلول قارة إفريقيا فيما بعد ... ومن نسل هؤلاء الليبيين القدماء . أحفادهم الليبيون المحدثون ، أو البربر الذين ارتضوا لأنفسهم اسم " الأمازيغ" أي الرجال الأحرار الذين يرتفع نسبهم إلى مازيغ بن كنعان – وقد تطور مدلول " ليبيا" وغدا في نهاية الأمر قاصرا على أراضي الجماهيرية العربية الليبية الاشتراكية دون بقية الأجزاء الشمالية من بلاد المغرب الكبير(2). و لقد أطلق اسم إفريقية* في عهد الفينيقيين على هذا الجزء من العالم الإفريقي المتوسطي القديم ، ويقصد به الأقاليم الواقعة غرب الإسكندرية(3).ونجد في كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب أنه قيل " سميت باسم إفريقش ابن أبرهة الذي غزا حتى انتهى إلى بلاد المغرب في أرض البربر (4).

(1) رمضان شاوش . "الدر الوقاد" ص9

(2) "الجزائر في التاريخ – العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني" ص11

* إفريقية : سميت إفريقية بذلك لنزول أفريقش من ولد حام بن نوح بها ، وأفريقش هو أبو البربر فالبربر كلهم من ولد حام بن نوح خلا صنهاجة ..–"المعجب في تلخيص أخبار المغرب" ص 173."المؤنس في أخبار إفريقية وتونس".ص18

(3) محمد علي دبوز ، تاريخ المغرب الكبير ج 1 ص 3.

(4) أبو عبيد بن عبد الله بن عبد العزي البكري – المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب– .دار الكتاب .لبنلن ط1 /2013 ص 99

وبوجود الاضطرابات المتكررة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وكثرة النفوذ الروماني ذي الطابع العسكري ، انمحت بعض الفوارق و أصبح يعني- أي المغرب- كل النطاق الساحلي الذي يمتد من طرابلس إلى طنجة إلى سبتة.

ولقد ظهر مصطلح " المغرب" خلال القرن الثالث الهجري. ليدل على ما كانت تدل عليه كلمة إفريقية (1) و لقد تعرض المغرب العربي للغزو الخارجي منذ قرون قبل الإسلام ، و كان الغرض الأساسي من تلك الغزوات هو الاستيطان واستغلال الثروات ، وتمت مقاومة هذه الاحتلالات من الرومان أو الوندال أو البيزنطيين (2) والإمبراطوريات الكبرى المتزايدة الصعود والطامعة(3) لكن المسلمين لم يكن هذا هدفهم ، بل كان الهدف أسمى من ذلك ألا و هو نشر الدين الإسلامي لا غير .حتى قال بعضهم أنه كان فتحا ثقافيا بالدرجة الأولى لأنه أتى بكتاب سماوي غايته تلقين ما في القرآن من دين و أخلاق و تطبيق ما ورد فيه من أحكام و ثقافة (4) ، و كان القبول لهذا الدين من القبائل الأمازيغية و أخذته على نحو ما جاء به الفاتحون الأوائل الذين نادوا بالمساواة . فقلت المقاومة ، بل ساهم البربر في نشر هذه العقيدة في المغرب الإسلامي و المناطق المتاخمة له في الضفة الشمالية للبحر الأبيض المتوسط . كالأندلس و صقلية ...(5).

ويقول الدكتور محمد الصغير غانم " تمتاز بلاد المغرب القديم من حيث الموقع الجغرافي بكونها تعتبر بمثابة حلقة ربط بين الحوض الغربي المتوسطي والحضارات التي نشأت في المنطقة الصحراوية جنوبا .... فهي ملتقى الحضارات الغربية والشرقية (6).

وقد سكنت بلاد المغرب العربي قبائل بربرية أصيلة تمتد جذورها حسب كل مذهب...(7).

(1) ينظر يحيى بوعزيز " أعلام الفكر و الثقافة في الجزائر المحروسة " ص13 – " الجزائر في التاريخ العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني " ص 12 ، 13

(2) ينظر أحمد إلياس حسين، "الإباضية في المغرب" ص3

(3) ينظر محمد الطاهر العدواني ."الجزائر في التاريخ الجزائر منذ نشأة الحضارة" ص238

(4) محمد الطمار ." تاريخ الأدب الجزائري" ص117، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع – الجزائر

(5) ينظر رابح بونار " المغرب العربي تاريخه وثقافته " ص 17.

(6) (ينظر كتاب مواقع وحضارات ما قبل التاريخ في بلاد المغرب القديم . دار الهدى – عين مليلة–الجزائر–2003 (د.ط) ص9

(7)انظر الحركة النقدية على أيام بن رشيق ص15،18،17

ولما كان الفتح الإسلامي ، استطاع الفاتحون العرب الاندماج بسهولة -أي القادمين الأوائل – مع سكانها الأصليين(الأمازيغ)، والتأثير فيهم بفضل المبادئ السمحة للدين الإسلامي الجديد الذي جاؤوا به إلى هذه البلاد و ربط هذه المنطقة بالخلافة الإسلامية في المشرق. لقد كانت المحاولات الأولى لفتح هذه البلاد في بدايات القرن الأول الهجري حين بعث الخليفة عثمان بن عفان-رضي الله عنه- عامله في مصر عبد الله بن أبي السرح لغزوها فزحف إليها سنة 27 هـ في نحو عشرين ألف جندي ، و تلتها حملات أخرى بقيادات أخرى تمثلت في حملة عقبة بن نافع الفهري و أبي المهاجر دينار ، و حسان بن النعمان الذي انتصر على الكاهنة سنة 84هـ ثم موسى بن نصير الذي تولى القيادة ما بين 85- 95 . في عهد عبد الملك بن مروان(1). و يزيد بن أبي مسلم الذي تولى أمور إفريقية سنة 101هـ ، وبشر بن صفوان الكلبي (2)103 هـ و عبد الله بن الحبحاب سنة 114 هـ الذي يرجع إليه إنجازه العمراني لجامع الزيتونة في مدينة تونس(3).

ثم حدثت تطورات على البلاد الإسلامية في الشرق و الغرب ، فوجدت التقسيمات التي عرفها المغرب العربي فيما بعد . وظهرت مصطلحات جزئية تجمعها كلمة المغارب الثلاثة ، (الأدنى) و (الأوسط) و (الأقصى)، فالأدنى يعرف بإفريقية ، ويمتد تقريبا من طرابلس إلى بجاية والأوسط أو الواسطة ، و يمتد من بجاية (4) إلى نهر ملوية وراء تلمسان والأقصى الذي يمتد من ملوية حتى طنجة وفي ظل هذه التقسيمات كانت تنشأ المدن للتنظيم الاجتماعي والتعبير عن القالب الحضاري و الفكري للدول ، و كانت هذه المدن هي مراكز الإشعاع الفكري في المغرب العربي ، تتقدمها القيروان لأنها كانت في الواجهة ، كما كانت بجاية و تيهرت و تلمسان و فاس ومراكش وغيرها من الحواضر الفكرية .(5)

(1) ابن خلدون- "العبر "، دار إحياء التراث العربي – بيروت. ط1 ص 191.البيان المغرب ج1 ص7
(2) يحي بوعزيز ، "الموجز في تاريخ الجزائر" ج1. ديوان المطبوعات الجامعية ط2 ، وهران الجزائر 1995 ص92
(3) الرقيق القيرواني . "تاريخ إفريقية و المغرب" ص 107 ، بن عذاري . "البيان المغرب" ج1. ص51
(4)" الجزائر في التاريخ من العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني" ص 13
(5) انظر تاريخ المغرب الكبير ج 1 محمد علي دبوز ط1 /1964 مطبعة عيسى الحلبي وشركاؤه. ص115

وقد بدأت الدويلات تتشكل فيما بعد تحاول السيطرة على أكبر كمية جغرافية باستدراج المناطق القبلية المبعثرة في أرجاء هذه المنطقة فكانت هناك الدولة الرستمية التي أسسها عبد الرحمان بن رستم 160 هـ بعاصمتها تاهرت عاصمة المذهب الخارجي(1) التي ارتحل إليها مع مجموعة من قبيلة زناتة من طرابلس والأوراس (2) كما كانت دولة الأغالبة في أواخر القرن الثاني الهجري ، و كان أميرهم الأول إبراهيم بن الأغلب التي سادت القطر التونسي ، كما كانت في المغرب الأقصى دولة الأدارسة الذين استقروا بالمغرب الأقصى منذ 172 هـ و انتهى فيما بعد حكمهم على يد العبيديين أبناء عمومتهم(3). وتعدد النفوذ فيما بعد من فاطمي إلى صنهاجي إلى موحدي إلى حمادي إلى حفصي إلى مريني و زياني ، وكل أراد توسيع حكمه وكان للموحدين النصيب الأوفر في هذا.

أردنا بهذه الحيز أن نقرب الحدود الجغرافية للمغرب العربي ، ليس نعني بذلك حصر هذه المدونة الشعرية التي جمعناها على من ولدوا في هذه المنطقة بل لحصر الشعر الذي قاله أي شاعر استطعنا أن نعثر عليه و كان قد ولد هنا أو عاش في بلاط الأمراء ردحا من الزمن أو ارتحل عبر هذه الأرض من المشرق إلى الأندلس أو من الأندلس إلى المشرق و عدينا شعره في هذه البحث على اعتبار أنه شعر مغربي ، و ذكرنا شعره الزهدي بالخصوص لأنه موضوعنا ولنكتفي بما ذكره الدكتور محمد مرتاض حين قال في هذه المسألة " إن الرقعة الجغرافية في الحقيقة كانت موحدةً إقليما واحدا فلا مدعاة للتوقف عند هذا مطولا " (4). كما أشير هنا وأقطع قطعا تاما أنني لم أدون في هذا البحث إلا البعض من شعر الزهد الذي جادت به قريحة كل شاعر.

---

(1) أندري يونيان "الجزائر بين الماضي والحاضر".ص92

(2) محمد بن عميرة . "دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي"- المؤسسة الوطنية للكتاب 1984 الجزائر ص 117

(3) ينظر "تاريخ المغرب الكبير"ج1 ص 3 ، و رابح بونار ص 45

(4)- محمد مرتاض " الخطاب الشعري عند فقهاء المغرب العربي – ج 1ص9

## 2- حول العنوان :

عنوان هذه المذكرة هو" غرض الزهد في الشعر المغربي من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن التاسع الهجري ".

ولنبدأ بالكلمة الأولى وهي " غرض" معناها في جميع معاجم اللغة "الهدف الذي يرمى فيه" وفهمت غرضك أي قصدك ، وهي كلمة نردد نحن مقصدها الاصطلاحي من خلال ما جاء به الدكتور محمد مرتاض ، حين يقول: "إن المقصود بالغرض في الشعر هو الهدف الذي قيل من أجله، ولذلك يستعمل الشاعر أدوات ويطبق قواعد ليبلغ غايته معه ، فيرتكز على الموسيقى واللفظ وسائر الأساليب ليحقق مقصده ، ويبلع أربه ، وإذا كان الغرض لغة هو الهدف والقصد ، فإنه في المصطلح الشعري ينصرف إلى ما يرمي الشاعر إلى تحقيقه في قصيدته."(1)

أما لفظ الزهد فله دلالات متعددة و مختلفة تتقارب و تتباعد بحسب الاستعمال و بحسب الإطلاق و تركيباته التعبيرية ، تعني عدم الرغبة بحيث يقال : زهد في الشيء إذا لم يرغب فيه ، رغب عنه و موضوعه الدنيا فالزهد ضد الرغبة ، و الحرص على الدنيا ، و تارة تعني الإعراض عنه و تركه لاحتقاره أو لتحرجه منه أو لقلته و زهيد الأكل قليله ، و تارة أخرى : أزهد الرجل إزهادا ، إذا كان مزهد لا يرغب في ماله لقلته ، و هذا الانصراف هو انصراف عن وجه من أوجه الدنيا و هو الزهد في المال (2) .

وجاء في المعجم الصوفي أن أصل كلمة زهد : " الزاي والهاء والدال ، تدل على قلة الشيء"(3) .

و جاء في كتاب التعريفات : أنه لغة ترك الميل إلى الشيء و في الاصطلاح هو بغض الدنيا و الإعراض عنها ، و قيل هو ترك راحة الدنيا طلبا لراحة الآخرة ، و قيل هو أن يخلو قلبك مما خلت

---

(1) "مجلة الفضاء المغاربي". العدد الثالث،ص8

(2) ينظر إلى ابن منظور،" لسان العرب" ،دار صادر . بيروت ط3 1994، ص196-198، و الزبيدي" تاج العروس من بوادر القاموس". تحقيق عبد العزيز مطر مطبعة حكومة الكويت 1970 ص 50

(3) سعاد الحكيم- "المعجم الصوفي ، الحكمة في حدود الكلمة" ، دار. ندرة للطباعة و النشر ط1 1981 ص552

منه يدك (1). ويطرقه كذلك أبو حامد الغزالي في تعريفه له بأنه عبارة عن انصراف الرغبة عن شيء إلى ما هو خير منه(2).

ويعرفه (الغزالي) في موضع آخر " هو أن تأتي الدنيا الإنسان راغمة صفوا عفوا و هو قادر التنعم بها من غير نقصان جاه . فيتركها خوفا من أن يأنس بها ، فيكون آنسا بغير الله محبا لما سوى الله " (3).

ويلاحظ أن -أغلب إن لم نقل الكل- هذه التعريفات في معناها الاصطلاحي تصب أو تدل على الانصراف عن لذائذ الحياة و متعها و عدم الركون إليها و تحقرها . والإقبال على العبادة كما تتجه هذه التعريفات للمعنى الديني للزهد و هو العدول عن الدنيا بحيث يخلو القلب من ذكر ما هو دنيوي ، و التفرع إلى الله عز و جل .

والشعر هو المقصود في هذا البحث فهو الكلام الموزون المقفى الذي يدل على معنى (4) وهو عند عبد الكريم النهشلي ليس مجرد ألفاظ موزونة ومقفاة أو أقوال تدل على معنى وإنما هو الفطنة والشعور أي هو عاطفة وأحاسيس ووجدان...(5)

أما الشعر الزهدي فهو الذي يدعو إلى الموعظة و توجيه الناس نحو النسك و العبادة معتبرا أن هذه الحياة ما هي إلا دار ممر ، و ليست دار مقر ، فمن أراد حياة هنيئة في الآخرة ما عليه إلا أن ينبذ هذه الدنيا و يعد نفسه لتلك الحياة الأبدية .

ولعل كل باحث في ميدان الشعر يقف عندَقَوْله تَعَالَى :" **وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ**" قَالَ عَلِيّ بْن أَبِي طَلْحَة عَنْ اِبْن عَبَّاس يَعْنِي الْكُفَّار يَتَّبِعهُمْ ضُلَّال الْإِنْس وَالْجِنّ وَكَذَا قَالَ مُجَاهِد رَحِمَهُ اللَّه وَعَبْد الرَّحْمَن بْن زَيْد بْن أَسْلَم وَغَيْرهمَا وَقَالَ عِكْرِمَة كَانَ الشَّاعِرَانِ

---

(1) أبو الحسن علي بن محمد الشريف- "التعريفات"، دار الشؤون الثقافية العامة ،آفاق عرقية – العراق ص 67.
(2) الغزالي. "إحياء علوم الدين" ، دار الفكر . طبعة مصورة عن طبقة لجنة نشر الثقافة 1975 ج 5 ص 208
(3) المصدر السابق . ج 3 . ص 187
(4) ينظر نقد الشعر لقدامة بن جعفر ص60
(5) الحركة النقدية على أيام بن رشيق ص57

يَتَهَاجَيَان فَيَنْتَصِر لِهَذَا فِئَام مِنْ النَّاس وَلِهَذَا فِئَام مِنْ النَّاس فَأَنْزَلَ اللَّه تَعَالَى " وَالشُّعَرَاء يَتَّبِعهُمْ الْغَاوُونَ"(1). فعن أبي الحسن مولى بني نوفل أن عبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت أتيا رسول الله حين نزلت الشعراء يبكيان وهو يقرأ " والشعراء يتبعهم الغاوون " حتى بلغ " إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات " قال " أنتم " وذكروا الله كثيرا " قال أنتم " وانتصروا من بعدما ما ظلموا " قال أنتم " وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون " قال الكفار. ".(2)

---

(1) انظر تفسير بن كثير – سورة الشعراء

(2) نفســـــــــه

**3.المفهوم الإسلامي للزهد :**

**1. الزهد في القرآن :**

**قال تعالى : " اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ۖ وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ ۚ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ".(1)**

بعد مجيء الإسلام و تشبث الناس بهذا الدين الجديد و حث على العمل ليوم الحساب أراد معتنقيه أن يتنزهوا بنزاهته فأقبلوا على العبادة، فالزهد في هذه الأولى هو طهارة النفس وعمل للآخرة ولعل انصرافهم واعتزالهم الفتنة الكبرى كانت من البدايات الأولى للابتعاد عن مشاكل الدنيا واعتزالها والإكثار من العبادة.

إن كلمة زهد لم ترد في القرآن إلا في موضع واحد و هو في سورة يوسف " **وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ** " (2). جاء في تفسير بن كثير، أي اعتاض عنه إخوته بثمن دون قليل، وكانوا مع ذلك فيه من الزاهدين، أي: ليس لهم رغبة فيه(3).

وقال الغزالي : «معناه باعوه ، فقد يطلق الشراء بمعنى البيع .... »(4).

ولكن المعنى الديني الروحي للزهد ورد في القرآن بكثرة وفي صور متعددة ، فلو نأخذ مثلا الآية « و اتقوا الله ... » لوجدت الخشية من الله تعد الامتثال لأوامره تردع من الانغماس في لذائذ الدنيا و شهواتها و تنهي النفس و لا تطاوعها ، و هو معنى خفي للزهد في هذه الدنيا . وترجع عناية القرآن البالغة بالصبر في آيات أخرى إلى ماله من قيمة كبيرة في الحياتين الدنيا والأخرى، فليس هو من الفضائل الثانوية، بل من الضرورات اللازمة التي لا انفكاك للإنسان عنها، فلا نجاح في الدنيا

(1) الحديد الآية 20

(2) يوسف الآية 20

(3) تفسير بن كثير ج2 ص442

(4) ينظر "الإحياء" ج 5 ص 108

ولا نصر ولا تمكين إلا بالصبر، ولا فلاح في الآخرة ولا فوز ولا نجاة إلا بالصبر، فلولا صبر الزارع والدارس والمقاتل وغيرهم ماظفروا بمقاصدهم وإذا كان هذا شأن الصبر مع كل الناس، فأهل الإيمان أشد الناس حاجة إليه لأنهم يتعرضون للبلاء والأذى والفتن: ﴿ألم، أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴾ (1)، وقال: ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله، ألا إن نصر الله قريب﴾ (2)

وكان التأكيد أشد في قوله: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (3). أو نأخذ الآية التي تدل على خداعها- أي الدنيا -

"﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ۖ وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ ۚ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ" ﴾ (4) . و سماها الله تعالى " متاع الغرور " و نهى عن الاغترار بها فقال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ (5).

وقال « زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ...» (6) .فكل هذه الآيات وغيرها تؤكد على أن هذه الحياة لدنيا على الإنسان أن يعيشها بحذر والإنسان لا يمنعه زهده مما كتبه الله له حيث قال تعالى : ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾(7)

(1)العنكبوت ، .الآية 2
(2) البقرة ، الآية 214
(3) آل عمران ،الآية 186
(4) سورة الحديد الآية 20
(5) سورة الحديد الآية20
(6) سورة آل عمران الآية 14
(7) سورة المائدة الآية 87

ومنه فليس الزهد في الإسلام هو رفض الدنيا مطلقا و اعتزال الناس. " فقد كان سليمان وداوود عليهما السلام من أزهد زمانهما ولهما من المال والملك والنساء ما لهما." (1).

إن هذه الآيات و غيرها كثير تدعو في ثناياها إلى عدم الارتماء في أحضان الملذات الزائلة. و قد زهد في الدنيا الأنبياء و الرسل ، و يذكر الإمام أحمد بن حنبل في كتابه المسمى:" كتاب الزهد" أن النبي سليمان عليه السلام ركب الريح يوما، فمر بحراث فنظر إليه الحراث فقال : لقد أوتي آل داوود ملكا عظيما فحملت كلامه فألقته في أذن سليمان عليه السلام قال : فنزل حتى أوتي الحراث فقال : إني سمعت قولك ، و إنما مشيت إليك لئلا تمنى ما لا تقدر عليه، لتسبيحه واحدة يقبلها الله عز و جل خير مما أوتي آل داوود فقال الحراث : أذهب الله همك كما أذهبت همي (2) ، لقد جعل الله أنبياءه وسيلة تعليمية للبشرية جمعاء يكشفون كل غموض أو إشكال أشكل ، فهذه القصة دلت على القناعة و هي طريق الزهد . إنه التقليل من شأن الدنيا و الانشغال بالآخرة ، و لقد سار القرآن على هذه الوتيرة فقلل من شأنها (الدنيا) و الانشغال بها في آياته الكريمة و جعلها مجالا لعمل الطاعات وسبيلا إلى الفوز و النجاة (3) ، و قال تعالى : ﴿ **اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاء وَيَقْدِرُ وَفَرِحُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مَتَاعٌ** ﴾ (4).

---

(1) تهذيب مدارج السالكين ص259

(2) أحمد بن حنبل ، "كتاب الزهد" ص 145 ، 146

(3) علي مشاعل . "الدعوة إلى الله في العصر العباسي الأول ، مشكلاتها و أساليبها و مواقفها ( 132هـ-232هـ)" ص 152

(4) سورة الرعد الآية 26.

**2. زهد النبي صلى الله عليه وسلم:**

كان النبي عليه الصلاة و السلام يصلي لربه حتى تفطرت قدماه فقيل له:" إن الله قد غفر لك **ما تقدم من ذنبك وما تأخر**" ، فيقول: "ألا أكون عبدا شكورا" .إن نبينا الكريم عليه الصلاة و السلام الذي لو أراد الدنيا كلها لحازها بين يديه وأخذ منها أطيبها وألذها للنفس ولكنه رضي بالأسودين ،لا شك أنه خير البشرية فهو الزاهد الأكبر و هو معلم الزهد ، فعن أبي العباس سهل بن الساعدي رضي الله عنه قال: " جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه و سلم فقال : " يا رسول الله ، دلني على عمل إذا عملته أحبني الله و أحبني الناس فقال : ازهد في الدنيا يحبك الله و ازهد فيما عند الناس يحبك الناس " (1).

و عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : « كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ، فإنها تزهد في الدنيا و تذكر في الآخرة » (2).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: نام رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصير فقام وقد أثّر في جنبه، فقلنا يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاء. فقال: "ما لي وللدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكب، استظل تحت شجرة، ثم راح وتركها"(3). وتارة يشير الرسول صلى الله عليه وسلم إلى حقارة شأنها في نظر الحق سبحانه فيقول: "لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة، ما سقى كافراً منها شربة ماء" (4)

وعن النعمان بن بشير – رضي الله عنهما- قَالَ:( ذَكَرَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ –رضي الله عنه- مَا أَصَابَ النَّاسُ مِنَ الدُّنْيَا، فَقَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ رسول الله –صلى الله عليه وسلم- يَظَلُّ الْيَوْمَ يَلْتَوِي مَا يَجِدُ مِنَ الدَّقَلِ مَا يَمْلأُ بِهِ بَطْنَهُ ) (5). إنه النظر إلى الدنيا بعين الزوال ، وهو عزوف النفس عن

(1) يحي بن شرف الدين النووي ." شرح متن الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية" منشورات المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت 1982. ط2.ص105 ، 107

(2) صحيح مسلم ص398

(3)أخرجه الترمذي في كتاب الزهد، وقال: حديث صحيح

(4) رواه الترمذي في كتاب الزهد عن سهل بن سعد الساعدي. وقال: حديث حسن صحيح

(5) صحيح مسلم. الحديث رقم 2978

الدنيا وملذاتها والترقي إلى أسمى الأمور وإنما يسعى الإنسان لرضى الله. هذه أمثلة عن ترغيب الرسول صلى الله عليه و سلم في الابتعاد عن ملذات الحياة و تحذير شديد من الافتنان بالدنيا و التنافس عليها.

والإسلام يدعو المؤمن أن يأخذ نصيبه من الدنيا كما لا يغفل الآخرة . فالله جعل الفرائض واجبا على الجميع ، و ترك النفل و التطوع للنفوس التي تريد السمو و الترقي (1). وقد يكون هذا السمو في الخشية من الله و الورع ، و قد يكون في الذكر الدائم لله ...

(1) ينظر إبراهيم بسيوني ، "نشأة التصوف الإسلامي" . ص 67

**3. الزهد عند السلف الصالح:**

**قال لبيد بن ربيعة :**

ما المال والأهلون إلا ودائع ولا بد يوما أن ترد الودائع(1)

وعن قتادة رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أبطأ عن الناس يوم الجمعة، قال: ثم خرج فاعتذر إليهم في احتباسه وقال: (إنما حبسني غسل ثوبي هذا، كان يُغسل ولم يكن لي ثوب غيره) (2) .

ما دامت الحياة فانية و كل شيء فيها إلى زوال ، فلتكن الأخلاق هي الزاد الذي يتزود به الزاهد في رحلة الحياة ، و الجسر الذي يعبر عليه إلى عالم الآخرة ، و لما فهم السلف الصالح هذا جيدا و استوعبوه أكثر من غيرهم ، و جدوه الطريق الأنسب والسبيل الأوحد للنجاة .
وقد كان الحسن بن علي –كرم الله وجهه– كثيرا ما ينشد:

ألاَ إِنمَا الدُنْيَا كَــظِلِ زَائِلِ إِنْ اغْتِـرَار بِظِلِ زَائِلْ حُمْقُ (3)

وهذا سفيان الثوري : أما ترى النعم كأنها مغضوب عليها قد وضعت في غير موضعها (4) و يسأل عن الزهد فيقول : ليس الزهد بأكل الغليظ و لبس العباء و لكنه قصر الأمل و ارتقاب الموت (5). فقصر الأمل يقطع كل لذة و ينسى كل شهوة فتكثر أعماله دون أن ينسى الموت . و يكون بذلك قطع أواصر الود مع الدنيا بعدم الطمع فيها و لا في ملذاتها، و بالتالي يتفرغ لعبادة الله و يستعد للموت . و قال رجل لعلي –كرم الله وجهه– : " يا أمير المؤمنين صف لنا الدنيا ، قال : ما أصف لك من دار من صح فيها سقم ، و من أمن فيها ندم

(1) ديوان لبيد ص102.
(2) تاريخ عمر بن الخطاب" ص102
(3) الغزالي." إحياء علوم الدين" ج 3 ص245
(4) نفسه.ج3.ص207 .
(5) القشري ،" الرسالة القشرية" – دار الكتاب العربي ، بيروت ص 56. وانظر تهذيب مدارج السالكين ، لابن قيم الجوزية ص257.دار النشر والتوزيع .مصر 1997 وهذبه عبد المنعم صالح العزي.

و من افتقر فيها حزن ، و من استغنى فيها افتتن في حلالها الحساب و في حرامها العقاب (1).

وقال ابن وهب : سمعته يقول : (يعني مالك)" ما زهد أحد في الدنيا إلا أنطقه الله بالحكمة" (2).

إن الدعوة إلى الأخلاق الفاضلة و الآداب الإسلامية هي جوهر رسالة كل زاهد و إحياء العنصر الخلقي السامي الذي دعت إليه التعاليم الإسلامية ، لا شك أن هذا هو الهدف الأسمى من الزهد . ولكن قد يسمع العامي ذم الدنيا في القرآن و الأحاديث فيظن أن النجاة تركها ، ولا يدري ماهي الدنيا المذمومة : فيلبس عليه إبليس : بأنك لا تنجو في الآخرة إلا بترك الدنيا ، فيخرج على وجهه إلى الجبال ، فيبتعد عن الجمعة و الجماعة و العلم و يصير كالوحش ، يخيل إليه أن هذا هو الزهد الحقيقي (3) . و منهم من يهيم على وجهه خوفا من ربه و من يربط نفسه على أعمدة مسجد المدينة ، يظل كذلك حينا من الدهر ، حتى يظن أن الله قد غفر له و منهم من يشرط على نفسه ألف ركعة في اليوم. أو يمشي حاجــا إلى مكة مشيا على الأقدام. (4) فقد قال إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى: (الزهد فراغ القلب من الدنيا لا فراغ اليد) (5) .

---

(1) الغزالي ."الإحياء "ج3 . دار المعرفة بيروت ص 208

(2) القاضي عياض" ترتيب المدارك" ج 2 ص 62

(3) بن الجوزي ."تلبيس ابليس "– القسم الثاني ( النص المحقق، الباب التاسع ص 858)

(4) د . عبد العزيز عتيق ، "الأدب العربي في الأندلس "، دار النهضة العربية للطباعة و النشر . 1976 ص 217.

(5) من كتاب الفتوحات الوهابية بشرح الأربعين حديث النووية ص116 من موقع خزانة المذهب المالكي.

## 4.عوامل الزهد و أسبابه:

الزهد تفريغ القلب من حب الدنيا وشهواتها، وامتلاؤه بحب الله ومعرفته . وعلى قدر تخلص القلب من تعلقاته بزخارف الدنيا ومشاغلها يزداد لله تعالى حباً وله توجهاً ومراقبة ومعرفة ، ولهذا اعتبر العارفون الزهد وسيلة للوصول إلى الله تعالى ، وشرطاً لنيل حبه ورضاه وليس غاية مقصودة لذاتها.

وقد أخذت حركة الزهد في الاتساع والترسخ في نفوس الناس بعد الفتنة التي قتل فيها عثمان – هذا عن المشرق طبعا- فكان اعتزال الفتنة من بوادر النشأة الإسلامية للزهد. لكن هناك أسباب رئيس أخرى لهذه الظاهرة الروحية لا بد من الوقوف عندها:

1 . الدعوة العلنية الضمنية للقرآن الكريم للابتعاد عن ملذات الحياة وشهواتها وتمكن هذا الدين من قلوب معتنقيه. وقد كان لأسلوب الترهيب والترغيب دور كبير في ذلك. والمراد من أسلوب الترغيب والترهيب ، أن يذكر القرآن ما يتضمن ترغيباً في القيام بعمل يرضى الله عنه ورسوله، ثم يتبعه ما يتضمن ترهيباً من القيام بعمل يُغضب الله ورسوله فباعث الخوف لابد أن يقرن مع الإيمان ؛ يقول تعالى: ﴿ **وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ** ﴾ [1]

وهذا الأسلوب يظهر في العديد من الآيات فمثلا قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ** ﴾ [2] ، فهذه الآية فيها ترهيب ، ثم يأتي الترغيب بعدهُ في قوله تعالى: ﴿ **وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ** ﴾[3].

*ومن أمثلة الترغيب والترهيب يصف المولى عز وجل الحاتين في مشهد عميق:* ﴿ **وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ** [4]

---

(1) سورة الرحمان الآية 46

(2) سورة البروج الآية 12

(3) سورة البروج الآية 14

(4) سورة الزمر الآية 71

كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ، قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾.(1) ثم وصف القرآن لحال أهل الإيمان في قوله تعالى: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ، وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾(2).

ولكن لابد أن نشير هنا إلى أن الإسلام ليس وحده من أخبر بحياة أخرى فكل الأديان السماوية دعت إلى ذلك واعتبرت أن الدنيا هي ممر إلى حياة خالدة ، ومن هذه الحياة الدنيا يتوقف مصير الإنسان على: إما إلى جنة ونعيم و إما إلى نار و جحيم (3).ودعت إلى التقوى والورع وكبت الشهوات والاقتصاد في المأكل والمشرب فكان ذلك سببا أو عاملا في ظهور نزعة الزهد.

2 . إن المرء ليقف متعجبا أمام ما يذكره علماء السير من وصفٍ لبيوت النبي صلى الله عليه وسلم وقلة متاعها ، فلم يكن فيها شيءٌ يملأ العين من الأثاث ونحوه ، وما ذلك إلا زهداً في الدنيا وإعراضاً عنها . إن النبي الكريم عليه أفضل الصلوات والتسليم كان القدوة الحقيقية للصحابة في الزهد و لا شك أن هذا السبيل في العيش أو في الحياة قد انتشر بين التابعين ثم بين الناس كافة ثم كان التأسي برسول الله و بصحبه من طرف من جاء بعدهم ، فعافت نفوسهم هذه الملذات و أحبوا أن ينقذوا أنفسهم استعدادا ليوم الحساب.

وقد كان للوافدين على المغرب دور كبير في ذلك و هم الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم ثم على عهد الخلفاء الراشدين من أمثال عقبة بن نافع الفهري وأبي ذر الغفاري و عبد الله بن الزبير و غيرهم . (4)

3. هناك سبب أو عامل "الحرمان" (5) كما ذكر ذلك كل من إميل ناصف صاحب " كتاب أروع ما قيل في الزهد و التصوف " و الدكتور حامد حفني داوود صاحب كتاب " تاريخ الأدب

---

(1) سورة الزمر ، الآية 72

(2) سورة الزمر، الآية 74،73

(3) ينظر إميل ناصف "أروع ما قيل في الزهد و التصوف" ص 8.

(4) عبد العزيز نبوي – "محاضرات في الشعر المغربي القديم "– ديوان المطبوعات الجامعية ، 1983 ص 91.

(5) إميل ناصف "أروع ما قيل في الزهد و التصوف" ص 8 ، و "تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الأول" ص 14

العربي في العصر العباسي الأول " الذي درس حياة أبي العتاهية وهو الذي كان في عصر أشهر من قال في الزهد شعرا و استحسنه الزهاد والمتصوفة والذي اتخذ البعض من خلاله هذا السبيل في الحياة و المقصود بذلك الفقر المتقع والحرمان الشديد الذي مر به هؤلاء الزهاد أو الداعين للزهد فقد حاولوا أن يبلغوا لذائذ الدنيا و التمتع بها لكنهم لم يستطيعوا لسبب أو لآخر فآثروا الزهد على العيش الهنيء و استبدلوا حياة الرغد و الهناء بالصبر و الغلظة و الاعتكاف. وقد ذكرت ذلك الدكتورة سامية جباري في كتاب:" **الأدب والأخلاق في الأندلس" (فمنهم من ينظمه نقمة على الأوضاع الاجتماعية المزرية ساخطا عليها ، لكونه مني بخيبة الأمل في الناس)** (1) .

4. إن حياة الترف التي عرفتها الأمة الإسلامية في وقت من الأوقات لهي عامل من عوامل ظهور هذه الحياة الزهدية و انتشارها في أوساط الأمة من مشرقها إلى مغربها يقول صاحب كتاب "الإسلام و الشعر" (2)" انتشر هؤلاء الوعاظ و الزهاد بعد أن كثرت الأموال بأيدي الناس ، و بدأت الحياة تميل نحو الترف و اللعب من ملذات الدنيا و نعيمها ...وظهر ذلك جليا في أشعارهم و عرف بشعر الزهد...ومن ذلك قول **محمد بن حسن القلعي:**

تنافس الناس في الدنيا وقد علموا أن سوف تقتلهم لذاتها بددا
قل للمحدث عن لقمان أو لـــبد لم يترك الدهر لقمانا ولا لبدا(3)

واستطاع هؤلاء الشعراء أن يتمثلوا مبادئ الزهد و أصوله الأولى كما استطاعوا أن يجعلوا هذا اللون من الشعر غرضا مستقبلا قائما بذاته.

5 .إن الجهاد في سبيل الله قد يكون عاملا أو سببا متكاملا مع ظهور الزهد ، فالزهد و الجهاد مقترنان مع بعضها البعض فالأول يدعو إلى محاربة الظلم والطغيان و الكفر و الزهد في الدنيا والثاني وطلب الشهادة وبالتالي طلب الآخرة . ولهذا هما استصغار واستهانة بالحياة

(1) سامية جباري "الأدب والأخلاق في الأندلس في عصر الطوائف والمرابطين" دار قرطبة ط1 -2009 ص370
(2) فايز ترحيني ، " الإسلام و الشعر " ص 78
(3) ينظر محمد الطمار، " تاريخ الأدب الجزائري " ص147

الدنيا و في كتابِ الله عز وجل عشراتُ الآيات في فضلِ الجهاد في سبيل الله عز وجل . وقد استشهد لهذا الاقتران صاحب كتاب "الإسلام و الشعر" بقول **عروة بن زيد الخيل:**

كَمْ كُرَبَةٍ فَرجْتـهَا وَ كَرِيهَــــــــةٍ شَدَدْتَ لَهـَا أَزْرِي إِلَــى أَنْ تَجَلتْ

وَقدْ أَضْحَتْ الدُنْيَا لَدَي ذمــــيمة سَلَبت عَنْـهَا النَفْـسَ حَتــى سَلَتْ

وَ أَصْبَحَ هَمِـي فِي الجِـهَادِ ونِيتِي فَللــه نَفْس أَدْبَــرَتْ وَ تَوَلَــتْ

فَلاَ ثَرْوَةَ الدُنْيَــا تُرِيدُ اِكْتِسَــابهَا إِلا أَنَــهَا عَنْ وَفْـرِهَا قَــدْ تَخلت

مَاذَا أَرْجَى مِنْ كُنُـوزِ جَمَعْــــتُهَا وَهَذِي المَنَايا شَرعاً قَدْ أَظَــــــلَتْ (1)

**6 .إن كثرة الحروب و الفتن التي حدثت بمنطقة المغرب العربي كان لها دور كبير في ظهور الزهد و الزهاد و انتشارهم في البلاد و لقد كان أهل المغرب متصلبين ، متشددين في الدين يريدون أخده كما جاء به الفاتحون الأوائل فلن يتوانوا فيه و لن يقصروا في حدوده و شرعه و خاصة عند الجماهير مقارنة مع المشارقة الذين كانوا المساجد و التغرب و هي غير سنة المصطفى صلى الله عليه و سلم (4).**

**ولنختم عوامل و أسباب الزهد بالإشارة إلى شيء هام و هو أن الزهد الإسلامي هو نشأة** أقل سخطا على اللهو و المجون (2)

7-هناك ظاهرة جديدة ظهرت في المغرب كان لها دور هي الأخرى من قريب أو من بعيد في انتشار الزهد ، ألا وهي ظاهرة الرباطات [3] التي كانت تقام على تخوم البلاد الإسلامية ، وقد ساعد على بنائها الحكام والولاة ، وهذه هي الأماكن الأشد تدينا و تحليا بالزهد في الدنيا ، فكان يجدها الزاهد ملاذا آمنا من الانغماس في شهوات و ملذات الحياة و نحن نذكرها من باب أنها عامل من عوامل انتشار الزهد لا من باب أنها نشبه أديرة النصارى أو أن إبليس ألبس على المتعبدين فيها كما يذكر ذلك صاحب كتاب التلبيس و يدلل بذلك بالابتعاد عن الجماعة و

(1) المرجع السابق ص 78

(2) ينظر عبد الله شريط ، "شخصيات أدبية من المشرق و المغرب" ، منشورات دار مكتبية الحياة – بيروت ط2 1966 ص 147.

(3) الأربطة جمع رباط . وهو في الأصل ما تربط فيه الخيول و أصبح يطلق على ما استحدثه الصوفية من أبنية يختلون فيها. المعجم الصوفي.د.الحفني.ص102. و لقد ظهرت في المغرب الحركة الدينية العسكرية وهي حركة المرابطين بقيادة يوسف بن تاشفين ...رسالة ماجيستر :" الربط بالمغرب الإسلامي وورودها في عصري المرابطين و الموحدين" لمحمد لين بلغيث ص 147.

(4)بن الجوزي " تلبيس إبليس" الجزء المحقق ص 136 ، درانة تحقيق د/ أحمد بن عثمان المزيد – دار الوطن للنشر ط1. 2002

إسلامية نابعة من الدين لأنه الأصل و كيف يرد منشأه إلى زهد رهبان المسيحية أو أحبار اليهود على الرغم من التشابه الحاصل في ظاهرة الاعتزال حتى كلمة اعتزال نعني بها اعتزال ملذات الحياة و ليس اعتزال الناس كاعتزال النساء أو اعتزال الحلال بكل أنواعه .و ليس تحريم الفاكهة و لبس الصوف و اعتزال المساجد و الجماعة (1)

و إن كان هناك تشبه بالزهاد النصارى فقد جاء بعد أن تم الاختلاط في أزمنة متأخرة عن زمن الصحابة و التابعين ، و قد كان هذا التأثير الخارجي سلبيا على الزهاد أو من انتهجوا هذا المنحنى من الحياة فظهر الانحراف في التصوف أو من ادعى ذلك. (2)

والإسلام لا يُرغب عن الدنيا بل يرغب عن حرامها ولا يُرَغب فيها كلها بل يرغب في العمل الصالح. الإسلام لا يُزهد الناس في الدنيا ليتركوها بالكلية وينقطعوا إلى الآخرة، ولا يرغبهم في الآخرة ليقبلوا عليها بالكلية ويتركوا الدنيا؛ بل يتخذ بين ذلك سبيلا، هو الجمع بين خيري الدنيا والآخرة. أما زهد النساك الذين انقطعوا عن الدنيا بالكلية، ورغبوا في الآخرة فهذه نافلة فرضوها على أنفسهم ولم يفرضها الله عليهم. فالزهد الحقيقي هو الكف عن المعصية وعما زاد عن الحاجة ولذلك فإن الزكاة في الإسلام لا تكون إلا فيما زاد عن الحاجة وحال عليه الحول. ومن يزهد فيما فاض عن حاجته ويتصدق به على من ليس عنده فهذا زهد مطلوب حث عليه الإسلام، قال جلّ جلاله : ﴿**ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوقَ شُحّ نفسه فأولئك هم المفلحون**﴾ (3).

وحضارة الإسلام لم تقم على الزهد في الدنيا والانقطاع للآخرة كلية بل مزجت الدنيا بالآخرة فآتت أكلها طيبا .

---

(1) ينظر المصدر نفسه ص136

(2) ينظر محمد عبد الغني الشيخ ." النثر الفني في العصر العباسي الأول ". ص 51 ، 52 و ينظر شوقي ضيف. "التطور والتجديد في الشعر الأموي ". دار المعارف. ط7. 1981 ص 57.

(3) سورة الحشر، الآية 9.

# الفصل الأول

# شعــر الزهد

# في المشــــــرق

# و المــــــــــغرب

## الفصل 1

**1- .شعر الزهد عند الشعراء المشارقة :**

يقول عدي بن زيد العبادي التميمي:

أَيْنَ أَهْلُ الدِيَارُ مِنْ قَوْمِ نُـــوح ... ثُم عَاد مِنْ بَعْدِهَا وَ ثَمُــود

بينمَا هُمْ عَلَى الأُسْرَةِ وَ الأَنْمَاطِ ... أفَضْتَ إِلَى التُرَابِ الـخُدُود

و صَحِيحٌ أَمْسَى يَعُود مَرِيـضًا ... وهُوَ أَدْنَى لِلْمَوْتِ مِمَنْ يَعُود

ثم لَمْ يَنْقض الحَديث وَ لَـــكِنْ ... بعْدَ ذَا كله َ ذَاكَ الـــوَعيِـد (1)

يرى زكي مبارك في كتابه التصوف الإسلامي الأدب و الأخلاق أن الزهد وجد منذ القدم عند الأمم القديمة ، كقدماء المصريين و الهنود ، فكان موجودا عند رهبان المسيحية أو في تاريخ نساك الهنود بمختلف دياناتهم ، كالزواج عند المسيحيين ، و الابتعاد عن الأشياء التي تعيق التقدم الروحي للنفس ، فهو معنى من معان الزهد التي تذهب كبح النفس و تطهيرها ... (2)

وطبعا هذه القيمة الروحية قد رافقتها تجارب شعرية عبر تاريخ الإنسانية ، صب فيها الشاعر مكنوناته و كل ما تجود به قريحته و أصبح الزهد غرضا من أغراض الشعر و ظل فنا من فنون الشعر الذي راج على ألسنة الشعراء و سجل للعرب في قصائد بعض الشعراء في العهد الإسلامي لكن قبل أن نلج في الشعر الإسلامي ندرج بعض الأمثلة لشعراء قالوا شعرا زهديا قبل الإسلام و نحن لا نبتعد كثيرا حين نذكر هذا الشاعر الفذ الذي استهللنا به الحديث في هذا المطلب وهو **عدي بن زيد بن حماش بن زيد العبادي التميـمي**(... نحو 590 م ) أول من كتب بالعربية على ديوان كسرى ، قال على لسان القبور:

مَـن رآنا فَلـيحدث نفسَـهُ ... أنه مُـوف عَلى قَـرن زَوالِ

وصرُوف الدَهرِ لا يبقي لَهَا ... ولمَا تَأتِي بـِه صـُمُ الجبالِ

رُب رَكبٍ قد أنـاخوا عِندنَا ... يَشربونَ الخمرَ بالماءِ الزلالِ(3)

(1) إميل ناصف "أروع ما قيل في الزهد و التصوف" ، ص 13، 14

(2) زكي مبارك ." التصوف الإسلامي في الأدب " المكتبة العصرية ، صيدا . بيروت. لبنان. ص5

(3) ديوان "عدي بن زيد العبادي" تح :محمد جبار المعيبد – دار الجمهورية للنشر –بغداد * العراق.1965 ص163

عَمروا دَهـرًا بعيشٍ حســـنٍ آمني دَهرُهُم غَـير عـجَالِ
ثُم أضْحَوا عَصفَ الدَهرُ بهم وَكَذاك الدَهرُ يُودِي بِالرجَالِ(1)

وقال لما كان مع النعمان بن المنذر و مرا بمقبرة : أتدري ما تقول هذه المقبرة قال : لا ، قال : فإنها تقول :

أيُها الرَكْبُ الَمخبُـــــو ن عَلَى الأَرْضِ الُمـجدُونَا
كمَـا أَنْتُم كَذَا كُنَـــا كَـــمَا نَحْنُ تَكُـــونُونَا (2)

فعدي هذا لم يكن شخصا عاديا بل كان صاحب نظرة ثاقبة للحياة الدنيا وعالما بزوالها.
ومما ينسب إليه من طرف البغدادي في خزانته:

إنَ لِلدَهرِ صَولَةٌ ، فَاحـذَرْنَها لاَ تَبيتَنَ قَدْ أَمِـــنتَ الدُهُورَا
قَد يَبات الفَتىَ صَحيـحاً فَيردَى وَلقدْ بـــَاتَ آمناً مَسْــروُرَا
لا َأرى الَموتَ يَسبقُ الموت شيءٌ نَغصَ الموتُ ذَا الغِنىَ وَ الفَقِيرَا
لِلمَنايَا مَع الغُـــــــدُو رَاحٌ كُل يَـــــومٍ تَرىَ لَهُن عَقيرَا
كَم تَرى اليَومَ من صَحِيحٍ تمنىَ وَغدًا حَشْـــوٌ ريطة مَقْبورَا
أَينَ أَينَ الفِرَارُ مما سَـــــيَأْتِي! لاَ أَرى طَائـــراً نجا أن يطيرَا
فَامشِ قَصْـــداً إذا مَشيتَ وَأبصرْ إن للقَصْــدِ منهجاً وجسورَا
إن فِي القَصدِ لاِبْن آدمَ خَـــــيراً وَسبيلاً علَى الضَعيف يَسيرَا(3)

وعلى النمط نفسه يحذو **زهير بن أبي سلمى** حين يقول:

ألاَ لاَ أَرَى بَعْدَ الَحوَادِث بَاقِـيًا وَلاَ خَالِدًا إلاَ الجِبَال الرَوَاسِيَا
أَلَمْ تَرَى أَنَ الله أَهْلَكَ تُـــبَعًا وَأَهْلَكَ لُقْمَان بن عَادٍ وَ عَادِيَا (4)

(1) نفســــه
(2) الأصفهاني " الأغاني " ج1.ص868
(3) البغدادي ، " خزانة الأدب "ج1 ص133
(4) الأعلم الشنتمري " شعر زهير بن أبي سلمى". تحقيق د. فخر الدين قباوة ص170. دار الأفاق ، القاهرة ، مصر. د ت

وفي عصر الإسلام نجد بعض الشعراء الذين أنعم الله عليهم بالإيمان يعبرون عن تأملاتهم من أمثال **لبيد بن ربيعة** حين يقول:

أَلاَ كُل شيءِ مَا خَلاَ الله بَاطِلاً          وَ كُل نَعيم لاَ مَحَالَة زَائِـل [1]

و هو البيت الذي قال فيه النبي صلى الله عليه و سلم : أحسن بيت شعري قالته العرب في الجاهلية.

إن حالات اليأس التي كانت تطرأ على هؤلاء الشعراء وحالات الشك ، و تعليمات الدهر.

من نعيم إلى جحيم . ومن شباب إلى شيخوخة . ومن ذهاب الأمم السابقة واندثارها دعت الشاعر العربي أن يـتأمل كل ذلك و ينطق شعرا معبرا عن ما يخالجه من أفكار ، وجعلته يعتبر على الرغم من أن هذه النزعة الزهدية هي سطحية ليس لها ركائز ولا دلائل تؤكدها.

وقد كانت الانطلاقة الحقيقية للزهد في العصر الإسلامي والذي انبثق عن التأملات و أفكار الحياة و الموت بعد نزول القرآن الكريم . و لما تأكدت من خلاله أن هناك حياة أخرى أبدية و تجلت تلك الحيرة التي كانت عند الجاهليين [2] .

وفي هذا العصر لم يختص شعراء معينون بالشعر الزهدي – سواء في العصر الأمــــوي أو العصر العباسي– بل كانت أبيات يقولها شاعر حين يقف معتبرا في لحظة من الزمــــن متأملا و هذا الشعر يرتكز على الوعظ و التذكير و موضوعه العام هو فكرة الموت و ما بعدها. يقول الفرزدق :

أَطَعْتُكَ يَا إِبْلِيسَ سَبْعِينَ حُجَة          فلمَا انْتَهَى شَيْبِي وَ تَم تَمَامِي

فَرَرْتُ إِلَى رَبي وَ أَيْقَـنْتُ أَنَنِي          مُلاَقٍ لأَيَام المَنــُونَ حَمَــــامِي [3]

(1) ديوان لبيد ص85.

(2) ينظر عبد الحليم حسان ، " التصوف في الشعر العربي " ص156،155

(3) المرجع نفسه ص 154

وهذه الأبيات من قصيدته الشهيرة في هجاء إبليس و هو ينوب إلى الله بعد أن غفل في صباه و ظهرت له الحقيقة بعد أن كثرة ذنوبه طاعة " لإبليس" و قد بلغ السبعين .

شاعر آخر هو **أبو العتاهية** ، كان من المكثرين هذا الغرض مقارنة مع أقرانه المشارقة فوصف منهج حياته زاهداً يخشى ربه ويحرص على التقوى ويشتغل بقضية المصير والاستعداد ليوم الرحيل والابتعاد عن ملذات الحياة . والانقطاع إلى العبادة وعدم مجاراة النفس والاطمئنان إلى الدنيا ، فكان زهده استعلاء عن الشهوات وطريقا لتهذيب نفسه فتمثلت توبته الصادقة في أشعاره فأصبح مطلبه فيها بعد ذلك الترهيب من الدنيا وأنها زائلة لا محالة والترغيب في الآخرة.

و لنأخذ بعضا من أبياته يقول نادما متحسرا طالبا العفو والصفح :

إِلَـهِـي لاَ تُعَـذِبْـنِـي فَـــإِنـي ... مَقَـــــر بِالـذِي قَـدْ كَانَ مِـنـِي
فَـمَا بِي حـيلة إلا رجـــائـي ... بعَفْوكَ إنْ عَفَوتَ وحُسْـنُ ظَنِي
وَكَمْ مِنْ زَلـةٍ لـِي فِي الخَطَايَا ... وأنْتَ عَلَـي ذُو فَـــضْل وَمِن
إذَا فَكثـرت في ندمـي عـلَيْهَـا ... عَضُضَت أنَامِلِـي وقَرَعْتُ سِنـِي
أُجَـنُ بِزَهْرَةِ الدُنْيَـا جُنُونًا ... واقْطَع طُـولَ عُمْـرِي بِالتَمَنِي
ولَـو أَني صَدَقْت الزُهْدَ عَنْهَـا ... قَـلَبَت لَـهَا ظَـهْرَ المِجنِ
يظن النَاس بِي خَيْـرًا وَأَنـِي ... لَشَرُ النَاس إِنْ لَمْ تَعْفُ عَنِـي (1)

هذا أبو العتاهية الذي عاش مدة من الزمن بين حاشية الأمراء يحضر مجالسهم مبسوطا معهم لكنه عدل عن قول شعر الغزل و الهجاء وهذه الأبيات دليل على توبته وندمه على ما فرط في جنب الله . وقد حقر أبو العتاهية شأن الدنيا فهي خداعة تتقلب . يقول في ذلك :

وَيا ساكِنَ الدُنيا أَمِنتَ زَوالَــها ... وَلَقَد تَرى الأَيّامَ دائِرَةَ الرَحى(2)

---

(1) د. عمــر فروق الطباع ،" ديوان أبي العتاهية " .بيروت 1997 ص 319 – 320
(2) المرجع نفسه ص 142

أَينَ الأُلى بَنوا الحُصونَ وَجَنَّدوا     فيها الجُنودَ تَعَزُّزاً أَينَ الأُلى (1)

ويقول:

أُف لدَنْيَا فَلَيْسَتْ هِيَ بِدَارِ     وَإِنَما الرَاحَةُ فِي دَارِ القَرَارِ
أَبَتْ السَاعَاتِ إلاَ سُرْعَة     فِي بَلى جِسْمي بِلَيْلِ وَنَهَارِ
إِنَمَا الدُنْيَا غُرُورٌ كُلهَا     مِثْلَ لَمْعِ اللآلِ فِي الأَرْضِ القَهارِ (2)

قد غدا أبو العتاهية على نسج موعظته في أشعاره التي قالها في أخر حياته داعيا إلى ترك متاع الدنيا ومحذرا اللاهيين عن ذكر الله ، ومرهبا لهم من هول يوم الحساب ناسجا كل ذلك على طريقة الوعاظ. ولنختم موضوع الزهد عند المشارقة بأحد الأئمة المعروفين هو محمد بن إدريس بن العباس الشافعي (150هـ - 204 هـ ) :

دَعِ الأيَّامَ تَفْعَل مَا تَشاءُ     وطِبْ نفساً إذا حَكمَ القضاءُ
ولا تَجْزَعْ لنازلةِ اللَّيالي     فما لحَوادثِ الدُّنيا بقاءُ(3)

ويقول:

رَأَيْتُ القَنَاعَةَ رَأْس الغِنَى     فَصِرْتُ بِأَذْيَالِهَا مُتَمَسِكِ.
فَلاَذَا يَرَانِي عَلَى بَابِهِ     وَلاَذا يَرانِي بِهِ مُنْهَمِكِ.
فَصِرْتُ غَنِيًا بِلاَ دِرْهَم     أَمُرُ عَلَى النَاسِ شِبْهَ المَلِكِ(4).

ولقد أثبت الشافعي أن طريق الزهد في هذه الدنيا هو القناعة منها وبعدما تتم القناعة فكل ما فيها يصير بلا معنى عند الإنسان .

ويقول في من يلعب ويلهو ولا يدري ما تخبؤه له الأيام والغيوب :

كَمْ ضَاحِكٌ وَالْمَنَايَا فَوْقَه شَامتِة     لَوْ كَانَ يَعْلَم غَيْبًا مَاتَ مِنَ كَمَدِ.(5)

(1) المرجع نفسه ص142
(2) إميل ناصف . "أروع ما قيل في الزهد والتصوف". ص26
(3) المرجع نفسه ص 28
(4) المرجع السابق ص 28
(5) المرجع السابق ص 28

**2.شعر الزهد عند الأندلسيين:**

**ومما لاشك فيه أن الدعوة إلى الأخلاق الفاضلة، والآداب الإسلامية تمثل جوهر رسالة الزاهد التي تنبع من حرصه الشديد على إحياء العنصر الخلقي الرفيع الذي دعت إليه التعاليم الإسلامية، إلى جانب رسالته السامية في الكشف عن النقائص الخلقية والآفات الاجتماعية السيئة المنحرفة عن المفهوم الإسلامي التي أفضت إلى اضطراب المجتمع الأندلسي وفساده.**

يمكن أن نقول أن أدب الزهد أو شعر الزهد قد انتشر بشكل كبير في الأندلس بعد ظهوره في بلاد المغرب و لتقارب المنطقتين الجغرافيتين فقد كان التنقل بينهما كبير و لهذا قد نذكر شاعرا أندلسيا لكنه عاش فترة من الزمن في بلاد المغرب أو كان أصله من المغرب عاش في مدن الأندلس أو انتقل إليها ، و بخاصة التنقل الذي كان حادثا بين المغرب الأقصى و مدن الأندلس.

ولهذا رأيت أن أذكر بعض شعراء الزهد الأندلسيين ، و ذكر شعرهم الذي كان وافرا في تلك الفترة التي حكم فيها المسلمون تلك المناطق فالشاعر السميسر*، و في إطار أشعاره الزهدية يدعو إلى القناعة وعيش الكفاف والكسب الحلال والعفاف ، ويذم الحرص على الجاه والمال يقول في مقطوعته الأقرب إلى النثر من الشعر.

دع عنك جاهاً ومالاً   لا عيشَ إلا الكفافُ
قوت حلالٌ وأمـنٌ   من الـــرَدى وعفـافُ
وكل ما هو فضـــلٌ   فإنِـــــه إسْـــــرافُ[1]

**ويقول ابن عبد ربه** (ت**328**)** الذي ينصح بتعجيل التوبة النصـــوحة قبل مجيء الموت **ومادام هنالك بعث وحساب ،فنحن بحاجة إلى العمل الصالح والتزود بالتقوى ، وأن نسلك**

* هو أبو القاسم المعروف بالسميسر شاعر أندلوسي عاش في القرن الخامس الهجري.

(1) إحسان عباس . تاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين) – دار الشروق – الأردن –عمان . 1997ص130

**صاحب كتاب العقد الفريد. ترجمته في " المطرب من أشعار المغرب" ص151

**السلوك الإسلامي الصحيح في هذه الحياة** . حين يقول :

بادر إلى التوبة الخلصاء مجتهدا　　　والموت ويحك لم يمدد إليك يدا (1)

و يقول كذلك في وعظ الموت للإنسان ويلقي برسالته للمتلقي مختصرا له أطوار حياته :

لَوْلَمْ يكُنْ لَكَ غَيْرَ المَوْتِ موعَظِة　　　لَكَانَ فِيهِ عَنْ اَللذاتِ مُزْدَجِرٌ (2)

و قال أيضا :

فَلاَ تَكْتَحِلْ عَيْنَاكَ فِيهَا بِعبْرَةٍ　　　عَلَى ذاَهِبٍ مِنْهَا فَإِنَكَ ذَاهِبٌ (3)

الذهاب يدل على الموت الحتمي للإنسان فلا ينزعج الإنسان على شيء ما دام مصيره هكذا .

وها هو يحذر من كيدها فهي تتزين للإنسان في أحسن صورة " نضارة أيكة " وهي متبدلة بلياليها وأيامها فيوم سار ويوم حزين وما دام الإنسان غير خالد فيها فلا يجب عليه أن يحزن عليها فهي فانية:

أَلاَ إِنَمَا الدُنْيَا نَضَارَةُ أَيْكَةِ　　　إِذَا اخْضَرَ مِنْهَا جَانِبِ جَفَ جَانِبُ
هِيَ الدَارُ مَا الآمَال إِلاَ فَجَائِعُ　　　عَلَيْهَا وَلاَ اللَذَاتُ إِلاَ مَصَائِبُ
فَكَمْ سَخُنَتْ بِالأَمْسِ عَيْنٌ قَرِيرَة　　　وَقَرَت عُيُونٌ دَمْعَهَا اليَوْمَ سَاكِبُ
فَلاَ تَكْتَحِلْ عَيْنَاكَ فِيهَا بِعِبْرَةٍ　　　عَلَى ذَاهِبٍ مِنْهَا فَإِنَكَ ذَاهِبُ (4)

ويقول ناصحا متوعدا ومرهبا كل من سولت له نفسه غير ذلك مشبعا أبياته من ثقافته الدينية:

يَا عَاجِزًا لَيْسَ يَعْفُو حِينَ يَقْتَدِرُ　　　وَلاَ يَقْضِي لَهُ مِنْ عَيْشِهِ وَطَرُ (5)

---

(1) الضبي ."بغية الملتمس"ج1 ص 195
(2) نفسه
(3) بن دحية . "المطرب من أشعار المغرب" ص 155
(4) نفســــــه
(5) الضبي . "بغية الملتمس"ج1 ص195. بن دحية . "المطرب من أشعار المغرب" ص154

عَاينْ بِقَـــلْبِك أَنَ العَيْنَ غَافِلَةٌ عَنِ الحَــقِيقَةِ وَاعْلَمْ أَنَهَا سَـقَرٌ
سَـوْدَاءٌ تُسْفِرُ عَن غَيْظٍ إِذَا سَفَرَتْ لِلْظَــالِمِينَ فَلاَ تَبْـقَي وَلاَ تَذَرُ(1)

ويقول بن أبي زمنين (ت 400هـ) *، حين يذكر أنه – أي الموت– ينشر لصاحبه الكفنا بينما هذا الأخير في غفلة عنه يقول :

المَوْتُ فِي كُلُ حِينٍ يَنْشُرُ الكَــفَنَا وَنَحْنُ فِي غَفْلَةٍ عَمَـا يُرَادُ بِنَا
أَيْنَ الأَحِبَةُ وَ الجِيرَانُ ؟ مَا فَعَـلُوا؟ أَيْنَ الذِينَ كَانُـوا لَنَا سَـكَنَا
سَقَاهُمْ المَوْتُ كَأْسًا غَيْرَ صَـافِيَةٌ فَصِيرهُمْ لأَطْبَاقِ الثَرَى رَهَنَا (2)

وهو يرى أن الأحبة والجيران والأهل والولد كلهم ذهبوا لأن هذا الموت قد أشربهم من كأسه التي كأن بها سم قاتل فأصبح هؤلاء كلهم تحت التراب .

سَقَاهُمْ الدَهْرُ كَأْسًا غَيْرَ صَـافِيَة فَصَيرهُمْ لأَطْبَاقِ الثَرَى رَهَنَـا (3)

إنه يتهم الدهر باغتيال أصحابه و يبعثهم إلى الموت " سقاهم الدهر كأسا غير صافية" و هي صورة بيانية بليغة عن كيد الدهر بالإنسان وأنه لا بد تاركه لحاله يوما يلاقي حتفه.

و يقول عن الدنيا :

لاَ تَطْمَئِنَ إِلَى الدُنْيَا وَ بَهْجَتِهَــا وَ إِنْ تَوَشَحَتْ مِنْ أَثْوَابِهَا الحَسَنَا (4)

**وهذا الزاهد أبو عمران موسى بن عمران القيسي المار تلي**** (ت604)**

يعطينا صورة أخرى للإنسان الآمل في البقاء و يغفل عن الموت في حين أن الموت لا يغفل ، ثم كيف يأمن هذا الإنسان إذا تقدم في السن . حين يعبر عن كل هذا بقوله :

(1)" نفســــه

*هو محمد بن عبد الله الإلبيري بن أبي زمنين نزيل قرطبة .ترجمته في " الجذوة " ج1 ص57

(2) المقري التلمساني." نفح الطيب "ج3 ص 554 ، الضبي "بغية الملتمس" ج1 ص 122 ، ابن خاقان " مطمع الأنفس "ص 266."
الحميدي "جذوة المقتبس "ج1 ص 57

(3) " الضبي ." بغية الملتمس" ص 122. الحميدي " الجذوة " ص 57

(4) نفـــسه.

** ترجمته في" المغرب في حلي المغرب" ج1 ص 406

كَمْ ذَا أُومِـلُ طُولَ الــــــبَقَا     وَأَغْــفَلُ وَ المَوْتُ لاَ يَـغْفِلُ
فِي كُلِ يَوْمٍ يُنَــــــــادِي بِنَا     مُنــَادِي الرَحِيلُ أَلاَ فَانْزِلُوا
أَمِن بَعْدَ سَــبْعِينَ أَرْجُو البَـقَا     سَبْــعَ أَتَتْ بَعْدَهَا تَعْجَــلُ
إلَى كَمْ أَقُولُ و لاَ أَفْعَـــــــلُ     وَ كَمْ ذَا أحـُــومُ ولاَ أنزِلُ
وأَزجِر عَينِــــي فلاَ تَرعَوِي     فَأَنصَحُ نفْـــــسِي فلاَ تقْبلُ (1)

يتساءل الشاعر عن متى سيظل هذا الفعل المستقبلي معلقا حتى يتحقق في ما تبقى من الزمن كي تهدأ الذات أي النفس وتستقر و تتغلب على مغريات هذه الدنيا و تفك هذا الجدل و اللغز المحير و يضع عبارة " إلى كم " التي تدل هنا على العدد المستقبلي الغير معروف الذي يكون جوابه باللجوء إلى تقوى الإله . ويقول بعد أن مر عليه الزمن:

فِي كُلِ يَوْمٍ يـُـــــنَادِي بِنَا     مُنَادِي الرَحِيلُ أَلاَ فانـزِلوُا
أمِن بَعْدَ السَبْعينَ أَرْجـُو بِهَا     وتسعَ أَتَتْ بَعْدَهَا تَعْــجَلُ(2)

يحاول الوعظ في هذه الأبيات أن يحدد الحالة الاجتماعية التي يجب أن يكون عليها المرء داخل مجتمعه غير آبه بالجاه و المال راض بقضاء الله غير آمل في المستقبل وغير حائر ولا محزون على ماض:

يَا رَاغــبًا فِي أن يَرَى شَـاهدًا     وحُكْمُهُ بـَينَ الوَرَى مـَاضٍ
إيـَــاكَ فالعِزُ خِلاَفٌ لَــــهَا     أَوَلُ مَا تَخْـــــضَعُ للقَاضِي
مُعْرِضـًا وَجْهَكَ فِي كُلِ مـَـا     يَومُ لإقبـــــَـال وَ إعْرَاضِ
كن مستريحًا في الوَرَى سَـارِحًا     بِكُلِ عَيْـــــــشٍ نِلْتَهُ رَاضٍ
منْـــفَرِدًا لاَ تــكُونُ بالَــذِي     يَأْتِي وَلاَ تَـــبْكِ عَلَى مَاضِ(3)

---

(1) ابن سعيد المغربي "المغرب في حلي المغرب " ج1 ص 406.
(2) نفسه ص407
(3) الأصفهاني : "الخريدة " ج2 ص 557 وينظر ابن سعيد المغربي " المغرب في حلى المغرب " ص407. وينظر. وينظر عبد العزيز عتيق ."الأدب العربي في الأندلس" ص221.

وهذا **محمد بن محمد الذي يعرف باليثربي**(ت .؟ )* يعبر عن الموت برحلة المقيمين في هذه الدنيا أي الساكنين فيها وينظر إلى نفسه بأنه من هؤلاء الذين يقومون بهذه الرحلة حين يقول:

أرى كل يوم للمقيـــمين رحلة ولا شـك أني فيهم سـوف أرحل

**وليس مــعي زاد أعد لرحلتي ولا لي عذر عنــــدما أنا أسأل**

**وعندي ذنــوب لا أقوم بعدِّها يقلّ لها وزن الجــــبال وتثقل**

**وليس سوى عــفو الإله فإنّه كريم له عند الرجــوع التفضّل**(1)

وقال **بن حزم أبو محمد** (-**456** )** يهول من مفاجأة الموت للأنفس الغافلة و هي تعلم أنه ليس هناك سبيل للهرب :

أَتَرْغَبُ عَنْ فَــــجْأَةِ للَمِنُون وتَــعْلَمُ أنَ لَيْسَ مِنْهَا مَفَرُ

فَإِمَا إِلَىَ جَـــــــنَةٍ أَزْلُفَتْ وَإِمــَا إِلَى سَــقَرِ تَسْتَعِرُ(2)

ويقول أيضا:

هَلْ الدَهْرُ إِلاَ مَا عرَفْنَا وَ أَدْركنَا فجَائِعــَـهُ تَبْقَى وَ لَذَاتـِهِ تَفْنَـى

إِذَا أَمْكَنَتْ فِيهِ مَسرة سَاعَـــة تَوَلَت كَمَرِ الطَرْفِ استخلفت حَزْنَا

إِلَى تيعَات فِي الحِسَابِ وَموْقِفًا تـوَدُ لدَيه أننَا لَــمْ نكن كُنــَا(3)

إن آلام هذا الزمن تبقى لما ارتكبه الإنسان من أخطاء و كل ما كان جميلا فيه يذهب ،إن يسر الإنسان يوما تكون هناك أيام للحزن.

وهذا **المحدث الحافظ أبو عمر بن عبد البر**(ت**400**)* يوصي ابنه :

---

* ترجمته في " الخريدة. "ج2 ص 647

(1) نفسه

** هو الإمام أبو محمد بن حزم . ترجمته في " المغرب في حلى المغرب " ج1 ص354.

(2) المقري التلمساني " نفح الطيب "ج3 ص 554 .

(3) لسان الدين بن الخطيب "الإحاطة في أخبار غرناطة" ج4 ص 59. ، الضبي "بغية الملتمس " ج2 . 169

* ترجمته في " المغرب في حلى المغرب " ج2 ص407

تُجَافُ عَنِ الدُنْيَا وَهَونَ لِقَـدْرِهَا ووف سَبيلَ الدِينِ بِالعُروَةِ الوُثْقى
وسَارِعْ بِتَقْوَى الله سرًا وَ جَهْرَةً فلا ذمة أقوى هديت مِنْ التَقْوَى (1)

وهذا **ابن عبدون (-529هـ)** *هو الآخر يذم الدهر و يحذر منه و يتهمه بالخيانة و بمعونة المنايا وهو يعلن على الإنسان الحرب و يبدي له السلم وأبياته هي أقرب إلى الموعظة النابعـة من التحذير:

الدَهرُ يفجَعُ بعد العينِ بالأَثـرِ فمَا البُكَاء علَى الأشبَـاحِ وَالصُـوَرِ
أنْهَاكَ أنهاكَ لا ألُوكَ مَوعظَـــة عن نومة بين نـاب الليث والظُفْـرِ
فالدهر حَرْبُ وإن أُبدي مسَالَمة والبيْضُ وَالسُودُ مثْل البيْضِ والسَمرِ
فمَا تغْرِيك من دنياكَ نَومتهـَا فمَا صنَاعـَة عينُهَا سِوَى السَهَـرِ(2)

و قال :

رُوَيدكَ أيُها الدَهْـرَ الخَؤونُ ستأكُلنَا و إيَـــــاكَ المَنُـــون
تعَللنَا الأمَـانِي و هِـيَ زُورُ وَ تَخْدَعنَـا اللَيَالِي وهيَ خــون
وكَمْ غرت بزبرجهـا قرُونَا فما أبقت ولا بقت القُــــرُون (3)

**وهذا مروان الطليق (ت450هـ)** ** يسمي الدهر بالهادم لما نبني وقاتل الأماني :

ألا إن دهرا هادما كل ما نـبني سيبلي كما نبلى و يفنى كما نفنى(4)

فقد شبهه بالآلة التي تهدم أو الإنسان نفسه الذي يهدم ، لكن هذا الدهر هو ضد الإنسان فهو يهدم ما يبنيه هذا الإنسان ، وهي صورة توضح لنا مدى الذم الذي لقيه الدهر والزمن من طرف الشعراء المغاربة الذين تمسكوا بالدين كما أخذوه من أوائل الفاتحين من ذم وسلاطة لسان.

(1) نفح الطيب ج4 ص 28.
* ترجمته في " الإحاطة" ج4 ص47.
(2) نفسه ص 50 . وينظر بن دحية الكلبي " المطرب من أشعار المغرب " ص27
(3) المصدر نفسه.
** ترجمته في" جذوة المقتبس" ج1 ص 75. وينظر " الحلة السيراء" ج 1 .ص 219 . وينظر " المغرب في حلى المغرب" ج1 ص191
(4) الحلة السيراء ج1 ص220

وهناك من رأى الدهر معلم للإنسان حين يتفكر فيه و يدقق في خباياه كمثل **ابن زيدون (ت463هـ)** حين يقول :

الدهْرُ وإن أملِي فَصِيحَ أعجمُ        يُعْطِي اعْتِبَارِي مَا جَهِلْتُ فأَعْلَم (1)

وهذا **أبو محمد بن سارة الإشبيلي** * (-517 ): يقول أنه لا بقاء في هذه الحياة لا للدنيا ولا للدهر و لا لكل الموجودات الأخرى، في هذا التعبير القوي :

لا الدَهرُ يبقَى ولاَ الدُنياَ ولاَ الفلكُ الـ        أعلَى ولاَ النيرَان الشَمْس وَالقَمَر

لَيرحلَنَ عــن الدُنْيَـا و إن كَــــرِهـَا        فِرَاقهَا الثَاويان البدو و الحَضَـرِ (2)

ويقول :

إذا كُنتَ لا تسْمع الذكْرَى فَفيم تَرَى        فِي رَأْسِكَ الوَاعِيَان السَمْعِ والبَصَرِ

ليسَ الأصَمُ والأَعمَى يرَى رجُــل        لم يهده الهَاديَـــان العَيْن وَالأَثر(3)

وهذا الزاهد **أبو إسحاق الإلبيري الغرناطي**** (ت460).

كُلُ إمْرئ فِيمَـا يَدين يَـــدَان        سُبحَان مَنْ لَمْ يَخلُ منْـهُ مَكَانُ

يا عَامر الدُنيا ليسْكنهَـــا و مَـا        هِيَ بالتِي يَبقَــى بهـَا سُكَانُ

تَفْنَى وتَبْقَى الأرْض بـَعْدَكَ مثْـلَمَا        يبقىَ المُنَاخِ و تَرْحلُ الرُكبَـانُ

أَأُسرُ فِي الدُنيَـا بِكُلُ زيـَـــادة        وزيادتي فيهَا هِـي النُقْصَانُ (4)

وهذه أبيات توضح للإنسان جهله لحقيقة الدنيا جراء خداع نفسه بمفاتنها ، وهي زائلة ويبني ويخلد فيها ظانـا أن كر الأيـام هو شيء دائم في هذه الدنيا ، ونسي أن كل يـوم يزيـد فـي عمره هو ينقص من حياته ، فرحا غير مبال .

---

(1) المصدر السابق ص220

* ترجمته في " الخريدة " ج2 ص682

(2) " نفح الطيب " المجلد "4 ص 325. " الخريدة "2 ص685

(3) نفسه ص259.

**صاحب القصيدة التي أغرى بها صنهاجة على اليهود."نفح الطيب "المجلد 4.ص317

(4) المصدر نفسه ص 317.

يتساءل عن الملوك أين ذهبوا وأين ما جمعوه هل هو نافعهم يوما ما. لكنه يعرف الجواب الذي ينحصر في " لا ":

أينَ المُلوُك وأيْنَ مَا جَــمَعُوا ومَا ذَخرُوه من ذَهَبِ المَتَاعِ الذَاهِبِ
ومنَ السَوَايِعِ والصَــوَارِمِ والقنَا ومن الصَواهلِ بدن شَــوَارِبِ(1)

و هذا **الأعمى التطيلي*** **(-525)** : يصور لنا غفلة الناس في هذه الدنيا حين يتنافسون عن كسب ودها مكذبين بحقيقة يعلمونها هي أن سوف يتركونها و تتركهم ، و يحاول آخر بناء الديار والضياع و يتمنى ويرجو زيادة في العيش ولكن حقيقة أنه ذاهب إلى القبر لا مفر منها :

تُنَافِسُ النَاسَ فِي الدُنيَا وَ قَد عَلمُوا أن سَـوفَ تقتلهــم بذَاتهَا يِـــدْءًا
وللذِي هَمَـه البُنيَـانِ يَرْفَعُــــــــــــهُ إِنَ الرَدَى لم يُغَادِر فِي الثَرَى أبَدًا(2)

ويقول :

عِتَابٌ عَلَى الدُنيَا و قُل عِتَــاب رَضِينا بمَا ترْضَى و نحن غُضَاب
وقَالَت وأَصْغَينَا إلَى زور قَولَهَا وقدْ يَستفزَ القَوْلَ و هُوَ كَـذَاب
و غَطَت عَلَى أبصَارنَا و قلوبنَا فطَالَ عليهَا الحُـوم َوهِي سَـرَاب
و دَانَت لَهَا أفواهنـا و عقولنَـا وهل عندها إلا الفَنَـاء ثَــوَاب
تلذُ و نلهُو و الأعرة حَولهَـا رفـات و نبنـي والِديَـارُ خَرَابَا
ونَغْتنم الأَيَام و هِـيَ مَصَائبُ لهُن عَلينَــا جيئَةٌ وَ ذهَــاب(3)

ويقول:

مَالِي لابن آدم لاَ تفْنَى مَطَامِعَه يَرْجُو غَدَا وَعَسَى أَن لاَ يَعِيشَ غَدَا(4)

يتعجب هذا الشاعر من الإنسان فهو يكثر من الحرص على الدنيا فيبني العمران ويدخر

(1) "نفح الطيب" المجلد 4 ص 342.
*وفيات الأعيان ج1 ص 227.
(2) "نفح الطيب" المجلد 4 ص 321.
(3) المصدر السابق . ص 322
(4) المصدر السابق ص322.

الأموال طامعا في غد وما سيفعل في غد وهو يدري أنه قد لا يعيش إلى غد.

وهذا **أبو بكر محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي*** (ت**520**) :

يخبرنا أن في هذه الدنيا هناك عباد أذكياء فهموا حقيقتها وخداعها وأن الإنسان ضعيف أمام مغرياتها ،فطلقوها وهجروها فهي لا تصلح لأن تكون مركبا آمن ولا مقرا سالما ولفطنتهم، لكل هذا أخذوا منها ما يفيدهم وجعلوا هذا الزمن وسيلة إلى الدار الأبدية :

| | |
|---|---|
| إن لله عِبـَـــــــاد فُطَنـَا | طلَقُوا الدُنيـَا وخَافُوا الفِتنَـاَ |
| فَكَرُوا فيهَا فلمـَــــا علموا | أنهـَـا ليسَت لحَـي وَطنَـا |
| جَعلُـــــــوهَا لجة و اتخَذوُا | صَالِحَ الأعمال فيهَا سُفنـاَ(1) |

وهذا **أبو بر المغيلي** *(**ت ؟**) : يظهر لنا في أبياته هذه أن كل شيء واضح لو تبينه هذا الإنسان معبرا عن الزمن بالدهر وببعض أجزائه **"لياليه"** التي تقرب إليك حتفك لا مناص :

| | |
|---|---|
| تبين فَقَدْ وَضح المَــــعْلَمُ | و كَانَ لَكَ الأمْـرُ لو تُفـْـهِم |
| هُوَ الدَهْر لسْتُ لَـه آمِـنًا | ولاَ أنتَ مـن صَرفِه تَسْــلَم |
| وإنْ أخْطَأتك لَــهُ أسْـــهم | أصابتـك بعـد له أسهـــم |
| لَيَاليِهِ تدنَي إلَـــيكَ الردى | دوائب فـي ذلك ما تسـأم |
| أتَفْرَح بالبَـــرْد بَعْد الضنَا | وَفِي الَبرْدِ دَوَاؤُكَ لَوْ تَعــْلَم(2) |

ويقول :

| | |
|---|---|
| أين الُلوُكُ وأَشْيَـاعُهُــــــم | ودُنْيَــاهُمْ أدبـرت عَنْهُـــم |
| فَهَذِي القُبـُور بِهِـم عَمَـرت | وتلكَ القُصُـور خَلَتْ مِنْهُم(3) |

* ترجمته في " أزهار الرياض" ج3 ص162. "والمغرب في حلى المغرب" ج2 .424 . وينظر الوفيات لابن قنفذ ص271

(1) "المغرب في حلي المغرب"ج2 ص. 424 /" نفح الطيب" المجلد 2 ص 88.

** ترجمته في "المغرب في حلى المغرب" ج1 ص313

(2) نفسه .

(3) "نفسه ص 314

وفي هذه الأبيات عتاب ضمني للزمن الذي هو حلقة وصل بين كل هذه الأفكار الخاصة بالموت والدنيا واندثار الأمم والقبور، فهي دعوة لكل ذي لب للتفكر في هذا الزمن و عوامله المتكررة كالليل و النهار و أخذ الحيطة منه ، فالسؤال الذي وظف فيه الشاعر لفظ **"أين"** وأتبعها بالملوك وهم أشد الناس قوة وجاها ومالا . فكيف لم ينفعهم كل هذا وذهبوا إلى القبور كسائر الخلق .

وغير بعيد عنه **أبو محمد عبد الله بن العسال الطليطلي (-487)*** يتحدث عن زوال الدنيا و لابد للإنسان أن يبصرها بعين الحقيقة حتى يأمن من غدرها ، ولينظر إلى دار البقاء :

أنْظُر الدُنيـــا فَإن أَبـ ... صَرْتُهَـــا شَيْئـًا يَدُومُ
فأغد مِنْهـــا فِي أَمَان ... إن يسَاعِـــدْكَ النعيـمُ
وَإذَا أَبْصَـــرَتهَـا منْـ ... كَ علَى كـُــرْهِ تُهيـمُ
فانسل عَنْهَا واطْرَحْـــهَا ... وَ ارتَحَلَ حَيْـــثُ تُقيـمُ (1)

وإما يجعلها في يده و يتحكم فيها إن شاء زهدها و إن شاء شارك الناس.

و هذا **ابن صاحب الصلاة (ت594هـ)** يصور لنا حال الدنيا و حال بعض ساكنيها حين يقول :

ومَازَالَتْ الدُنْيَا طَرِيقـًا لِهـَالِك ... تَبَايُن فِي أَحْوَالُهَا وَ تَخالُـف
فَفِي جَانِبٍ منْهَا تَقُـــومُ مَآتِـم ... وفِي جَانِبِ مِنْهَا تَقُومُ معَازِف
فَمَنْ كَانَ فيهَا قاطِنًا فهُو ظـَاعِن ... ومَن كَانَ فيهَا آمِنًا فَهُو خَائِف(2)

و هذا **الجزار السرقسطي* (ت606 هـ)** يذم الدنيا و الزمان و يعطي العلل على ذمه لها :

عَوَائِدُ هـَـذِهِ الدُنيـا ضُرُوبُ ... يَحْمِلُ عبأهـا الفِطَـنِ اللَبِيبِ
و للأيـَـام طَبْـعٌ مستَحيـلِ ... فَلاَ دعة تَـدُومُ و لاَ لغــوبِ
فلاَ تفْـرحُ إذَا دَنت الأَمَـانِي ... وَلاَ تَحْزَنَ إذَا دَهَت الخـطُوبُ(3)

* المعروف بابن غزلون. ترجمته في" الصلة في تاريخ أئمة الأندلس ج1 ص283.
(1) "نفح الطيب" المجلد 3 ص 208
(2) "نفح الطيب" المجلد1 ص 554
* ترجمته في" نفح الطيب" المجلد1 ص713 . وفي" المغرب في حلى المغرب "ج2 ص444
(3) نفسه.

ومَن عَرفَ الزمَان يَكن سِواء لديه العَـار و الحُلـو الشَنِيبُ
ومَضَا تَبْغِيـهِ من زَمَن لئيـــم أخُو الكَرَم الصَريع بـه معيبُ
يصَابُ لفضْلِـهِ ذُو الفَضْل فيه فيخفيه كمـا تخفـي العيـوب
يخلصـك المُهَيمِن مــن أذَاه فَلِـي مِمَا دُهيـتَ بِه نَصِيب (1)

وهذا شاعر آخر ينظر إلى الزمن والحياة نظرة تشاؤم-هو الآخر- ويحذر منها بشتى الوسائل، ألا و هو **ابن شكيل (-605 هـ)*** حين يقول :

حَذَارِ حَذَارِ من رُكُونَ إلَى الزَمَن فَمن ذَا الِذي يَبْقَى عَلَيه وَ مَنْ وَمنْ ؟
أَلَمْ تَرَ للأحداث أقْبَلَهَـا الـمُنَى وأقتـــــلها مَا عز مـن المـرء للفِتَن
تسر من الدُنْيَا بمَا هُـوَ ذَاهِـــب وتَبْكِي عَلَى مَا كَانَ مِنْهَا و لَمْ يَكُنْ
أرَى دَارَنـَا لَيْسَ بِــــدَارِ مَـقَامَة أردنا نواء عـــندهَا و هَي فِي ظَعَن (2)

وها هو يعظ من يوم كان شره مستطيرا.

إلَى الحَشْرِ واسم الحَشْرِ وِفْقَ لِشَكْلِهِ جِمَـــاعُ أُمُورُ مَا أَهَم وأَشْــنَعَـا
مقَام يَعُمُ الإِنْــسَ وَ الجِنِ هَولَـــه ويحْشـــُرُ فيه الوَحْشُ شربًا مُفْزِعَا
تبدل فيه أرْضَ غيرَ أرَاضيِــــــنَا وتطوى السماوات العُلَى طَية معًا(3)

ويقول **أبو عبد الله غريبب الثقفي (ت؟ )***:

أيــُهَا الآمل مَا لَيــْسَ لَهُ طَالَمَا غَر جُهُــــولاً أَمَلُه
رَب من بَاتَ يمَـــنِي نَفْسه خَانَه دُونَ منـــــاه أَجَلَهُ
قلْ لِمَنْ مِثْـلَ فِي أشعارَهُ يذْهَبُ المَرْءُ ويبقَى مِثْـلَه
ونافس المحســـــنِ إحْسَانَهُ فسَيَكْفِـيكَ مُسِيئا عمله(4)

(1) نفسه

* ترجمته في" تحفة القادم" ص 140

(2) (3) الموسوعة الشعرية الإصدار الثالث. (قسم الدواوين الشعرية)

*شاعر طليطلي قديم تداول الناس شعره في الزهد .ينظر الحميدي. "جذوة المقتبس"" ج2 ص519

(4) المصدر السابق ص519

ويقول **أبو الوليد الباجي سليمان بن خلف(-474)*** نفسه و الآخرين حين يقول

إذا كُــنْتَ أعْلَمُ عِلْمًا يَقِينًا | بِأَن جَمِــيعَ حَيَاتِي كَسَاعَة
فَــلِمَ لاَ أكُونُ ضنينًا بهَا | وأجعَلُهَا فِي صَلاَحَ و طَاعَة(1)

و هذا **بن زيدون (ت463هـ)**** يقول واعظا ومعتبرا:

إنَ الذِي قَـدَّرَ الحَوَادِثِ قَـدْرَهَا | سَاوَى لَدَيْـــهِ الشَهْدِ منْهَا العَلْقَم
لقدْ نَظَرَت فلا اغـتِرَاب يقْتضِي | كَـــــدَرِ المَالِ وَ لاَ توق يَعْصـم
كم قَاعِـد يَحْظَى فَتعْـجَب حَالَه | مِن جَاهَد يَصِلِ الدُرُوب فيـحرم(2)

والأبيات ألفاظها ومعانيها قوية وواضحة إذ أن بن زيدون تأمل فتدبر فعبر عن واقع الحياة ومآلها " كم قاعد يحظى" و " من جاهد...يحرم" فيتعجب ثم يسلم للذي يتصرف كيف يشاء في خلقه.

وهذا **بكار بن داوود المرواني(440هـ -؟)***** يقول:

ثِقْ بِالــــذِي سِوَاكَ مِنْ | عَدَمٍ فَإنــَــكَ مِنْ عَدَمِ
وأنظر نفســـــك قــر | عِ السِـــنِ مِن فَرْطِ النَدَمِ
واحْذَرْ وَقيَــتُ مِنْ الوَرَى | واصْــحَبْهُمْ أَعْمَى وأصَم
قَدْ كُنْـــــتَ فِي تَيْهٍ إلَى | أن لاَحَ لِي أَهْـــدِى عَلَمِ(3)

إن بكارا هذا يعظ بهذه الأبيات كل من تكبر ونسي الخالق الذي يخلق من عدم ويدعوه إلى التوبة والإنابة قبل أن يمر الزمن ويحين وقت المنية.

وهذا **الزاهد بن عياش ( ت568هـ)****** يرى أن حاله انقلبت على عكس ما تسير عليه

---

* ترجمته في "المغرب في حلى المغرب" ج1 ص404

(1) المصدر نفســـــه

** هو الوزير أبو الوليد بن زيدون الشاعر. من " المعجب في تلخيص أخبار المغرب" ص74.و "المغرب "ج1 ص63

(2) الموسوعة الشعرية الإصدار الثالث. (قسم الدواوين الشعرية)

*** ترجمته في "المغرب" ج1 ص415

(3) "انفح الطيب "ج3 ص 337. "المغرب في حلى المغرب"ج1 ص 416

**** هو أبو الحسن القرطبي الزاهد بن عباس . انظر "وفيات الأعيان " ج2 ص 353.

الأمور في العادة أو في الغالب فقد سلم من طاعة النفس وهو يرى الدنيا على حقيقتها في صغره لكن حاله قد انقلبت عندما كبر:

عصَيْتُ هَوَى نَفْسِي صَغِيرًا فَعندَمَا ... رَمَتنِي اللّيَالِي بِالَمَشِيــبِ وبِـالكِبَرِ
أطَـعْتُ الهَوَى عَكْسَ القَضِيَةِ لِيتَنِي ... خُلِقْتُ كَبِيرًا وانقلبت إلَى الصِغَرِ (1)

وقد يرى الإنسان ذلك ولا يعتبر كما توضح لنا هذه أبيات **ليحي بن الحكم البكري الجياني الملقب بالغزال (-250 هـ) حين يقول :**

أَرَى أَهْلَ اليَسَـارِ إذَا تَوَفَـو ... بَنُو تِلكَ المَقَابِرِ بِالصُخُـور
أبُوا إلاَّ مُبَاهَـــاة و فَخْـرًا ... علَى الفُقَرَاءِ حَتَى فِي القُـبورِ
فإن يكُنْ التَفَاضِيل في ذُرَاهَـا ... فإن العَـدْلُ فيهَا في القعـورِ
لعَمرُوا أبيهم لَوْ أَبْصَـرُوهُـمْ ... لَمَا عَرَفَ الغِنَي من الفقيـرِ
ولعَرفُوا العَبيدَ منَ المـوَالِـي ... ولاَ عَـرَفُوا الإنَاثَ مِنْ الذُكُـورِ
ولا من كان لبس ثوْبَ صُوف ... مِنَ البَدَنِ المُبَـــاشِرِ للْحَريـرِ
إذا أكْلَ الثَـرَى هَـذَا وَ هَـذَا ... فمَا فَضْلَ الكَبِيـرِ علَى الحَـقِيرِ(2)

ويرى **أبو بكر الزبيدي اللغوي*** **(-380.)** أو قريبا منها أنه حتى لو لم يكن هناك حساب وعقاب ولا حتى جنة ولا نار فيكفي الإنسان قبر يودع فيه يكون له واعظا و زاجرا له من المعاصي حين يقول :

لو لَمْ تَكُـــنْ نار ولا جـنة ... للمَـــــرْءِ إلاّ أَنَـهُ يقبر
لكَـــانَ فِيهِ وَاعِظٌ زَاجِـــر ... نَاهٍ لِمَـــن يَسْمَعُ أَوْ يُبْصِر (3)

**وهذا أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي القرطبي (ت 403هـ)****

(1) الموسوعة الشعرية الإصدار الثالث. (قسم الدواوين الشعرية)
(2) نفح الطيب "المجلد 2 ص 256
* صاحب مختصر كتاب العين . وصاحب كتاب الإيضاح . ترجمته "المغرب في حلي المغرب" ج1 ص255
(3) "نفح الطيب " المجلد 4 ص342
** له تصنيف تاريخ علماء الأندلس و هو الذي ذيل عليه بن بشكوال بكتاب " الصلة " . "نفح الطيب" المجلد 2 ص 129

المعروف بابن الفرضي ، يقول وهو يخاطب الله عز وجل طالبا غفرانه خائفا من كثرة الذنوب يرجوه لا سبيل له غير ذلك. يخشى يوما يفرعنه فيه الأقربون:

أَسيرُ الخَـــطَايَا عِنْدَ بَابِكَ وَاقِفٌ ... عَلَى وَجَــلِ مِمَّا أَنْتَ عَـــارِف

يَخَافُ ذنُــوبًا لَمْ يغِبْ عَنكَ غيبهَا ... ويَرْجــُوكَ فيهَا فهو رَاج خــَائِف

منْ ذَا الِذي يُـرْجَى سِوَاكَ وَ يَتقِي ... وَسَــالكِ فِي فَصْلِ القَضَاء مُخَالِف

فَيَا سَـيدِي لاَ تخزني فِي صَحِيـــفَتِي ... إذا نشـرت يوم الحساب الصحَائِف

كُنْ مُؤْنِسِي فِي ظُلْمَـةِ القَبْرِ عِنْدَمَا ... يصـــد ذَوُوا القُربَى يَجْفو الموالفُ

لَــئِنْ ضَاقَ عَنِي عَفْوَكَ الوَاسِـعُ ... أَرْجَــــي لإِسْرَافِي فَإِنِي تَالِــف(1)

وهذا **أبو وهب عبد الرحمان العباسي (-344)*** يذكر حاله وقد ابتعد عن ملذات الدنيا فرأى نفسه أحسن الناس فهو لا يلبس كسوة فاخرة ولا مال يخاف عليهما من لص يغير عليه ولا حتى منزل يستقر فيه وذلك، بعد ما كان قد تلذذ بأمور وهي الآن أصبحت خيالا لا ينفع بل قد يضر صاحبه.

أنَــا في حَــالَتِي التِي قَد تَرانِــي ... أحْسَنُ النَــاسِ إنْ تَفكَرت حَالاً

مَـنْزِلِي حَيْثُ شئتُ من مُسْتَقَرالـ ... أَرْضِ أسـْــقِى مِنَ المِيَاه زَلاَلاً

ليـْـــسَ لِي كَسْوَة أَخَافُ عَلَيهـَا ... منْ مغَـــيرِ و لا ترَى لِي مَالاً

أجْـــعَلُ السَاعِدَ اليُمْنَى وسَادِي ... ثُمَ أُثْــنِي إذَا انقَلَبْتُ الشمَالاَ

فقَدْ تَلذذَت حَقْبَة بِأمـُــــــــورِ ... فتَدَبَرْتُهَا فكـَـــــــــانت خيَالاَ(2)

وهذا **ابن مفوز أبو الحسين****(-484)** يصور لنا القناعة في شيء بسيط يعقله كل عاقل أراد أن يهنأ في دنياه ، حين يقول:

---

(1) نفح الطيب" المجلد 4 ص 129

* ذكره بن بشكوال فيمن هم من بني العباس . ينظر" المغرب في حلى المغرب" ج1 ص57

(2) " المغرب في حلى المغرب" ص57 . "نفح الطيب" ج2 ص 207

** هو أبو الحسن المعا فري الشاطبي (-484 هـ) ينظر" الصلة في تاريخ أئمة الأندلس"ج1 ص391."

حـــــاز دنياه كلـها ... محـــــرزا أكبر المنن
من حـوى قوت يومه ... آمـــــنا سالم البدن(1)

**وهذا أبو الفضل بن الأعلم** *(-546)

يقول في الزهد :

المَوْتُ يشْغَــلُ ذِكْــرَهُ ... عَنْ كُـلِ مَعْلُومٍ سِــوَاه
فاعمُر لـــهُ رُبْعَ ادكَـا ... رِكَ في العَشيَةِ وَ الغُـدَاةِ
واكحل به طرف اعتـبا ... رك طُولَ أَيَام الحَيَـــاةِ
قَبْلَ ارتكَاض النَفْس مَا ... بيْنَ التَرَائِبِ و اللُهـَاهِ
عَصَفَتْ بِهِ رِيحَ المَنُـــو ... ن فصـيرتُهُ كَمَا تَــرَاه
فضَـعُوهُ فِي أَكْفَانِـــــهِ ... ودَعُـوهُ يَجْنِي مَا جَنـَاه (2)

(1) "نفح الطيب" المجلد 4 ص 121
* ترجمته في" المغرب في حلى المفرب" ج1 ص396
(2) "نفح الطيب" المجلد 4 ص 31.

### 3.الحياة الثقافية في المغرب العربي في بدايات الفتح الإسلامي:

إن طبيعة الموضوع المعالج توحي إلينا أن نولي اهتماما بعض الشيء بالجانب الثقافي للمنطقة في بدايات الفتح الإسلامي ونتيجة للانتشار الإسلامي ، وتوالي الفتوحات في بلاد المشرق ، كان من البديهي أن تمتد هذه الفتوحات لتشمل بلاد المغرب، بهدف نشر الدين الإسلامي هناك، وأيضاً كانت بهدف تصفية الإمبراطورية البيزنطيّة ، لأن بلاد المغرب كانت في ذلك الوقت تابعة لها، وأيضاً من الدوافع التي حذت بالمسلمين إلى الزحف لفتح تلك البلاد ، هو حماية ظهير الإسلام وتوطيد أركانه في بلاد الشام ومصر، وإضافة موارد جديدة لبيت مال المسلمين ، هذا بالإضافةً إلى العمل لتقوية صفوف المسلمين وتوسيع رقعة الدولة الإسلامية. لم يكن هذا الفتح بالأمر الهيّن ، فقد استغرقت الفتوحات أكثر من (سبعين عاماً) ، لأسبابٍ عديدة ، منها الموقف السلبي للمغاربة المعادي لتلك الفتوحات ، هذا بالإضافة إلى أن الزحف الإسلامي قد توقف فيها بسبب انتشار الفتن.

ومنذ أن أذن عثمان بن عفان– رضي الله عنه– إلى بن أبي السرح بفتح إفريقية و قال له : " إن فتح الله عليك فلك خمس الخمس من الغنائم " (1) . ثم كان الفتح الأكبر مع عقبة بن نافع، كانت الحركة الثقافية الدينية تنتشر بانتشار الإسلام من قبائل البتر و البرانس: لواته ، زواغة و نفوسة و هوارة و زناتة ، فتأسست القاعدة الأولى الإفريقية و بوابة المغرب العربي " القيروان" ، التي دعا مؤسسها عقبة بن نافع بدعاء صالح لها حين قال : " اللهم املأها علما و عمرها بالمطيعين لك ، و العابدين و اجعلها عزا لدينك ،و ذلا لمن كفر بك و أعز بها الإسلام "(2).

كما لا يفوتنا هنا أن نذكر أولئك العرب الأوائل من الصحابة كعبد الله بن عمر بن العاص و عبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر بن الخطاب وحمزة بن عمرو الأسلمي وعبد الله

---

(1) ابن خلدون. ج2 ص 573

(2) "الجزائر في التاريخ – العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني" ، ص 29

بن أبي بكر الصديق، وغيرهم (1) فهؤلاء وغيرهم كثير كان لهم باع كبير في تأسيس قواعد اللغة في هذه البلاد.

دخل البربر في الإسلام في السنوات الأولى من الفتح الإسلامي، وتم انضمام العديد منهم إلى الجيوش الإسلامية الفاتحة ، فشاركوا المسلمين في غزواتهم ومعاركهم ضدّ الروم، وما تبقّى من قومهم الذين لم يدخلوا إلى الإسلام ، وتواصل دخول البربر إلى الإسلام بصورة متتابعة إلى أن انتهى ذلك بدخول أغلبهم به ، وبقي قليل منهم على الدين المسيحي ، واليهوديّ ، والوثنيّ

كما تأثرت ديمُوغرافيا شبه الجزيرة العربية بفتوحات المغرب ، فقد هاجر الكثير من ساكنة القرى ، والبلدات الحجازية ، واليمنيّة ، واستقرّت بالبلاد المفتوحة ، والتحقت عائلاتهم بهم ومنهم بنو هلال القيسيون ، ومع مرور الوقت استعرب الكثير من البربر بسبب الاختلاط الطويل ، والتثاقف مع العرب ، بينما بقي قسم آخر ، وعلى وجه الخصوص ساكني الأرياف محتفظين بهويتهم الخاصة ، ومع مرور التاريخ برزت في المغرب عدّة سلالات حاكمة بربرية قامت بالدفاع عن الإسلام.

ولقد بين ذلك صاحب المؤلف الشهير " المغرب العربي تاريخه و ثقافته " رابح بونار حين ذكر أن الحركة العلمية والأدبية كانت مع دخول الفاتحين العرب لهذه المنطقة و أن تلك هي البذور الحقيقية لأي تفكير أدبي ولعلها بدأت بالنثر ثم انطلقت للشعر لحداثة أهل المغرب بالعربية. و لعلها بدأت بالخطابة فنجد عبد الله بن الزبير الذي قدم غازيا مع ابن أبي السرح سنة 27 هـ كان خطيبا وعقبة بن نافع الذي نزل إفريقية سنة 50 هـ كان كذلك ، حين نذكر كلمته التي أوصى به أبناءه (2) ، ثم جاء موسى بن نصير سنة 88هـ الذي لم يقل شأنا عنهما حين تشهد له خطبته " أيها الناس إنما كان قبلي على إفريقية أحد رجلين : مسالم يحب العافية و يرضى بالدون من العطية و يرضى أن يكلم و يحب أن يسلم أو رجل قليل المعرفة ، راض

(1) ينظر أبي العرب " طبقات علماء إفريقية " ص2

(2) ينظر رابح بونار ص 48 ، 49

بالهوينا ، و ليس أخو الحرب إلا اكتمل السهر و أحسن النظر ... (1)

ونذكر ضمن هذه البدايات للحركة الأدبية في المغرب، قائدا عظيما هو طارق بن زياد صاحب الخطبة الشهيرة التي تداولتها كتب التاريخ وكتب الأدب وكل من بحث في تلك الفترة أو تلك المنطقة . ونلج النوع الثاني من الأدب ألا وهو الشعر، حين نستشهد لهذه الفترة بشعر سابق المطماطي أو سابق البربري الذي قال واعظا عمر بن عبد العزيز الخليفة العادل (99هـ-101هـ):

إن الأُمُـورَ إذَا إسْتَقْبَلَهَا إشْتَبَهَـتْ ... وَ فِي تَدَبُـرِهَا التِبْيَـان وَ العِبَـرِ

وَ المَرْءُ مَا عَاشَ فِي الدُنْيَا لَهُ أَمَل ... إذَا اِنْقَضَى سَفَـرٌ مِنْهَـا أَتَى سَفَر

لَهَا حَـلاَوَة عَيْشٍ غَيْر دَائِمَـــة ... وَ فِي العَوَاقِـبِ مِنْهَا المَدْ وَ الصبْر

وَ لَيْسَ يَزْجَرْكُمْ مَا توعَظُونَ بِـهِ ... وَالبَهم يَزجْرُهَا الرَاعِي فَتَـنْزَ جِـر

أَصْبَحْتُمْ جُزُرًا لِلْمَوْتِ يَقْبِضُكُمْ ... كَمَا البَهَائِم فِي الدُنْيَا لَـكَم جزَر (2)

كما نذكر عالم وأديب نبغ في هذه الفترة و هو عبد الرحمن بن زياد القيرواني المولود سنة 74 أو 75هـ و قتلته الخوارج سنة 140هـ (3) والذي يقول في حنينه إلى القيروان لما كان بالمشرق :

ذَكَرْتُ القَيْرَوَانَ فَهَاجَ شَـــوْقِي ... وَ أَيْنَ القَـــيْرَوَانَ مِنَ العِرَاق

مَســـــيرَةَ أَشْهَرُ لِلعيس نصا ... وَ مِنْ يَرْجَى لَنَا وَ لَهُ التَــلاَقِي

بِأَن اللهَ قَدْ خَلَى سَـــــــــــبِيلِي ... وَ جَدَ بِنَا المَسِيــرُ إلَى مَزَاق (4)

ونذكر كذلك في هذه الفترة الحسام بن ضرار الكلبي (ت 128هـ) ، الذي كان من الجنود العربية بإفريقية يقول ردا على الأمويين:

---

(1) المرجع السابق ص49

(2) نفســـه ص51

(3) نفســـه ص 50

(4) نفســـه ص51

أفأَتم بَيْنَ مَرْوَانَ قَيْسَــا دِمـاءَنَا وَفِي اللهِ إنْ لَمْ تَنْصِفُوا حكَـمٌ عَدْلُ
كَأَنكُمْ لَمْ تَشْهَدُوا مَرَجَ رَاهِـطٍ وَلَمْ تَعْـلَمُوا مَنْ كَانَ ثُم لَهُ الفضلُ
وَ قِينَاكُمْ حَدَ القِنَا بِنُــحُورِنَـا وَلَيْس لَكُمْ خَيْلٌ سِوَانَا وَلاَ جَـلُ (1)

ونذكر المساجلة التي دارت بين الوالي الأغلب بن سالم بن خفاجة التميمي و الحسن بن حرب الكندي الموالي للأمويين حين يقول الأول :

ألاَ مِنْ مَبْـلَغ عَنِي مَقَــالاً يَسِيرُ إِلَى الحَسَـنِ بْنُ حَـرْبِ
بِأَنْ البَغِيْ أَبْعَدَهُ وَ بَــــالَ عَلَيْكَ وَ قَرْبَـهُ لَكَ شَـرُ قُـرْبِ
وَ إِنْ لَمْ تَدَعْنِي لِتَنَالَ سَـلْمِي وَعفْوِي فَأْذن مِنْ طَعْنِ وَضَرْبِ (2)

وأجابه الحسن بن حرب بهذه الأبيات مشابهة لها :

أَلاَ قَوْلاً لأَغْـلَبِ غَيْرِ سِـرٍ مُغْلَغَلَةٍ عَنْ الحَسَنِ بْنُ حَـرْبِ
بِأَنَ المَــوْتَ بَيْنَكُمْ وَ بَيْـنِي وَكَأْسُ المَــوْتِ أَكْرَهُ كُل شُرْبِ
رُوَيْدَكُمْ فَيَوْمُكُمْ وَ يَــــوْمِي وَإِنْ بَعْدَا مَصيـرُهُمَا لِقُـرْبِ (3)

وهناك شعراء آخرون عاصروا هذه الفترة : كثابت السعدي و سليمان الغافقي الذي كان بإفريقية على أيام ولاية يزيد بن حاتم المهلبي . كما نذكر الجانب الآخر من الأدب في هذه الفترة وهو النثر، حين نذكر خطبة حنظلة بن صفوان الذي ثارت عليه الخوارج 121هـ والتي مطلعها : " من حنظلة بن صفوان إلى جميع أهل طنجة فإن أهل العلم بكتاب الله و سنة نبيه صلى الله عليه و سلم ..." (4).

كما نجد إدريس الثاني في المغرب الأقصى والذي كان صاحب إمارة له نصيب في الخطابة ومطلع واحدة من خطبه:

(1) نفسـه 51
(2) نفسـه 57
(3) نفســه ص58
(4) نفســه ص55

" الحمد لله أحمده و أستغفره و أستعينه و أتوكل عليه ، و أعوذ به من شر نفسي ....." (1) .

ومن أشهر الشخصيات العلمية و الفقهية التي كانت في المغرب في القرن الثاني نجد أبو كريب جميل المعافري ، و ابن فروح الفارسي و أبو زكرياء يحي بن عمر و صقلاب بن زياد الهمذاني و أبو عثمان حاتم بن عثمان المعافري وابن غانم ... وأسد بن الفراث و سحنون بن سعيد ... (2).

وإذا لاحظنا تلك المقاطع الشعرية في تلك الفترة والتي تكررت في كتب التاريخ وكتب الأدب نجدها قوية الأسلوب واضحة المعاني صادقة العواطف ، لا يوجد فيها تكلف ، خالية من الصيغة البيانية و التنميق البديعي لكن ما زانها هو عاطفتها الصادقة التي جعلتنا نقرأ من خلالها أفكار من عاشوا في تلك الفترة في منطقتنا العربية .

ولما كان موضوعنا هو الزهد أو شعر الزهد بالخصوص فلابد أن نذكر بعضا منه في هذه الفترة وإذا أردنا ذلك فيجب أن نوفر فسحة و لو قليلة للشاعر سابق البربري أو المطماطي حين يقول:

النَفْسُ تُكَلفُ بِالدُنْيَا وَ قَدْ عَلِـمَتْ أَن السَلاَمَةَ مِنْهَا تَرْكَ مَا فيـهَا

وَ الله مَا قَنَعَت نَفْس بِـمَا رُزِقَـت مِنَ الَمعِيشَةِ إِلاَ سَوْفَ يَكْفِـيهَا

أمْوَالَنَا لِذَوِي الميـرَاث نَجْـمَعُهَا وَدَوْرُنَا لِخَرَابِ الدَهْرِ نَبْنِـيهَا

قِسْ بِالتَـجَارِبِ أَحْدَاثَ الزَمَنِ كَـما تَقيسُ نَعْلاً بِنَعْلِ حينَ تَحْذُوهَا

وَالله مَـا عَـبَرْتْ فِي الأَرْضِ قَاطِرَةٍ إِلا وَ صَرَفِ اللَيَالِي سَوْفَ يَفْنيِـهَا(3)

والأبيات كما هو ملاحظ سهلة الألفاظ ، لا تطلب جهدا لفهم معانيها أو شرحها و إن كان شعر الزهد كله واضح لا تكلف فيه ، فالنفس كما يصفها سابق تتعب من أجل دنيا زائلة وهذه النفس لو تركت هذه الدنيا الزائلة لسلمت ولكانت مرتاحة ، وإنها لو كانت قنوعة

(1) نفسه ص 58
(2) نفسه ينظر الصفحات 65 -73
(3) عبد الله كنون ،" سابق البربري شاعر من المغرب" . مطبوعات مجمع اللغة العربية .بدمشق .سوريا .1969. ص1

لكفاها ما رزقها الله و لو كان قليلا ، ثم إن الإنسان نجده يكد و يجتهد لجمع المال و هو تاركه لغيره غير مستفيد منه في تلك الدار الخالدة ، و أن كل شيء فوق هذه الأرض هو إلى زوال و إلى فناء لا محالة والشاعر نفسه في أبيات أخرى يطرق موضوعا زهديا آخر هو ذهاب الأمم السابقة حين يقول:

أَيْنَ الْمُلُوك التِي عَنْ خَطْبَهَا غـَفَلَتْ ... حَتى سَقَاهَا بِكَأْسِ المَوْتِ سَاقيـهَا
غَرَتْ زَمَــن بِمُلْكٍ لاَ دَوَامَ لَـــــهُ ... جَـهْلاً كَمَا غَرَ نَفْسًا مِنْ يَمْنِيهَا
وَ صَبَحَتْ قَوْمًا عَاد فِي دِيـَــارِهِمْ ... بِمَفْظَعِ يَوْمَ عــَادَتْهُمْ عَتـوَادِيهَا
وَ تَتَبُعا وَ ثَمُود الحجر غَادَرَهُــــم ... رَيْبَ المَنُونَ رَمِيمًا فِي مَــغَانيهَا
فَكَيْفَ يَبْقَى عَلَى الأَحْدَاثِ غَابِرُهَا ... كَأَننَـــا قَدْ أَظَلَتْنَا دَوَاهِــيهَـا (1)

وذكر الأمم السابقة هو أحد المواضيع التي طرقها شعراء الزهد العربي ، فتجعل المتأمل فيها يعود أدراجه إلى الطريق المستقيم بعد أن كان غر نفسه بالأماني الدنيوية. فالشاعر هنا يذكرنا بتلك الأقوام التي كانت ذات بأس وقوة فكفرت بأنعم الله فعاقبها وزالت بطريقة أو بأخرى من على الأرض كما حدث بذلك القرآن الكريم ، بتلك الديار الخاوية على عروشها(2).

ولابد أن نشيد بالثقافة الدينية للشاعر سابق المطماطي فالتناص مع القرآن الكريم واضح في قوله : " و صبحت عاد " مع الآية " (3) "**ألم ترى كيف فعل ربك بعاد**"

" و ثمود الحجر" مع الآية (4)."**وثمود الذين جابوا الصخر بالواد**"

ولا شك أن هناك آخرون ممن أثروا الحياة الثقافية في المغرب العربي في بدايات الفتح الإسلامي نكون قد غفلنا أو قصرنا في البحث عنهم ، ولعل الذي ساعد في تطوير هذه

(1) نفســــــه ص5

(2) في معنى الآية "**فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها**" 45 من سورة الحج

(3) سورة الفجر .6

(4) سورة الفجر.9

الحركة الثقافية هو وجود أولئك الخطباء و الشعراء في جيوش الفتح و تلك المساجد التي كانت تبنى في كل منطقة تم فتحها ، كمسجد عقبة بن نافع بالقيروان والـذي كان منارة علم وفقه تشبع بها أهل المنطقة ، ولعل تلك البعثة التي أرسلها عمر بن عبد العزيز و التي تكونت من عشر فقهاء تكون قد ساهمت بقسط كبير في التنوير و التعليم ، و كانت سببا للبذور الأولى للأدب المغربي ، و خاصة أن أغلب أدباء تلك الفترة الأولى وحتى وقت متأخر عليها كان لهم حظ من الدين أو نقول علماء فقه أو حديث أو متشبعين بالثقافة الدينية ، وهو الدافع الحقيقي لجعل أدبهم واضحا دون تعقيد متسما بالصدق والبساطة وعدم الاهتمام بالتنميق والتصنيع البيانيين (1).

(1) ينظر ، رابح بونار.ص53،54

## 4. بعض المصادر و المراجع المعتمدة:

إن المجموعة الشعرية التي تمكنا من جمعها والتي تخص هذه الفترة المحددة في هذه القرون التسعة أي من القرن الأول الهجري إلى نهاية القرن التاسع الهجري و الخاصة بمنطقة المغرب العربي هي مجموعة مهمة لكل دارس أو باحث أراد الكشف عن البنية الفكرية المغربية التي تنطلق منها جميع البنيات الأخرى والتي تعبر عن ثقافة مجتمع و توجهاته ، و الملاحظ أن شعر الزهد هذا هو مشتت في تراجم الشعراء ضمن كتب التاريخ و كتب الأدب وعليه فقد حاولت الإحاطة بالمادة الشعرية اللازمة و اعتمدت على بعض من المصادر منها :

**1.الحلة السيراء:**

لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الأبار.

1. **نفح الطيب:** لصاحبه المقري التلمساني

ويعتبر نفح الطيب من المصادر الأساسية للأدب العربي المغربي ، وجل الباحثين يعتمدون عليه وقد مدني بالمادة الشعرية الكافية ، وعلى الرغم من أن صاحبه خص به بلاد الأندلس إلا أن هذه البلاد لم تكن منفصلة تماما عن المغرب  وكان الانتقال المتواصل سمه أولئك الشعراء

**2. رياض النفوس:**

إن مؤلَف رياض النفوس ذخيرة هامة عند المغاربة ، فقد ترجم فيه صاحبه أبو عبد الله بن محمد المالكي لعدد من العلماء و الزهاد و النساك في القيروان و إفريقية  وتعرض لأخبارهم و سيرهم و ذكر أشعارهم الزهدية ، وهو بظهر لنا الحياة الفكرية السائدة في حقبة من الزمن لتلك المنطقة و من تنقل و عاش فيها من علماء الفقه و الأدب و الزهد و التصوف .وهو الأخر يعد من طبقة الزهاد و العلماء و أصحاب المذهب السني في المغرب العربي.

**3. أدباء وشعراء من تلمسان: لصاحبه بوزياني الدراجي والذي أفادني في جمع أشعار** لبعض الشعراء من تلمسان .

**4. خريدة القصر و جريدة العصر:**

صاحب هذا المؤلف هو العماد الأصفهاني ترجم لجمع من الشعراء الأمة الإسلامية و ذكر بعض شعرهم ، ولقد أفادني في التوثيق منه هو الآخر لبعض شعراء المغرب في "باب في ذكر عدة من شعراء المغرب من أهل العصر".

5. **أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض**: تأليف العلامة أبي العباس أحمد بن محمد المقري التلمساني/ ت 1041هـ. وكتاب جامع شامل مفيد – إن شاء الله تعالى- .ترجم للكثير من شعراء المغرب والأندلس.

6. **الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد :**

لصاحبه محمد بن رمضان شاوش الذي يطرق فيه الشاعر الفد بكر بن حماد التاهرتي بعد أن تقدم بالحديث عن حالة المغرب العربي ومدينة تيهرت بالخصوص والتي سطع نورها في سماء المغرب في القرن الثالث الهجري ، وقد خص شاعرنا هذا بترجمة مفصلة.

7. **مصادر أخرى :**

هناك مصادر ومراجع أخرى أذكرها، قد كان اعتمادي عليها هي الأخرى متفاوتا، كـ"الإحاطة في أخبار غرناطة "لصاحبه لسان الدين بن الخطيب و "المغرب في حلى المغرب" لابن سعيد و "الأدب العربي في المغرب العربي" لصاحبه العربي دحو و"المغرب العربي، تاريخه وثقافته" لصاحبه رابح بونار و مؤلفات أخرى نتفت منها ما رأيته صالحا لهذا البحث .


الفصل


الثاني

# موضوعات شعر الزهد

- **هواجس شعراء الزهد المغاربة:**

شعر الزهد في الأصل جاء ردا على تيار اللهو والمجون ، و العيش الترف ، و انتشار الخمر و مجالس الغناء . فقامت طائفة من الشعراء على رأسهم أبو العتاهية بالتصدي لهذه التيارات باستعمال غرض جديد هو الزهد ، فكانت قصائدهم داعية إلى التوبة و الرجوع إلى الله ، ونبذ هذه الظواهر.

من هذا المنطلق يمكن توظيف الدعوة إلى الزهد إيجابيا في خدمة المجتمع المسلم، والنهوض به وذلك بطرح قضايا فعالة في نهضة الأمة ، مثل تقديم مصلحة الأمة على المصلحة الشخصية، وإيثار الآخرة على الدنيا ، والعمل الدؤوب في خدمة الدعوة والرفع من شأنها ، والصبر وتحمل المشاق في سبيل هداية التائهين ، وتقديم المساعدة للناس في أوقات الشدائد ، ونحو ذلك، فالزهد السليم هو عمل إيجابي لتربية المجتمع الصالح ، وليس انسلاخا عن الواقع وهروبا من مواجهته كما شاع عند الناس.

وهنا أحاول أن أضع موضوعات وجدتها من خلال اطلاعي على هذا النوع من الشعر. ولأكون محددا فكرتي أكثر أقول: عناوين لأفكار راودت أولئك الشعراء وسارت على ألسنتهم بعد أن اختلجت في صدورهم ، وذلك بعد طول تأمل في قضايا الكون ومصير الإنسان والوجود و الزمن والموت والولوج في عالم الغيبيات مستندين ومدعومين في هذا التأمل بالدين الإسلامي الذي وضع المفاهيم لهذه الحياة الدنيوية ودور الإنسان فيها . كل هذا عبر عنه هؤلاء الشعراء في مواضيع عدة كذكر الموت أو الدنيا الزائلة أو الزمان أو القبر أو ذكر التوكل على الله أو الشيب الذي هو باب الخروج من هده الدنيا أو ذكر الأمم الخالية ، أو الاعتبار من تغير حال الإنسان أو محاربة النفس الطماعة في ملذات الحياة أو الخوف من كثرة الذنوب أو طلب الصفح عل وعسى . هذه الأفكار النابعة من النزعة الزهدية والتي كانت تنطوي تحت محاور رئيسة كالوعظ والتذكير والحكمة حاولت تفكيكها ووضعتها كعناوين هي هواجس

لأولئك الشعراء تتبعها نماذج من شعرهم في تلك الفترة الزمنية الممتدة من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن التاسع الهجري .

أ. **هاجس الموت :**

وما زال الموت هو النهاية الأكيدة ، فيجب الاعتبار قبل الرحيل ، ولكن قبل أن تطوى صفحة العمر. إذا كانت مشكلات الحياة الإنسانية قد وجدت في الإنسان الاهتمام الذي تستحق والعناية الكافية من أجل حلها ووضع حد لنهايتها ، فإن الموت قد ظل بالنسبة له هو المشكلة الكبرى والمأساة الخانقة، والهاجس الباعث لقلقه وحيرته وضياعه، فبمجرد التفكير فيه، مجرد التصور للناهية يجعل الإنسان يرتعد من الخوف.

فالبشرية تنفعل حين تواجه حقيقة موتها بالذات ، وتختلف مظاهر هذا الانفعال من إنسان لآخر، فالحقيقة الإنسانية العادية لا تقوى بادئ الأمر على احتمال هذهِ الحقيقة والقبول بها فتهرب إلى كل ما يبعدها عن التفكير في الموت.

الموت هاجس كل الأحياء ، يتهددهم كل لحظة ، ويبعث في نفوسهم الخوف والرعب ، فنحن نخشى المستقبل والمجهول. وإذا كان الشعر العربي في مراحله المتعددة قد عرف ظاهرة الموت ، وكان للشعراء منها مواقف تتأرجح– في أغلبها– بين اللوعة والرفض والتسليم والشك واليقين فإن للشعراء المغاربة رأيتهم الي لا تخرج عن تعاليم الدين الحنيف . وإن كان مصير الإنسان عموما الذي يعيش منطلقاً في الوجود حالماً محباً ، وفي لحظة من اللحظات يفقد إلى الأبد حيويته ونشاطه وصورته الإنسانية ، ويتحول إلى جثة هامدة ، أو إلى جيفة تتحلل في باطن الأرض داخل حفرة موحشة لا خلاص له منها ولا مهرب.

لعلها الفكرة الرئيسة عند شعراء الزهد . فالقلق الذي ينتاب الإنسان هو مصيره بعد هذه الحياة والتي بعدها – لا محالة– موت وهي ظاهرة حتمية في هذا الكون، تصيب المؤمن كما تصيب الكافر ولا تختص بجنس مخلوق دون آخر ، وهي خلق من خلق الله وهي ضد الحياة و الموات ما لا روح فيه ... والموتة جنس من الجنون و الصرع والمستميت : الشجاع الطالب

للموت ، مات : سكن و نام و بلي ... والهلاك كلمة تعني الموت الحتمي والقدر المقدور والحقيقة التامة . وقد يعبر بالموت النوم الثقيل و يستعار بها للفقر والذل والسؤال والهرم ... لأن النوم يزول معه العقل والحركة ... (1). فالدنيا ليست سوى منزل ـ أي محطة ـ يستريح بها المسافر، ثم لا يلبث أن يتركها مغادرا في رحلة سفره الطويلة نحو الآخرة ، بل ربما كانت أقل من ذلك ، فهي ظل سريع الزوال.

إن آيات القرآن الكريم كثيرة هي التي تذكر مصير الإنسان وتذكر بالميعاد وتجسد نهاية مسيرة الكائن الإنساني في الحياة الدنيا . وتعبر عن مصيره المحتوم الذي لابـد من لقائه : ﴿ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(2).

و قوله تعالى في سورة الأنعام : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾(3).

و قوله تعالى : ﴿ قُل يتوفاكم مَلَكُ المَوتِ الذِي وُكِلَ بِكُمْ ثُمَ إِلى رَبِكُم تُرجَعُونَ﴾ (4) ، و قوله تعالى : ﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ﴾ (5) ، و قوله تعالى : ﴿كُلُ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَا وَجْهَهُ﴾ (6) .

و قوله تعالى : ﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ، وَعْدُ اللَّهِ حَقَا إِنَهُ يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُم يُعِيدُهُ ﴾(7)

إن التهويل الضمني في هذه الآيات من الموت جعل شعراء الزهد يخذونه هاجسا لهم في

(1) " لسان العرب " ج2 ص 90-94 .
(2) سورة الجمعة الآية : 8
(3) سورة الأنعام الآية : 61
(4) سورة السجدة :11الآية
(5) سورة الواقعة : الآية 83.
(6) سورة القصص الأية 88 .
(7) سورة يونس الآية 04

شعرهم معبرين عنه و عن هذا الهول الكائن وراءه ، و إن كان الموت هو عملية بسيطة حين نقول هو " فصل النفس عن البدن أو هو انفصال العنصر الفاعل الإنساني الذي هو النفس الباقية عن العنصر المنفعل الظرفي الذي هو البدن الفاني " (1) ، إلا أن الرعب والخوف يكون بعد تلك العملية التي تظهر بسيطة للإنسان . قال تعالى : ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾(2) و الإنسان لا يعلم الغيب لهذا فالزاهد الحقيقي يخشى أن يكون ضمن الجزء الثاني من الآية الكريمة ، فنجده يعد العدة لهذا القدر المحتوم . لكل هذا كانت فكرة الموت محورا أساسيا عند شعراء الزهد كل حسب إيمانه و عقيدته وأمام هذه الحتمية التي يجد نفسه عاجزا عن دفعها و قد تأتيه بغتة و هو منهمك في مشاغله الدنيوية . فكان الموت كما تصوره الشاعر الجاهلي هو نهاية الوجود الإنساني والتوقف عن ممارسة الحياة بكل متعها ، و الموقف الوجودي للشاعر الجاهلي يتمثل في كراهيته للفناء الذي يجعله يتوقف عن ممارسة ملذات الحياة (3) . ظانا أن هذه المنية لا توجد بعدها حياة أبدية أخرى . وظانا أنها ظاهرة اعتباطية تصيب من تشاء و تترك من تشاء ، ترى ذلك في قول زهير بن أبي سلمى :

رَأيْتُ المَنَايَا خبط عَشْوَاء منْ تَصِبْهُ ... يَمُتْ و من تخطأ يعمر فَيَهْرم (4)

فزهير هنا يصور الموت كأنها ناقة عشواء لا ترى تضرب في الأرض دون مسار موجه.

وقد صور الشاعر المغربي المسلم الميتة أو الموت من خلال أشعاره _ وهنا لا نخص بها غرضا دون الآخر فقد كثر ذكرها في الرثاء كما كثر ذكرها في الزهد- فهذا محمد بن أبي دؤاد يرثي محمد بن سحنون قائلا:

---

(1) موقع العلامة الشيخ عبد الكريم آل شمس الدين info@islamicbrain.com

(2) سورة يونس 04.

(3) عفت الشرفاوي – "دروس و نصوص في قضايا الأدب الجاهلي" . دار النهضة العربية للطباعة و النشر 1979 ص 287.

(4) الأعلم الشنتمري ."شعر زهير بن أبي سلمى". تحقيق د.فخر الدين قباوة . دار الأفاق الجديدة–بيروت. لبنان ط3. 1980 ص25

مَا ضَرَهَا لَوْ أَمْتَعَتْ بِمُــحَمَدِ هَيْهَاتْ ! رَبِ العَالَمِينَ قَضَى لَهَا
قُلْ لِلْمَنِيَةِ بَعْـدَ مُـــحَمَدِ تَكْسُو الخَلِيقَةَ بَعْدَهُ أَحْبَالَهَــا (1)

فالشاعر يخاطب المنية على أنها لو تركت محمدا قليلا من الزمن يعيش ما ضرها ذلك لكنه يرجع إلى أنها قضاء وقدر وكل شيء في يد الخالق ، ثم يرجع من حسرته على صاحبه وحزنه عليه فيخاطبها من جديد أنها لا ضير أن تكسو الآن الخليقة كلها بعد محمد ما دام أنها أخذت هذا العلم الشهير بعلمه وفقهه و زهده .

ونلج إلى ذكر الموت في الشعر الزهدي عند المغاربة ، و لنبدأ بسابق البربري الذي يقول:

و كم من صحيح باتَ للموت آمناً أتتهُ المنايا بغــــتةً بعدما هَجَع
فلم يستطع إذ جاءه المــــوت بغتة فراراً ولا منه بـــــقوته امتنع
فأصبح تبـــــكيه النساءُ مقنعاً ولا يسمع الداعي وإن صوته رفع
وقرب من لحدٍ فصـــار مـــقيلهُ وفارق ما قد كان بالأمــس قد جمعَ
فلا يتركُ المــــوتُ الغني لمــالهِ ولا معدوماً في المالِ ذا حاجةٍ يدع(2)

ومن أشهر شعراء المغرب بكر بن حماد التاهرتي (-295هـ) (3) بن سمك بن اسماعيل الزناتي الذي نشأ بتيهرت و أخذ عن علمائها (4) وتوفي بقلعة ابن حمه شمال مدينة تيهرت(5) التحق ببلاد المشرق مارا من القيروان سنة 217 هـ وكل من ذكر المغرب العربي و الأدب المغربي قديما إلا و جاء على سيرته و على أنه اتصل بأهل المشرق من أمثال ابن الأعرابي الرياشي و بشر بن حجر و أبي حاتم السجستاني. وغيرهم كثير فتعددت ثقافاته وتطورت مهاراته الدينية و الأدبية ، وبعد طواف طويل عاد إلى موطنه تيهرت وتوفي وهو في مقربة منها سنة 296 هجرية . وقبل أن يعود إلى المغرب ويقيم بالقيروان للتدريس هناك بجامعها كان قد

(1) المالكي ، "رياض النفوس" ج2. وينظر تراجم أغلبية ص 187.
(2) شعر سابق بن عبد الله البربري –دراسة وجمع الدكتور بدر ضيف–ط2004/1 دار الوفاء –الاسكندرية –مصر (ص118)
(3) رابح بونار. "المغرب العربي تاريخه و ثقافته" ص 120.
(4) الدباغ "معالم الإيمان " ج 2 ص 292
(5) الأخضر السائحي. "بكر بن حماد شاعر المغرب العربي في ق3 ".ص14

اتصل بأبي تمام و دعبل (1) ، قال عنه الطمار " وهو يتزعم الحركة الزهدية في الأدب المغربي يومئذ كما كان يتزعمها أبو العتاهية في الشرق " (2). وهو من المجيدين في الرثاء لأنه أصيب في ولده، عاش في عصر كثرت فيه الفرق من أباضية (3)، و معتزلة (4)، و صفرية (5) ، و سنة .

كل هذا ولد عنده شعر الزهد المنبثق عن تأملاته في هذه الحياة . ونرجع إلى فكرة الموت التي خاضها بكر في شعره حيث يقول :

أَيْنَ البَقَاءَ وَ هَذَا المَـوْتُ يَطْلُبُنَـا ... هَيْهَاتْ هَيْهَاتْ يَابَكْرُ بْنُ حَمَادِ
بَيْنَمَا نَرَى المَرْءُ فِي لَهْوٍ وَ فِي لَعِبٍ ... حَتَى نَرَاهُ عَلَى نَعْشٍ وَ أَعْوَادِ
وَ كُلُنَا وَاقِفٌ مِنْهَـــا عَلَى سَفَـرِ ... وَ كُلُنَا طَاعِنٌ يَحْدُوا بِهِ الحَادِي
فِي كُلِ يَوْمٍ نَـرَى نَعْشًـا نُشَيعُـهُ ... فَرَائِحٌ فَارِقٌ الأَحْبَابِ أَوْ غـَادِ
المَوْتُ يَهْـدِمُ مَا نَبْنِيـهِ مِنْ بَـذَخٍ ... فَمَا اِنْتِظَارِكَ يَا بَكْرُ بْنُ حَمَـاد(6)

إذن مادام هناك موت يطلب الجميع فلا طمع في هذه الحياة و منه فلا طمع في ملذاتها الزائلة ، هيهات من البقاء يذكر نفسه و يعظها علها تعتبر ، فالإنسان ينتظر سفرا لابد رائحه محمول على نعش فيغدو تحت التراب ويفارقه الأحباب والأصحاب. هذه هي صورة الموت الدرامية التي تحول كل ما يبنيه الإنسان في دنياه إلى خراب لا ينفعه بشيء ، فلزم على هذا الإنسان أن يتعظ و لا ينتظر و الزمن يمر ، و قد بني الشاعر أبياته هذه مخاطبا نفسه معبرا عن حالة الكل .

ويصوره بكر كذلك بأن الموت هو شيء ليس معه حيل :

أَحْـبُو إِلَى المَوْتِ كَمَا يَحْبُوا الجَمَـلُ ... قَدْ جَــاءَ مَا لَيْسَ فِيهِ حِيَـــلُ (7)

وها هو بكر مرة أخرى يصورها كأنها سحاب لابد مما طل و هذا الهطول سيصيب به كل من

(1) ينظر رابح بونار " المغرب العربي تاريخه و ثقافته" ص 121
(2) محمد الطمار ،" تاريخ الأدب الجزائري" ص35
(3) الأباضية : هم أتباع عبد الله بن أباض وهم أكثر الخوارج اعتدالا ،... و أهم مراكزهم ميزاب ، غرداية – رابح بونار ص 87.
(4) المعتزلة : نشأت في العصر الأموي ...و أكثر العلماء يقولون أن رأس المعتزلة هو واصل بن عطاء رابح بونار ص 88.
(5) الصفرية : هم أتباع زياد بن الأصفر و لهم أراء.....ذكر بعضها رابح بونار في كتابه المغرب العربي تاريخه وثقافته .ص88.
(6) رمضان شاوش ،" الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد" ص 80–81 و المالكي. "رياض النفوس" ج2 ص 25
(7) أبو العرب. "طبقات علماء إفريقية و تونس" ص 246 ، رمضان شاوش "الدر الوقاد" ص 91

كتبت عليه المنية و انتهى أجله ، و هو بذكر ذلك لما كبر سنة و أتته كل داهية بعد ضعف جسمه ، ثم في بيت ثان يظهر هذا الهاجس كأنه صاحب أيد يخنق بها ويضرب بها ضربات لا يمكن علاجها.

فهو يصوره على أنه ينتظره كل يوم و ليلة ليأخذ روحه و قد كثر هلع حماد به حتـــى أضعفه و سينقض عليه، فهو قد يصبح أقواما و هم غافلون، وقد يأتيك في حين نومك و يطرق بابـك ، يقول بكر:

سَحَابُ المَنَايَا كُلَ يَوْمٍ يُظِـــلُهُ ... فَقَدْ هَطَلَتْ حَـوْلِي وَ لاَحَ بُرُوقُهَا
وَأَيْدِي المَنَايَا كُلَ يَوْمٍ وَ لَيْــلَةِ ... إذَا اِفْتَقَتْ لاَ يُسْـتَطَاعُ رُتُوقُــهَا
يُصْبِحُ أَقْوَامًا عَلَى حينِ غَفْـلَةٍ ... وَيَأْتيكَ فِي حينِ البَيضاتِ طُرُوقُهَا(1)

**و هذا أبو عقال بن غليون (ت 290) :**

والذي توفي و هو ساجد خلف المقام (2) ، و الذي خرج من القيروان فأوطن الحرم و سكنه حتى مات به ، يقول عن الموت منغص اللذات:

وَ لَوْ كُنْتَ فِي الدَارَيْنِ حُرًا مُدَلَلاً ... لَنَغَصَ ذِكْرُ المَوْتِ عِنْدِي دَلاَلُهَا (3)

هذه التصويرات الشعرية التي تعبر عن الجزع و الهلع و المرارة من ذكر الموت أو المصير المنتظر للإنسان – تجعل هذا الإنسان محاضر ، يفتقد قدرة المقاومة ، فيبقى مستسلما لهذا الخصم القوي الذي حتما سيحسم النزال لصالحه ، إن الهلع هو في الحقيقة ليس من المنية نفسها بل ما بعدها أي مصيره في الحياة الأبدية هو المقصود خاصة عند من يظن نفسه مقصرا في جنب الله . هو يريد من خلال هذه اللوحة البانورامية أن يولي كل إنسان اهتماماً كبيراً لقضية الموت لما تمثله من نقطة تحول خطيرة في مسار حياته ، ولم يكن حديثه عن الموت حديث الفيلسوف أو الزاهد وإنما كان جناحاً من أجنحة الشاعر المدرك لحقائق الأشياء وجوهرها .

---

(1) رمضان شاوش" الدر الوقاد" ص78
(2) المالكي "رياض النفوس" ج1 : ص 527
(3) المصدر نفســـه ج1 ص 541

وقال المتصوف الزاهد **أبو عبد الله محمد بن أحمد الخياط الواعظ والذي يعرف بابـــن قمرة (ت386هــ)*** :

مَاذَا تَقُولُ؟ وَ لَيْسَ عِنْـدَكَ حُـجَةٍ لِوَفْدٍ أَتَـاكَ مُنْغَصِ اللَــذَاتِ ؟
مَاذَا تَقُولُ ؟ إِذَا دُعيتَ فَلَمْ تَجِـدْ وَإِذَا سُئِلْتَ وَأَنْتَ فِي غَمَرَاتِ
مَاذَا تَقُولُ ؟ وَ لَيْسَ حُكمُكَ جَائِزًا فِيمَـا تَخْلِفُــهُ مِنَ التَرَكَـاتِ
مَاذَا تَقُولُ ؟ إِذَا حَلَلْتَ مَحَلَـــــهُ وَلَيْسَ الْبُغَاةِ مِنْ أَهْلِهَا بِثِقَاتِ؟(1)

إنه يطرح هذه الأسئلة عند حضور منغص اللذات و هادمها ، فهل يا ترى من يجيب وهو في تلك الغمرات و ليس ينفعك بعدها لا أهل ولا ولد إلا عمل صالح.

وهذا **أبو محمد بن إسحاق ابن التبان (ت 391)**عالم أهل القيروان في زمانه (2). الذي قال عنه صاحب المعالم كان متفننا في كل علم و ختم أربعة آلاف ختمة ، و قيل خمسة آلاف و بكر حتى عمى(3)، يقول أنه لابد من الاستعداد للموت وكل إنسان ذكي لابد أن يشغل ذكره بالموت و يتساءل كيف يجد وقتا للهو وهو يعلم أنه لابد راجع إلى التراب.

و يقول **أبو حـــمو موسى الثاني بن يوسف(ت791)** :

المـــوت باب كل الناس داخله والعبد يجزى بما أجنى وما اقترفا
إليه مطـــلع فوق العباد وقد يؤاخــذ العبد في الدنيا بما سلفا(4)

وهذا **علي الحصري القيرواني (-488 هــ)** يصور هول الموت بأنه سهم قاتل حين يقول :

إِذَا رُعِظَ السَهْمُ أَوْ عَظْـعَظَا فَسَهْـــمُ المَنِيـةِ لَـنْ يُـرْعَظَا
هُوَ المَـوْتُ لاَبُدَ مِنْ سَــهْمِهِ فَكَيْفَ اِدَرَعْنَـا لِكَـيْ يُدْلِظَــا(5)

---

(1) *انظر الدباغ ."معالم الإيمان" ج3.ص108
(2) المصدر السابق.ص130
(3) نفســـه ص131
(4) بوزياني الدراجي – أدباء وشعراء من تلمسان–ج4–331
(5) الموسوعة الشعرية الإصدار الثالث(قسم الدواوين الشعرية).

وَأَنْ المَـنَايَـا لِيُـــدْرِكَنَ مِـنْ ... وَنَى فِي الطَـرِيقِ وَ مَنْ أَرْكَظَا
قَضَاءٌ مِـــــنَ اللهِ لاَ عَاكِظًا ... إِذَا جَـاءَ يَأْمَـن أَنْ يَعْكُـظَـا(1)

ويقول أنه لا يحلو له عيش في الدنيا من ورائه الموت:

مَا سَرنِي العَيْشُ بَعْدَ العِدَا ... إِذَا المَـــوْتُ مِنْ فَاتَهُ أَدْرَكَا
إِذَا ذَكَرَ الَمـــــوْتُ ذَا عِبْرَةٍ ... وَهُمْ بِغَـيْرِ التُقَى أَمْـــسَكَا(2)

ثم يتحول واعظا معتبرا غير خائف من هول الموت محببا فيه:

فَشَر مِنَ الَمــوْتِ عَيْشٌ أَذَل ... وَخَـــــيْر مِنَ الحَرِ عَبْدٌ زَكَا (3)

ويقول أمية أبو الصلت **(ت 529هـ)** في فاجعة الموت ويصور مشهدا حضره فيقول :

مَا أَنْشبَتْ كَفُ المَنِيَةِ ظَفْــــــرُهَا ... فَيُنْجِي طَبِيبُ مَنْ شَبَــــاهَا وَ طِبُ
وَوَالَتْ مِـنْ صَيْدِهَا ذَاتَ مَـخْلَب ... بِهِ كُـلَ حِيـنِ مِنَ فَرَائِسِـــهَا خَلَبُ
وَلاَ حَيدَر ذُو لبدتين غدنفر غَضَنْفَر ... لَهُ مِنْ قُلُـوبِ الأَرْضِ فِي صَدْرِهِ قلبُ
وَلَمْ أَرَى يَوْمًا مِثْلَ يَوْمًا شَـــهِدْتَهُ ... وَقَدْ غَابَ حُسْنُ الصَبْرِ وَاَسْتَحْوَذَ الكربُ
وَمَـأْتَمٍ شَكْـــــــوَى وَاِنْتِحَــاب ... دُمُوعُ البَوَاكِي فِيـهِ وَاللُؤْلُـــؤُ الرَطْبُ
فَلاَ قَلْبُ إِلاَ وَ هُـــوَ دَامِعٌ مُفْجِـعٌ ... وَلاَ دَمْــعِ إِلاَ وَ هُـوَ مُنْهَمِــــل سكبُ
وَقَدْ كَسَفَتْ شَمْسُ العُلاَ وَ تَضَاءَلَتْ ... لَهَا الشَمْسُ حَتَى كَادَ مِصْبَاحَهَا يَخْبُـو(4)

ويقول أحد الوافدين إلى مصر من المغرب ألا و **هو أبو الحكم المغربي**(- **549** )*

لِلْمَنَايَا مَوَاقِيتٌ مُـــــــــــــقَدَرَة ... وَذَاكَ حُكْـــمٌ جَرَى فِي سَالِفِ الأَبَدِ (5)

---

(1) المصدر السابق
(2) نفســــه
(3) نفســــه
(4) محمد المرزوقي " ديوان أبي الصلت أمية بن عبد العزيز". ص50
* * هو أبو الحكم عبيد الله بن المظفر بن عبد الله المريني المغربي . ذكره الأصفهاني في جماعة من أهل المغرب . ينظر ""خريدة القصر وجريدة العصر" ج2 ص488.
(5) "المصدر نفســـه ج2 ص 493.

لَمْ تَزَلْ أَسْهُم الأَقْدَارِ صَـائِبَةٌ          وَلاَ سَبِـيلَ إِلَى عَقْلٍ وَلاَ قُـودِ (1)

إنها عنده مواقيت مقدرة من الله عز و جل و هو حكم حكم به الله على البشرية جمعاء منذ بدء الخليقة و ليس هناك رد لحكمة ولا جدال فيه .

وهذا **عبد الحق الإشبيلي الأزدي**(ت581 ) الذي رحل إلى بجاية *يعبر هو الآخر عن الموت حين يقول :

إنَ فِي المَوْتِ وَ المَعَادِ لَشُـغْلاً          وَادِكَارًا لِذِي النُـهَى وَ بَـلاَغَا
فَاغْتَنِمْ خُطَتَيْنِ قَبْلَ المَـنَايَا          صِحَةُ الجِسْمِ وَ يَا أَخِي وَالفَرَاغَا(2)

فهو يحذر من الغفلة قبل أن تحضر المنية و على المرء أن يذكر و يستغل وقته ولا يهدره فيوم المعاد لابد من قدومه . و يرى أن كأس المنية لابد سائر إلى الإنسان وأن دوره سوف يحين إما آجلا أو عاجلا :

إن كُؤُوسَ المَوْتِ بَيْـنَ الوَرَى          دَائِـرَةٌ قَدْ حَثَا السَيْـرُ
وَقَـدْ تَيَقَنَـتْ إنْ أَبْطَـأَتْ          أَن سَـوْفَ يَأْتِيكَ بِهَـا الدَوْرُ
وَمَنْ يَكُـنْ فِـي سَيْرِهِ جَـائِرِ          بِاللَـهِ مَا فِي سَيْرِهَـا جُـورُ (3)

وهذا **أبو القاسم الفازازي****( - 627 ) الذي خرج مع أبيه إلى مكة ثم عاد إلى القيروان وقد هاله و وروعه مصير الإنسان بعد موته فيصور ذلك حين يقول :

وَبَعْدَ المَـوْتِ أَهْوَالُ عِـظَامٍ          يَشيبُ لِبَعْضِهَا الطِفْلُ الصَغيرُ (4)

وهذا **أبو الفضل ابن شرف القيرواني**(- 534) لا يهاب الموت و لا هوله و لكنه لم يجد الأحباب الذين يبكونه حين يقول :

(1) المصدر السابق.

* ينظر الغبريني " عنوان الدراية"ص73 والضبي " بغية الملتمس" ج2ص134

(2) المقري التلمساني " نفح الطيب " م4 ص326 . وانظر ابن فرحون " الديباج المذهب" ص193

(3) " بغية الملتمس" ج2 ص 134

**انظر الصفدي. الوافي بالوفيات . من مكتبة الموسوعة الشعرية رقم الصفحة 167

(4) إبراهيم الدسوقي ، جاد الرب، " شعر المغرب حتى خلافة المعز" ص 267

وَلَمْ أَجْزَعْ لِهَوْلِ المَــوْتِ لَكِـنْ بَكَيْتُ لِقِلَّةِ الــبَاكِي عَـلَيَّا(1)

ويأتي **أبو حفص بن عمر الأغماتي** (603هـ)* و يشبه الموت بالليث الذي يأتي على مكان الصيد و لما يختار طريدته فلا يمكن لها أن تفر :

وَكَمْ رَامُوا الـفِرَارَ مِنْ الرَزَايَا وَلَـكِنْ أَيْنَ مِنْ أَجْـلِ فِرَارِ
تُدَارُ عَلَيْهُمْ حَـمُو المَـنَايَا بِكَأْسٍ فيهِ عُقْرُ لاَ عُـقَارِ
إِذَا مَا اللَيْثُ أَصْبَحَ فِي مَـحَلِ فَمَـا لِطَـرِيدَةٍ فيهِ قَرَارِ (2)

وهذا الأمير **بن عبد المؤمن سليمان بن عبد الله الزناتي** (ت604هـ) ، يتذكر الموت فيقول

إِذَا مَا ذَكَرْتُ المَوْتَ فَاضَتْ مَدَامِعِي عَلَى كُلِ مَا فَرَطَتْ فَيْضَ السَحَائِبِ (3)

وهذا **الجياني عبد الله بن محمد بن فرج** (ت ؟ ) من أعلام سبتة (4) يتساءل عن تكفير شكوته إلى من هو مصاب بالموت مثله :

أَمُوتُ وَأَشْكُو إِلَى مَنْ يَمـُو تُ بِمَاذَا أَكْفُـرُ هَـذَا بِمَا ؟ (5)

ويقول **محمد بن أبي جمعة التلاسي التلمساني** (ق8هـ)كان حيا بين( 760هـ و767هـ) في الخوف من الموت:

كأس الحمـام على الأنام تدور ما آن لها إلا القضـاء مدير
وكذا اللـيالي ولا وفاء لعهدها إذا قسطت يوما فسـوف تجور
كم شتت من جمـع شمل لم يكن يخشى الشتات وكل ذا مشهور
إن أضحكت في يومها أبكت غدا فالخير منـها إن أتاك غـرور (6)

(1) نفح الطيب ج3 ص 208
* سكن فاس ، وولي قضاء تلمسان . ينظر" أزهار الرياض".ج2 ص361
(2)" نفح الطيب" ج3 ص 209
(3) الموسوعة الشعرية الإصدار الثالث( قسم الدواوين الشعرية).
(4) المقري التلمساني " أزهار الرياض" ج1 ص 156. " جذوة المقتبس" ج1 ص253
(5)" بغية الملتمس" ج2 ص 134.
(6) بوزياني الدراجي " أدباء وشعراء من تلمسان ". ص240-ج4

أما يوسف المنصفي(ت755هـ): أبو الحجاج. زاهد مشهورو من الزهاد لعصر الموحدين ، سكن سبتة. يحاور نفسه فتقول له:

أتاك الموت و أنت غارق في الذنوب فهلا اتخذت زادا للمعاد؟ فقال لها إن الزاد لا يحمل لدار الجواد الكريم . وكأنه يقول في نفسه" إلهي لا مهرب منك إلا إليك".

قالت لي النــفس أتاك الردى    وأنـــت في بحر الخطايا مقيم
فما ادّخرت الزاد قلت اقصري    هل يحمل الزاد لدار الكريم(1)

و يقول محمد بن يوسف الثغري التلمساني عاش مابين 760-796هـ من شعراء بلاط أبي حمو موسى الثاني.

المـرء في الدنيـا رهيـن خطـوب    والدهر أفصح من خطـاب خطيبِ
مـن صاحب الدنيا الدنية لم تـزل    تأتيـه بالمكـروه في المحبــــــوبِ
ومؤمـل الأيــام ليـس بحاصـــــل    إلاّ عـلى أمـل بهـا مكــــــذوبِ
دنيـاي مثـل الحلـم في التجريـب    ولــغاية مجهولـة تجـــــــري بي (2)

(1) نفح الطيب ج4 ص336 وينظر يحيى بن خالدون " بغية الرواد "-ج2-511
(2) بوزياني الدراجي ، " أدباء وشعراء من تلمسان" ج4ص168

**ب . هاجسا الزمان و الدنيا:**

يشكل هاجس الزمن روح النص في شعر الزهد المغربي والخوف ليس من القادم فقط بل الزمن الذي مضى والحاضر و المستقبل ثم إن الزمن أساسا هو العدو الضمني للإنسان عموما والدنيا متقلبة الأحوال ، متغيرة الألوان ، سريعة الانقلاب مليئة بالمآسي ولا ينبغي لذي عينين أن تنظر عيناه إلى جانبها المخضر الزاهي دون أن تنظرا إلى جانبها المصفر الذابل .

إن الزاهد المغربي عاش تلك الصراعات المذهبية من شيعة و خوارج وسنة والصراعات السلطوية من حكم أموي وعباسي، وشاهد تلك الدويلات تميل إلى جهة و تنحرف عن جهة ، جعله كل هذا يكون حكيما (1) . وجعله يميل إلى عكس مسار الحياة الدنيوية و يزهد فيها متيقنا أنها حالة مؤقتة و ستزول ، ومن هنا تظهر فكرة الزمن الذي قد يقال لساعات الليل و النهار أو قد يقال زمن طويل و زمن قصير (2). و هو العصر و الدهر و الفصل و اليوم و الليلة و الشهور، كما الدنيا هي في حد ذاتها زمن معين .

والزمن والزمان هو عند بن منظور اسم لقليل الوقت وكثيره ....وأزمن الشيء: طال عليه الزمان والاسم من ذلك الزمن والزمنة...والدهر والزمان واحد...والزمان يقع على الفصل من فصول السنة(3).

والزمن من الأمور التي شغلت تفكير الإنسان منذ القدم ولهذا أراد تفسير هذه الظاهرة التي لا ترى بالعين المجردة ، لأنه شيء غير مادي ؛ أي غير محسوس ولكن الإنسان يشعر به ويستعمله في تقدير أموره وحركة الأشياء وتغيراتها هي التي جعلت هذا الإنسان يلاحظ الزمن ومروره . ثم جاء القرآن الذي صحح تفكير الإنسان وجعله يدري أي السبل يخوض .

قال تعالى :

---

(1) ينظر العربي دحو ، الشعر المغربي من الفتح إلى نهاية الإمارات الأغلبية و الرستمية و الإدريسية ص 54

(2) بن الأثير – " الكامل"، دار الكتاب العربي – بيروت لبنان : ج1 ص 10

(3) ينظر" لسان العرب "في مادة "زمن".

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (1) فعلم عدد السنين لا يكون إلا بحركة القمر. وحياة الإنسان هي جزء من الزمن أو الدهر قال تعالى : ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً﴾ (2). وقد بدأ الشعراء في لوم الزمن وإنما يلومون شيئا خفيا لم تتفق البشرية على تحديده واعتبرته أحد المطلقات.

والدنيا هي من دنا من الشيء دنوا و دناوة : قرب ، و في حديث الإيمان : ادنه هو أمر بالدنو و القرب ، قال : الليث و سميت الدنيا لدنوها ، و لأنها دنت و تأخرت الآخرة .(3)

وقد قال عنها المسيح "الدنيا لإبليس مزرعة وأهلها له حراث".(4)

وقال عنها لقمان لابنه :"يا بني بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعا، ولا تبع آخرتك بدنياك تخسرهما جميعا".(5)

ولقد اعتبر الشاعر المغربي موضوع الزمن بكافة ماهياته أهم شيء في حياة الإنسان ، نتيجة خوفه و ذعره الشديد من تقلبات الدهر وخداع الدنيا فيندم على ما فات. فيجعله ذلك يتهم و يذم هذا الزمن و كل وفق إحساسه وشعوره ،فإما يشارك الآخرين في هذه الحياة أو ينعزل عنها تماما ، و في هذا الصدد نطرق بعض ما وجدناه من شعر مغاربي دل على ذلك .

**يقول أحمد بن أبي سليمان داود الصواف* (-291) :**

| | |
|---|---|
| أَرَى الدُّنْيَا تَغْمُرُهَا اللَيَــــالِي | وَأَيَــامًا مُؤَلَفَـــــــةٍ شُهُورَا |
| أَرَى يَوْمًا يَجِيءُ بِكُلِ خَــــيْرٍ | ويَوْمًا بِالحَــوَادِثِ مُسْتَطِيرَا (6) |

(1) الآية 5 من سورة يونس.
(2) الآية 1 من سورة الإنسان.
(3) ينظر " لسان العرب" في مادة "دنو"
(4) الحصري . "زهر الآداب" ج4 ص7.
(5) الغزالي " الإحياء" ج3 ص208.
* كان تلميذ سحنون وقد اشتهر بالحكمة . ينظر رابح بونار " المغرب العربي تاريخه وثقافته"
(6) القاضي عياض" ترتيب المدارك" ، تحقيق محمد الطالبي ، نشر الجامعة التونسية 1968 ص 509

معبرا عن الخير الذي يأتي به هذا الزمن و السرور التي تندس في أيام أخرى . وها هو متشائم من الزمن ومن أحداثه ويشكوه حين يقول :

أَلَمْ تَرَ أَن الدَهْرَ أَوْقَـرَ أَهْـلَهُ هُمُومًا ، وَ أَنَ العَيْشَ صَارَ مُنْكَرَا
فَمَـا حـلَ يَوْمٌ فيـهِ إلاَ بِفَجْعَـةٍ وَأَنْتَ لأُخْرَى فيـهِ مُنْتَظِرُ غَدَا
وَمَا قَرَتْـهُ إلاَ سَتُصْبِـحُ تَرْحَـة وَمَا صَاحِبُ إلاَ سَيُصْبِحُ مُفْرَدَا (1)

ولقد شكا الدهر كذلك **علي الحصري (-488)** *حين يقول :

وَاحْـذَر مِنَ الدَهْـرِ طَارِقَـاتٍ كَمْ يَخِـل مِنْهـا ذُرَى وَقيعَـة
وَقَائِـعُ الدَهْــرِ فِـي شَتَـى وَهَـذِهِ يُسْرُهَــا وَقيعَـة (2)

وهذا **أبو عقال بن غلبون (- 290)** :يشكو اعتداء الزمان عليه حين يقول :

إن الزَمَـانَ عَدَا عَلَـي فَزَادَنِـي عِلْمًـا بِأَنَـكَ سَيِـدِي تَحْقِيقَـا (3)

فيهما فليس هما القوة الأخيرة ، فيرجع ويتدارك ما فاته :

فَلَئِنْ مَضَى صَدْرَ الزَمَان بِصَفْـوَةٍ فَلأَخْدِمَهُنَ لِسَيِـدِي المَنَـان (4)

وهذا **سعيد بن الحداد : (ت302 هـ)**** يصور لنا سخطه على هذا الزمن المتقلب معبرا عن حياة اجتماعية عاشها :

مَازِلْتُ مِنْ حَادِثَاتِ الدَهْرِ مُتَعَجِبًا حَتَى اِنْقَضَى عَجَبِي بَعْدَ الثَلاَثُمَائَة
لاَ بَارَكَ اللهُ فِي عَـــامِ فِي سَنَةٍ كَانَت لِشَـــرِ زَمَان كَـانَ مَجبته
عَادَت أَسَافِلَـــهُ طَرا أَعَـاليـهِ وَلاَ أَعَالِي وَإِلاَ وَهِــيَ مُنْكَـفِئَــة (5)

(1) المالكي . رياض النفوس ج1 ص 509
* هو أبو الحسن علي بن عبد الغني الحصري الكفيف ، ينظر الأدب العربي في الأندلس والمغرب. مطبعة جامعة دمشق. سوريا 1983
(2) الموسوعة الشعرية الإصدار الثالث.(قسم الدواوين الشعرية).
(3) المالكي. "رياض النفوس"ج1 ص 532
(4) المصدر السابق ص 541.
** ترجمته في" رياض النفوس" ج2 ص57.
(5) المالكي "رياض النفوس" ج2 ص 110

وهي شكوى صارخة لسعيد من الزمن حين تلحظ قوله" لا بارك الله في عام .."ولهذا قال مالك بن دينار : بقدر ما تحزن للدنيا يخرج هم الآخرة من قلبك و بقدر ما تحزن لآخرة يخرج هم الدنيا من قلبك (1) فشعر الزهد يظهر حال الشعراء الذين تخبّطت بهم الحياة بعد تقدّمهم بالسن، وترفّعهم عن كلّ ما يشغل النفس، والروح عن التعلّق بالله ، ونعيم الآخرة ، وملذّاتها ، ودعواهم إلى التقشف، والعزوف عن الدنيا ومتاعها ، والبعد عن الملذات ، والتحكّم في الشهوات ، وضبطها طمعاً في الجنة ونعيمها .

وهذا **أبو الفضل ابن شرف القيرواني (-534هـ)** : يقول

لَعُمْرَكَ مَا حَصَلْتَ عَلَى خَطَرِ ... مِنَ الدُّنْيَا وَلاَ أَدْرَكْـتَ شَيْئَا
وَمَا أَنَا أَخْرُجُ مِنْهَا سِـــلْبِيًا ... أَقْلِبُ نَادِمًـــا كِلْتَـا يَدَيَـا
وَأَن الدَهْرَ لَمْ يَعْلَمْ مَـكَانِـي ... وَلاَ عَرَفَـتْ بنُـوه مَا لَــدَيَا
زَمَانٌ سَوْفَ أَنْشُرُ فيـــهِ نَشْرًا ... إِذَا أَنَا بِالحِمَامِ طُـــوِيتُ طيَا (2)

هو الآخر يحذر من الدنيا وأن كل إنسان سوف لن يدرك منها شيء و إن طاوعها سوف يندم حتما فهذه الدنيا تقبل عليها الأنفس لترتكب المعاصي ومن أراد أن يتصدى لها لابد أن يزهد فيها . وهناك من أعلن الحرب على الدنيا وحمل السلاح لها وعرف أين يهزمها كمثل **ابن شرف (ت367هـ)** حين يقول :

سَأَبْقَى عَلَىَ الدُّنْيَا بِصَوْلَةِ حَرْبٍ ... َوإِلاَ علَى الأُخرَى بِوَصْلَةِ مِحْرَابِ
وَ لاَ خَيْرَ فِي عَيْشٍ يَكُونُ قَوَامَهَ ... بِمِحْنَـةِ مَكْذُوبٌ وَ مَدْحِـهِ كَـذَابِ (3)

ويحذر **القاضي أبو العباس ابن الغماز البلنسي (693هـ)**، نزيل تونس و قاضيها : من تفويت الزمن في غير الخوف من الله عز و جل ، ويحرض على الأعمال الحسنة في الدنيا التي تنفع يوم الحساب حين يقول :

(1) الغزالي ، " الإحياء" ج3 ص208.
(2) نفح الطيب ، ج3 ص208.
(3) الموسوعة الشعرية الإصدار الثالث(قسم الدواوين الشعرية).

إِيَاكَ أَنْ تَمْضِيِ فِي الدَهْرِ سَاعَةً وَلاَ لَحْظَةً إلاَ وَقَلْبَكَ وَاجِفٌ
فَبَادِرْ بِأَعْمَالٍ يَسُرُكَ أَنْ تَرَى إِذَا طُوِيَتْ يَوْمَ الحِسَابِ الصَحَائِفُ.(1)

وهذا **بكر بن حماد** صاحب الثقافة الدينية العالية يصور لنا مرور الزمن بمعناه الليالي على الذات الإنسانية اللاهية التي لم تتوصل إلى الدواء بعد و هذا الزمن هو زمن سريع قد لا تدركه هذه الذات المنغمسة حتى يمر :

تَمُرُ اللَيَالِي بِالنُفُوسِ سَرِيعَة وَيُبْدِي رَبِي خَلْقَهُ وَ يُعِيد (2)

وهذا الشيخ **أبو علي الطليطلي المغربي(ت؟)***: وقد ذكره صاحب الخريدة في باب "جماعة من أهل المغرب" ، قد مل من الدنيا والعيش فيها و استبين أن الإقبال عليها ينقص من التمسك بالدين .

قَدْ مَلَلْتَ العَيْشَ فِي دَارِ دُنْيَا حُلْوُهَا مُرٌ فَمَا إنْ تَمَلُ
وَ أَرَى دِينِي فيهَا عَيَانًا كُلَمَا أَكْثَرْتَ مِنْهَا يَقِلُ
كُلَمَا زَادَتْ يَزِيدُ اِنْتِقَاصًا فَإِذَنْ لَوْ كَمُلَتْ يَضْمَحِلُ(3)

وهذا **ابن جبير (ت 614 )**** يقول :

عَجِبْتُ لِلْمَرْءِ فِي دُنْيَاهُ تُطْعِمُهُ فِي العَيْشِ وَالأَجَلِ المَحْتُومُ يَقْطَعُهُ
يَغْتَرُ بِالدَهْرِ مَسْرُورًا بِصُحْبَتِهِ وَقَدْ تَيَقَنَ أَنَ الدَهْرَ يَصْرَعُهُ(4)

هي الحيرة الدائمة" عجبت" التي تنتاب الإنسان حين يتأمل في هذه الدنيا، لكنه يدرك حقيقة هذا الزمن المتكرر من ليل و نهار وقد ظل يأمل في هذه الدنيا ولكن الدهر قد غره وغدر به بعد أن ظنه صاحبه واستأنس له . ومع ذلك ما عليه سوى الصبر رغم علمه بحقيقتة :

(1)" نفح الطيب" ج3 ص 321

(2) الأخضر السائحي ."بكر بن حماد "شاعر المغرب العربي في القرن 3 " ، ص 88

* كان حيا سنة 524 هـ "الخريدة "ج2 ص 498.

(3) " الخريدة " ج2 ص 498

** هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير صاحب الرحلة ، و الذي سكن سبتة .توفي بالإسكندرية سنة 614 هـ . .ينظر." شجرة النور الزكية "ج1ص174 .

(4) نفح الطيب " المجلد 2 .ص 490 ."شجرة النور الزكية".ص174

يَمْشِي وَيُصْبِحُ فِي عَشْوَاءِ يَخْبُطُهَا أَعْمَـى الْبَصِيـرَةِ وَالآمَالِ تَخْدَعُهُ
صَبَرْتُ عَلَى غَدْرِ الزَمَانِ وَ حِقْدِهِ وَ شَابَ لِي السُمُّ الزِعَافِ بِشَهْدِهِ (1)

وهذا **موسى بن بهيج المغربي الأندلسي** *(ت ؟.) : يجعل الدنيا كوقت قصير وهي ساعة فالأحرى بالإنسان أن تكون هذه الساعة في طاعة الله ، حين يقول :

إِنَمَا دُنْيَـــــاكَ كَسَاعَةَ فَاجْعَلِ السَـــاعَةُ كَطَاعَة
احْذَرْ التَقْصِـــيرَ فيهَا وَاجْتَـــهِدْ مَا قَدْرَ سَاعَة(2)

يقول **أبو الصلت أمية بن عبد العزيز (ت529هـ )**

سَكَنْتُكِ يَا دَارَ الفَنَاءَ مُصَـدِقًا بِأَنِي إِلَى دَارِ البَقَـاءُ أَصِيـرُ
وَأعْظَمُ مَا فِي الأَمْرِ أني صَائِرٌ إِلَى عَادِلٍ فِي الحُكْمِ لَيْسَ يَجُورُ (3)

قد أيقن أمية حالها وعلم كيف يتعامل معها وأنها فانية " يا دار الفناء " ، وأنه لابد ذاهب إلى دار أخرى أبدية "دار البقاء" فيطلب الرحمة عله ينجو يوم الحساب.

فهذا الإنسان منذ ولادته يرتبط بالدنيا فإما تتحكم فيه فيجعلها في قلبه كما قال **أبو الأصبع عبد العزيز بن علي المعروف بابن الطحان (ت559):**

دَعِ الدُنْيَــــــا لِعَاشِقِهَـا سَيُصْـــبِحُ عَن رَشَـائِقِهَا
هَلاَكُ المَـــــرْءِ أَنْ يُضْحِي مُجَـــــدِدًا فِي عَلاَئِقِهَـا (4)

**ويقول أبو العباس أحمد بن الغماز البلنسي(ت693هـ)**- نزيل إفريقيا- يندب حظه السيء الذي جعله يضيع عمره في دنيا أحبها وآخرة نفرها وقد عبر عن العمر هنا . بالزمان وهو دلالة على العمر الطويل، و قد علم أن هذا الزمن الذي مر لا يرجع لينتفع فيه :

---

(1) نفســــــه
* لم يذكر بن الأبار تاريخ وفاته ولكنه كان حيا سنه 496هـ
(2) "نفح الطيب ". المجلد 2 ص 220.
(3) محمد المرزوقي " ديوان أمية بن أبي الصلت " . المصدر السابق المجلد 3 ص 297
(4) نفح الطيب المجلد 2 ص 634.

تَقضى الزَمَــانَ فوا حسرتي لِمَا فَاتَ مِنْـهُ وَ مَا ضيعـَا

تقضى الزمـــان ولا مطمع لما مضـــى منه أن يرجعـــا (1)

والحسرة القوية التي أصابت الشاعر تظهر في عبارة " وا حسرتي ..." فهو يستغيث ضمنيا و الندم مصور في كلا البيتين حين يكرر عبارة " تقضى الزمان " ؛ فالأولى كانت للاستغاثة عل وعسى والثانية هو آيس من رجوع هذا الزمان أو العمر .

وهذا **أبو زيد الفازازي** *(**ت627هــ**) نزيل تلمسان والذي مات بمراكش ، يندب حظه أنه سار في درب الدنيا التي تُظهر السلم و تدس الغدر والخداع :

صبوت إلى الدنيا وذو اللب لا يصبو وغرك منها السلم باطنها حرب (2)

وها هو **أمية بن أبي الصلت (ت529 هــ)** يسخر منها و قد علم أنها غير باقية و هيهات أن يأمل فيها أو منها أو يأخذ منها شيئا:

تُضَايقُنَـا الدُنيَا وَ نَحـْنُ لَهَا نَهـبُ وتُوسِعُنَا حَرْبًا وَ نَحْنُ لَهَا حَرْبُ

مَا وَهَبَـت إلاَ اِسْتَـرَدَتْ هِبَاتِهـــَا وَجَدْوَى اللَيَالِي إنْ تحققتها سَلْبُ

تؤمل أَنْ يَصْفُو بِهَـا العَيْشُ ضِـلَة وَهَيْهَاتَ أَنْ يَصْفُو لِسَاكِنِهَا شُرْبُ

أَلاَ إِنَمَا أَيــَامَ الحَيَـــــاةِ بِأَسْرِهَا مَرَاحِلٌ تَطْوِيهَا وَنَحْنُ بِهَا رَكْبُ (3)

و هذا **أحمد بن يزيد بن عبد الرحمن الأموي (ت625)** ** يشبهها بالراح العنيفة التي أضرت أكثر مما نفعت بل هي متقلبة تظهر بعدة وجوه كلما ظن الإنسان أنه تمكن منها ظهرت له منها أمور لم يكن يعلمها فهي كالركض وراء سراب كاذب لا يكاد يجيئه الرجل حتى يختفي إلى مسافة أبعد فعبر عن ذلك بقوله:

---

(1) نفح الطيب ج4 ص 340

*المعروف بابن يخلفتن ، ترجمته في" تحفة القادم" ص 274. " المعجب" ص230

(2) ينظر الموسوعة الشعرية (قسم الدواوين الشعرية)

(3) محمد المرزوقي." ديوان أبي الصلت أمية بن عبد العزيز" .

**قاضي الجماعة بمراكش . ينظر "الموسوعة الشعرية الإصدار الثالث "(قسم المكتبة "من"الوافي بالوفيات رقم الصفحة 6267")

ألا إنما الدنيا كـراح عنيفـــة ... أراد مديروهـا بهـا جلب الأنس

فلما أداروها أثارت حقـــودهم ... فعاد الذي رامو من الأنس بالعكس(1)

أما **علي بن عبد الله النميري الششتري (ت608 )***: فيرى أنه لم يبالي بالزمن أو الدهر أو الدنيا لأنه كان تائها في التجرد ساكن مع الفقراء ، فهو لم يعب الدهر بل

لَقَدْ تُهْتُ عَجَبًا بِالتَجَرُدِ وَ الفَقْرِ ... فَلَمْ أَنْدَرِجْ تَحْتَ الزَمَان وَلاَ الدَهْـرُ

جَاءَت لِقَلْبِي نَفْحَـةٌ قُدُسِيــــَةٌ ... فَغِبْتُ بِهَا عَنِ عَالَمِ الخَلْقِ وَ الأَمْـرُ

طَوَيْتُ بِسَاطَ الكَوْنِ وَالطَيُ نَشَرَه ... وَمَا القَصْدُ إِلاَ التَرْكُ لِلْطَي وَ النَشْرُ (2)

وهذا شاعر الدولة المرينية الكبير مالك بن المرحل (ت699هـ) يذم الدهر:

بَين الدَهر فأمَا الدَهرُ فَهوَ عدوكم ... وَإن لاَح يَومًا في ثِيابِ حَبيب

بَوارقُه لا ري فيـــــهَا لِعاطِشٍ ... وَلا خَصبَ في أَنوائِه الجَذب

بَلاكُم و أبْلاكُم تَقلبَ صَـــرفِه ... فَيا وَيـحَها مِن أَنفسٍ وقلوب(3)

---

(1) ابن الأبار "التكملة" ص141

* ذكره صاحب عنوان الدراية في من كان في بجاية . وينظر " الإحاطة " ج4ص220

(2) "الإحاطة في أخبار غرناطة" ج4 ص 220.

(3) محمد مسعود جبران " مالك بن المرحل أديب العدوتين" المجمع الثقافي ، أبو ظبي – الإمارات العربية . 2005، ص176

### ج. فكرتا الاعتبار والاتعاظ:

إن هاتين الفكرتين تناولتهما هما الأخريين في مذكرة الماجستير وذكرت أنها تأكدت لدي لما كنت أتصفح تلك المدونة الشعرية الخاصة بشعر الزهد لدى هؤلاء الشعراء وقد يوافقني فيها البعض وقد يخالفني في اختيارها أو حتى في تسميتها آخرون وما دامت الخاتمة معروفة لكل حي، والموت هو النهاية الحتمية لكل مخلوق ، فلا مبرر للتعالي والتفاخر والغرور فقد استوحى الشعراء فكرة الوعظ والتفكر ونظموا فيها ، ولنأخذ نماذج من هذه الفكرة ونبدأ بالشاعر :

سابق البربري حين يقول:

حتى متى تلهو بمـــــنزل باطل ... كأنك فيه ثابت الأصـــــل قاطن
وتجمع ما لا تأكــل الدهر دائباً ... كـأنك في الدنـــيا لغيرك خازن
وهجر الهوى للمرء فاعلم سعادة ... وطول الهوى رين على القلب رائن
فكن دافنا للشر بالخـــير تستريح ... مـــن الشر إن الخير للشر دافن(1)

ويقول **أبو عقال غلبون بن الحسن بن غلبون (-291هـ)** يقول عند توبته بأن سبيل الله والصراط المستقيم يجعلك تترك كلما يلهيك عن دينك من أهل وغير ذلك:

أَبْصِرْ بِالقَلْبِ سَبِـــيلَ الرُشْدِ ... فَبَـــايَنَ الأَهْلَ مَعًا وَ الوَلَدِ
وَجَدَ فِي السَيْرِ إِلَى رَبِـــــهِ ... مُشَمِـــرًا يَطْلُبُ مُلْكَ الأَبَدِ
فَقَدْ سَارَتْ الدُنْيَا بِأَقْطَـــارِهَا ... عَلَيْهِ كَالسِــــجْنِ فَمِنْهَا شَرِدِ(2)

و يقول واعظا ناصحا:

أَيَا مِنْ يـــرَى الرُشْدَ فِي غَيِهِ ... وَ يَتَخَبَطُ فِي الدَاجِيَاتِ القِتَادَا
تَجَاف بِنَفْسِـــــكَ عَنْ حَتْفِهَا ... وَخُــــــذْ لأَمَانِكَ مِنْكَ إِنْقِيَادَا(3)

(1) بدر ضيف . "شعر سابق بن عبد الله البربري". دار الوفاء لدنيا الطبع والنشر.2004 الاسكندرية-مصر- ص131 وينظر عبد الله كنون- موسوعة رجال المغرب ، ، دار الكتاب المصري ودار المتاب اللبناني ط1 سنة1994، لبنان- المجلد 5 ص13.
(2) الدباغ." معالم الإيمان" ج2 ص219
(3) العربي دحو . "الأدب االعربي في المغرب العربي".ص256

أَجِـــــــبْ دَاعِي الله لاَ تَعْصِهِ فَقَدْ جَادَ بِالنُصْحِ جَهْرًا وَنَادَى (1)

وهذا محمد بن اسماعيل بن سعد السعود الذي انتقل إلى مراكش وتوفي بها سنة667هـ يقول:

أقصر ففي الحرص والتطويل للأمل عجز يؤدي إلى التقصير في العمل
غر الغرور بآمال تكلـــــــــــفها فهل تكفل التأخير بالأجـــــــل
فشمِّرِ الذّيلَ من هزلٍ لهــــوت به عن ساق جدكِ و اخلع بردةَ الكسل
واعمل لأخراك في دنياك مجتـــهدا قبل الرّحيل ولازمْ أُهبَةَ العجــل(2)

وهذا **داوود الصواف (ت291)** : يقول كغيره من الشعراء المغاربة الذين تشبعوا بثقافة الدين الحنيف هذه الأبيات التي ندرجها في فكرة الاعتبار والوعظ الذي أكثروا منه ، وهو واجب الدعوة والنصح وفي الأبيات يلحظ شيئا هاما وهو الرسوخ الواضح والبين للآيات القرآنية في صدور هؤلاء الشعراء:

وَكَمْ مِنْ طالِبٍ لِلْمـــَال يَسْعَى وَيَرْكَبُ فِي مَطْلَبِهِ البُـــحُورَا
فَصَارَ يَوَدُ أَنْ لَوْ كَـــانَ أَمْسَى وَلَيْـــــسَ بِمَالِكِ مِنْهُ نَقِــيرَا
وَقَدْ حَبَسَ اللِسَانَ فَلاَ كَـــلاَمٌ وَقَدْ سَمِـعَ الصِيَاحُ الْمُسْـتَطِيرَا
فَإمَا مُؤْمِـنٌ يَـــــــرْجُو خَلاَصًا وَإمَا كَافِرٌ يَصْـــــلَى سَعِيـــرَا
فَوَيْلٌ لِلْشَــــقِي إِذَا تَـــــــرَدَى وَصَارَ إِلَى التِي سَاءَتْ مَصِيــرَا
إِلاَ نَــــــَــــــارٌ تَلْظِيهَا شَدِيدُ وَتُزْفِرُ فِي تَغيــــــــظُهَا زَفِيـرَا
و طُوبَـــى لِلْـسَعِيدِ إِذَا حَبَاهُ إِلَهَ العَرْش فِي الفَرْدَوْسَ حُـورَا
وطَـــابَ لَهُ الجِــنَانُ الخُلْدِ حَالاً أَحَـــلُ لَهُ مَعَ الذَهَبِ الحَرِيرَا
وصَــــارَ شَرَابَهُ مِنْ سَلْسَــبِيلاَ وَأَنْهـــَــــــارًا مُفَجَرَةٌ خُمُورَا(3)

ويقول:

(1) المرجع السابق.
(2) محمد بن عبد الملك المراكشي" الذيل والتكملة "، تحقيق إحسان عباس ، ط1 ، 2012 ، ج6 –ص119
(3) المالكي ."رياض النفوس" ج1 ص 513

يَا لَذَّةٌ لَمْ يَبْقَـــــى إلاَ إدكارها     فَحَسْبِي مِنَ اللَذَاتِ ذِكْرِي لَهَا حَسْبِي
وَمَا اللَهْوُ إلاَ حُلْمُ يَقْظَانَ صَـادِقٍ     قَدْ يَحْلُمُ النُوَامُ بِالصِدْقِ وَالكَـذِبِ(1)

إن لذات أو ملاذ الحياة هي شيء آني غير دائم فهو عابر لا محالة قد يبقى ذكره فحسب وما هي إلا كأحلام اليقظة قد تصدق وقد تكذب.

وهذا **أبو بكر محمد بن مسعود التميمي (ت 344هـ)** * يقول ناصحا كل من بحث عن السعادة ولم يجدها:

إِذَا القُـــوتَ تَأْتِي لك     وَالصِـحَةُ وَ الأَمْـنُ
وَأَصْبَـــــحْتَ ذَا حَزْنٍ     فَلاَ فَارَقَـــكَ الحَـزْنُ(2)

إن كل من كثر كلامه كثر غلطه ولابد ستأتي بعد ذلك المعصية التي تضع في خانة المسيئين لذا نجد أبو بكر كذلك ينصح كل إنسان سعى للصلاح والفلاح بأن يلجم لسانه:

سِـجْنُ اللِسَانِ هُوَ السَلاَمَةُ لِلْـفَتَى     مِنْ كُلِ نَـازِلَةٌ لَهَا إِسْتِئْصَالِ
إِنَ اللِسَـانَ إِذَا حَلَلْتَ عُقـَـــالَهُ     أَلْقَـاكَ فِي شَنْعَاءِ لَيْسَ تُقَالِ(3)

وهذا **علي الحصري القيرواني (-488هـ)** يعود إلينا في هذه الأبيات واعظا كل من أراد بيع الآخرة بالدنيا وملذاتها ويحذره من الانصراف عن دينه ويستبدله بالهوى الدنيوي الزائل:

ديـــنُكَ أَغْلَى الـعُلُوقِ عَلْقًا     إِيَاكَ بِالبَـــخْسِ أَنْ تَبِيعَهُ
صِـرَاطُ ذِي العَرْشِ مُـسْتَقِيمٌ     مَنْ يَـــمْشِ فيهِ يَكُنْ تَبيعَهُ
وَاحْـذَرِ مِنَ الدَهْرِ طَـارِقَاتٌ     لَمْ يَـــخِلُ مِنْهَا ذرَى وَقيعَهُ
وَقَائِـــعُ الدَهْرِ فِي شَـــتَى     وهَـذِهِ سِـــــرُهَا وَقيعَـهُ(4)

---

(1) خريدة القصر" ج2 ص259

* هو محمد بن مسعود أبو بكر التميمي إمام الجامع بالقيروان. ينظر. المالكي "معالم الإيمان" ج3 ص53.

(2) الدباغ "معالم الإيمان" ج3ص53

(3) المصدر نفسه ج3 ص53

(4) الموسوعة الشعرية الإصدار الثالث.(قسم الدواوين الشعرية)

وهذا **أبو العباس بن الفضل ابن نصر الباهي ( بن رايس) (ت ؟ )** (1) يقول:

مَاذَا تُرِيـــكَ حوَادِثُ الأَزْمَانِ ... وَصُـرُوفُهَا وَطَـوَارِقُ الحَدَثَانِ

وَالجَارِيَاتُ السَبْعِ فِي الفُلْكِ الِذي ... يَجْرِي بِتَـقْدِيرِ العَظِيمِ الشَانِ(2)

إنه يتأمل تلك الأحداث المتكررة وغير المتكررة عبر الزمن ويعتبر منها ثم يسلم أن تلك لها صاحب عظيم الشأن هو الذي يسيرها كيف يشاء.

وفي الاعتبار من كيد الزمن وخداع الدنيا وقرب الأجل يذكر **أبو الوليد الباجي سليمان بن خلف (-474)** نفسه و الآخرين حين يقول:

إِذَا كُـنْتُ أَعْلَمُ عِلْمًا يَقِينًا ... بِأَنَ جَمِـيعَ حَيَاتِي كَسَاعَةٍ

فَـلِمَ لاَ أَكُونُ ضَنِينًا بِهَا ... وَأَجْعَلُهَا فِي صَلاَحٍ وَ طَاعَةٍ(3)

ومن هذه الفكرة المسماة بالوعظ والاعتبار التي في الحقيقة يدور حولها معظم شعر الزهد هذه الأبيات

**لعبد الحق بن عبد الرحمان**** **(ت 581هـ)** التي يجعل فيها الموت والمعاد واعظا و يجعلها الشغل الذي لا بد- أن يشغل الإنسان نفسه به وعلى هذا الإنسان أن يغتنم صحته وشبابه قبل أن يأتي عليه الزمن وتدركه المنية:

إِنَ فِي المَوْتِ وَالمَعَادِ لَشُـغْلاً ... اِدِكَارًا لِذِي النُـهَى وَبَلاَغَا

فَاِغْتَـنِمْ خُطَتَيْنِ قَبْلَ الـمَنَايَا ... صِحَةُ الجِسْمِ يَا أَخِي وَالفَـرَاغَا (4)

وهذا **أبو مدين شعيب (-594هـ)** يرى رؤيته الخاصة لهذه الحياة الدنيا حين يرى لذة العيش والسعادة هي في عيشة الفقراء وهو يرى أنه لابد من التأدب بآدابهم ولديه كذلك جملة من

(1) كان فقيها صالحا...سكن سوسة ثم انتقل منها إلى القيروان . ينظر "معالم الإيمان "ج3 ص55.

(2) المالكي "معالم الإيمان "ج3 ص 55." الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي" ص343.

(3) " الخريدة "ج2 ص697.

** يعرف بابن الخراط نزل بجاجة عند الفتنة التي وقعت بالأندلس عند انقراض الدولة اللمتونية .ينظر" الديباج المذهب " ص193

(4) " نفح الطيب " المجلد 4 ص329 . وينظر"الديباج المذهب" ص 193.

المواعظ في هذا النحو:

مَا لَذَّةُ العَيْشِ إلاَ بِصُحْبَةِ الفُقَرَا    هُمْ السَلاَطِينُ وَ السَادَاتُ وَ الأُمَرَا
فَاصْحَبْهُمْ وَ تَأَدَبْ فِي مَجَالِسِهِمْ    وَخَلِ حَظَكَ مَهْمَا خَلَفُوكَ وَرَا
وَاِسْتَغْنِمْ الوَقْتَ وَ احْضُرْ دَائِمًا مَعَهُمْ    وَاَعْلَمْ بِأَن الرِضَى يَخُصُ مَنْ حَضَرَا
وَلاَزِمْ الصَمْتَ إنْ سُئِلْتَ فَقُلْ    لاَ عِلْمَ عِنْدي وَ كُنْ بِالجَهْلِ مُسْتَنيرَا
وَلاَ تَرَا العَيْبَ إلاَ فِيكَ مُعْتَقِدًا    عَيْبًا بَدَا بَيِنًا لَكِنَهُ اِسْتَتِرَا
حُطَ رَأْسِكَ وَاسْتَغْفِرْ بِلاَ سَبَبٍ    وَقُمْ عَلَى قَدَمِ الإِنْصَافِ مُعْتَذِرَا
إنْ بَدَا مِنْكَ عَيْبٌ فَاعْتَرِفْ وَقُمْ    وَجِهْ اِعْتِذَارِكَ عَمَا فِيكَ مِنْكَ جَرَا(1)

وقال أيضا:

كُلُ يَنَالُ مِنَ المَقْدُورِ قِسْمَتَهُ    قَوْمٌ تَرْقُوا وَ قَوْمٍ فِي الهَوَى سَقَطُوا
حُكْمٌ مِنَ اللهِ عَدْلٌ فِي بَرِيَتِهِ    فَرَضٌ عَلَيْنَا لَهُ التَسْلِيمُ مُشْتَرَط
مَنْ تَصَدَى لِحُكْمِ اللهِ مُعْتَرِضًا    فَقَدْ تَصَدَى لَهُ الخِذْلاَنُ وَالغَلَطُ(2)

إن أبا مدين شعيب الزاهد يؤدي واجبه النصحي و الوعظي حين يحدد للمرء وجهة لا بد أن ينتهجها ، فإما يكون ممن نجا أو يكون ممن هلك ، هذا حكم الله في خلقه ولا يمكن للمرء أن يتصدى لحكم الله ويعترض على قدره.

وهذا أبو حفص **بن عمر الأغماتي (ت604هـ)** يقول عن الغافل الذي لا يبصر الأمور كما هي على حقيقتها ويبصرها على مظهرها.

يلَقْيكَ يَا غَافِلاً فَأَنْظُرْ    وعَيْنَيْكَ غَمِضْهُمَا تُبْصِرُ
إذَا أَرْسَلَ الطَرَفُ هَامَ الفُؤَادِ    وَبَعْضَ المَرَائِي عَمَى البَصَرُ
وَآفَةُ قَلْبِ الفَتَى عَيْنَه    فَإِنْ تَرْعَ قَلْبَكَ لاَ تَنْظُرُ(3)

(1) بن مريم " البستان " ص11
(2) الموسوعة الشعرية الإصدار الثالث. (قسم الدواوين الشعرية )
(3) نفح الطيب "ج 3 ص 209.

ويقول **أبو الحسن علي بن زيد النجار** الكاتب من أهل إشبيلية ، وقد عاجلته منيته فتوفي بمراكش في الطاعون من سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة (572هـ).

أما تشتفي مني صُروف زَمــاني ... وهَلا كَفــــــى الأيامَ أني فَان
وحَسب المنايا أن خلعت شَبيبتي ... ولولا حذاريها خلعت عِنـانِي
فَغيضت أَمواه الدُموع بمقــلتي ... وَأخمدت نِيران الـجَوى بجنانِي
ونَزهت عن سمعِ القيان مَسَامعِي ... وقدست عَن بنـي الدَنان بنانِي
فأشرقَ عذري للنهى فعــذرنـني ... وأظلمَ في عيـني الصِبا فلحاَنِي
ولم تقنع الأيام حتى رمينــــــني ... بعرض شمـــــام أو بركن أبان
فطار فؤاد البرق يحكي جوانحي ... وأرســــــل عينيه الحيا فبكاني
بدا لي أن الدهر ليس مصـردا ... كؤوس الردى أو يشرب الملوان
وأبصرتُ ما بين المصَارع مَصرعِي ... سَريـعًا رَمَاني الدَهر أو مُتوانِي(1)

وهذا **بن جبير (ت614هـ)** يتعجب في هذه الأبيات من المرء الذي يزرع الآمال في هذه الدنيا ناسيا مصيره ومآله الحقيقي:

عَجِبْتُ لِلْمَرْءِ فِي دُنْيَــاهُ تُطْعِمُـهُ ... فِي العَيْشِ وَالأَجَلُ المَحْتُومُ تَقْطَعُهُ
يُمْسِـي وَيُصْبِحُ فِي عَشْوَاءْ يَتَخَبَطُهَا ... أَعْمَى البَصِيرَةِ وَ الآمَالِ تَزْرَعُهُ(2)

ويقول أيضا:

النَاسُ مِثْلَ ظُرُوفُ حَشْوهَا صَبْرُ ... وَفَوْقَهُ أَفْوَاهًا شَيءٌ مِنَ العَسَلِ
تُغْرِ ذَائِقَهَا حَتَى إِذَا كَشَــفْتَ ... لَهُ تُبَينُ مَا تَـحْوِيهِ مِنْ دَخَلِ(3)

ويقول كذلك:

وَشَاهَدْتُ فِي الأَسْفَارِ كُلُ عَجِيبة ... فَلَمْ أَرَ مَنْ قَدْ نَالَ جِـدًا بِجِدِهِ(4)

(1) المقتضب من كتاب تحفة القادم لابن الأبار. تحقيق د.إحسان عباس ص55–ط1–1986–بيروت –لبنان– دار الغرب الإسلامي
(2) "نفح الطيب" المجلد 2 ص 491
(3) نفســــــه
(4) نفســــــه

أبيات تصدم كل من اعتقد دنياه نفعا من مال أو حسب أو جاه أماني هي كل أمور لن تنفع من جد فيه وتسعى إليها بكلٍّ. ومثل الناس مثل ظروف مغلقة لا تعرف ما بداخلها وقد غره مظهرها.

وهذا **أبو زيد الفازازي(ت627هـ)*** يعظ ناصحا الابتعاد عن كل ما ينسيك امتداح محمد صلى الله عليه و سلم، فمن أراد الفوز في الآخرة ما عليه إلا أن يشغل نفسه بمدح النبي:

أَلاَ فَاقْــبَلُوا مِنِي نَصِيحَةٌ مُرْشِدٌ      يَصيــِـــغ إِرْشَادَهَا كُلُ مُهْتَـدِ
إِذَا شِئْتُمْ أَنْ تُحرِزْ الفَوْزَ فِـي غَدٍ      ذَرُوا كُلُ شـُـغْلٍ لاِمْتِدَاحِ مُحَمَدِ
فَذَاكَ مَنْـحَى لِلْنَجَاةِ وَمَأْخَذِ(1)

وهذا محمد بن الحطاب الغافقي -أبو بكر- الذي استوطن تلمسان حتى مات بها في القرن السابع الهجري(ت636هــ) يقول:

اقنع بما أوتيتـه تــنل الغنى      وإذا دهـــــــتك ملمـــــة فتصبر
واعلم بأن الروق مقسـوم فلو      رمـــــــــــنا زيادة ذرة لم نقدر
الله أرحم بالعباد فلا تسـل      أحدا تعـش عيش الكــرام وتؤجـر
وإذا سخطت لبؤس حالك مرة      ورأيــت نفسك قد دعوت فالتصيير
وانظر إلى من كان دونك تذكر      لعظـيم نعمتــــه عليك وتشكر(2)

ويقول يوسف بن محمد الثغري التلمساني وهو يسير على نهج جميع شعراء المغرب العربي الذين حذروا من فتك ملذات الدنيا:

فـلاَ تَغُـرنَّـك الدنيـا بزخرفهـا      فيـا ندامـة مـن يغْتَـر بالفـاني
فليس فيها وصـال دون هجـران      وليـس فيها كمـال دون نقصـان (3)

---

*سكن مدينة تلمسان .ترجمته في " نفح الطيب" المجلد 4 ص468

(1) الموسوعة الشعرية إصدار الثالث (قسم الدواوين الشعرية).

(2) أدباء وشعراء من تلمسان ج3-ص293

(3) المرجع السابق ج4 ص312

وهذا **إبراهيم بن محمد بن على التازي**(ت866هـ) وهو الشيخ أبو سالم، و أبو إسحاق(1) إبراهيم بن محمد بن علي اللنتي التازي ، نزيل وهران (2) ، الإمام العالم الناظم البليغ ، الوليّ الصالح، صاحب الكرامات ، من مواليد مدينة تازه بالمغرب الأقصى في أواخر القرن الثامن ، حفظ القرآن و تتلمذ على يد الشيخ يحي الوزاعي الذي اعتنى به كثيرا ، ومن تازه إلى الحجاز ثم تونس ثم هاجر إلى تلمسان وتتلمذ على يد الشيخ محمد بن مرزوق في الوعظ (3) :

والعدل أوصى به العدل العلي فكن
عدلا يحبك من لم يتخذ ولـــدا
والجور خسر، دمار ،حسرة ، ندم
والله بالنصر مظلـــوم قد وعـــدا
والبغي عاجلة فاعلم عقوبته
فاحـذره لا سيدا يبقى ولا لبـــدا
وغادر الغدر فالغدار مفتضح
يوم التنادي وحاذر به من به عهدا
والمكر لا تأتيه عقبــــاه خاسرة
لؤم وشؤم على أصحابه البعـدا
رذيله لليهود البهت تعرف ، لا
للمسلمين الكرام الأنفس السعدا
والكبر كبر خرق التواضع من
شمائل العقلاء السادة الصـعدا
فمن تواضع وقاه الإله ومن
تكبر اتضع اسمع واتبع الرشـدا

(1) التنبكتي، نيل الابتهاج، مكتبة الثقافة الدينية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية 1991ج 1 ص49.
(2) الحفناوي،" تعريف الخلف برجال السلف"، موفم للنشر ط 1- 1991ج 1 ص 249 .
(3) المهدي لعرج، ديوان إبراهيم التازي ص67.

**د. هاجسا القبر و هلاك الأمم السابقة:**

إن الفكرتين مرتبطتين مع بعضهما البعض لكل عاقل ، إذ أن الواقف على قبر يعرف أنه دُفن ها هنا ذات يوم إنسان سواء كان أبا أو جدا أو أما أو أخا أو كان غير قريب أو كان من الأمم السالفة ، وهنا يكون الترابط بين الهاجسين اللذين عبر الشاعر الزاهد عن خوفه منهما في شعره . قال تعالى:

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ﴾ (1) .

وقال ابن تيمية: "وإنما قص الله علينا قصص من قبلنا من الأمم لتكون عبرة لنا فنشبه حالنا بحالهم ونقيس أواخر الأمم بأوائلها، فيكون للمؤمن من المتأخرين شبه بما كان للمؤمن من المتقدمين، ويكون للكافر والمنافق من المتأخرين شبه بما كان" (2).

إن شعراء الزهد المغاربة ما نطقوه شعرا أرادوا به الاعتبار الذي كان نتاج التأمل والتذكر في حال الأمم السابقة أو حتى الأحباب والجيران والخلان ، حين يرى القبر وفي هذه المعاني يقول **بكر بن حماد (ت295هـ)** : يوجه الاتهام الصريح إلى من هدم دعائم الأمم السابقة و يخص بذلك الزمن المتمثل في الليل و النهار حين يقول :

| | |
|---|---|
| نَهَارٌ مُشْرِقٌ وَظَـلاَمُ لَيْـــــلٍ | أُلِـحُ بِالبَيَـاضِ وَبِالسَـوَادِ |
| هُمَا هَدَمَا دَعائِمَ عُمْـرُ نُـوحٍ | وَلُقْمَـانُ وَشَـدَّاد وَعَـــادِ(3) |

إنه صنيع الزمن بالأمم السابقة التي ظنت أنها خالدة بطريقة أو أخرى .و ليتفكر الإنسان الضعيف مثلا في نوح عليه السلام الذي عمر طويلا . لكنه استسلم في الأخير إلى عامل الزمن وأين قوة عنترة و قوم عاد الذين ادعوا القوة من قبل. إن الاتعاظ والاعتبار لابد أن يكون من خلال هذا التأمل وإلا لا. ثم ها هو يكشف حقيقة الزمن بشتى عوامله و يهون من شأنه :

(1) سورة الروم :42
(2) العقود الدرية ج137/1
(3) الدر الوقاد ص 76

قِفْ بِالقُبُورِ فَنَـــادِ الهَامِـدِينَ بِهَا ... مِـــنْ أَعْظَمِ بَلَيْتَ فيهَا أَجْسَادِ

قَوْمٌ تَقَطَـــــعَتْ الأَسْبَابُ بَيْنَـهُمْ ... مِنَ الوِصَالَ وَصَارُوا تَحْتَ أَطْوَادِ

رَاحُوا جَمِيعًا عَلَى الأَقْدَامِ وَ ابْتَكَرُوا ... فَلَنْ يَرُوحُوا وَلَنْ يَغْـدُو لَهُمْ غَادِ (1)

إن الزمن فعل فعلته بأصحابه فأصبحوا هادمين في قبور لا حول ولا طاقة لهم .

وغير بعيد عنه يقول **ابن زهر الحفيد** (-595): يتصور نفسه يوما في هذا القبر

تُرَابُ الضَرِيحِ عَلَى صَفْـــحَتِي ... كَـأَنِي لَمْ أَمْشِ يَوْمًا عَلَيْهِ

أُدَاوِي الأَنَامُ حَذَارِ المَنُــــــون ... فَمَـا أَنَا قَدْ صِرْتُ رَهَنَا لَدَيْهِ (2)

ويقول ابن ابراهيم العامري الخطيب وهو محمد بن إبراهيم القرشي العامري الخطيب النحوي من أهل شلب وأصله من مدينة باجة ، أورد له ابن الآبار ما أمر أن يكتب على قبره

لَئن نفذَ القَـدرُ السَـابِقُ ... بمـوتِي كَما حَـــكَم الخَالَقُ

فَقد مَات والــــدناَ آدم ُ ... ومَـاتَ محـــــــمَدٌ الصادقُ

ومَات الملوكُ واشياعهُم ... ولم يَبق مِن جَمــــعِهم نَاطقُ

فَقُل للذِي سره مُهـلكِي ... تَأهبْ فَـــــإنكَ بي لاَحِقٌ(3)

هـــ .<u>هاجس النفس الأمارة :</u>

**قال تعالى: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾**(4) ، كثيرة التقلب والتلون ، وهي من أعظم آيات الله ، فإنها مخلوق من مخلوقاته تتقلب وتتلون في الساعة الواحدة – فضلاً عن اليوم والشهر والعام والعمر– ألوانًا عديدة ؛ فتذكر وتغفل ، وتقبل وتعرض ، وتلطف وتكثف ، وتنيب وتجفو ، وتحب وتبغض ، وتفرح وتحزن وترضى وتغضب ، وتطيع وتعصي.

---

(1) الدر الوقاد . ص 80 . رياض النفوس ج1 .ص25 . الأدب العربي في المغرب العربي ص 188 . معالم الايمان ج2 ص 285 .

(1) نفح الطيب ، "المجلد" 3 ص434

(2) تحفة القادم ، ابن الأبار –تحقيق د. إحسان عباس– دار الغرب الاسلامي ط1 – 1986 – ص24

(3) سورة يوسف :53

سميت هذا المطلب هكذا و قد يسميه غيري غير ذلك كجهاد النفس أو وعظ النفس أو مسمى آخر. فالزاهد في الدينا لابد أن يكف النفس عن ملذات الحياة ، من هوى ولهو وغير ذلك وإلا كيف يسمى زاهدا ، وهذا ما طرقه الشعراء أو المغاربة وهم الذين اختبروا الحياة أيما اختبار وارتحلوا أيما ارتحال ، في البلاد الإسلامية فتمسكوا بدينهم أيما تمسك

ولنبدأ هذه الفكرة بالشاعر المشهور سابق البربري:

يا نفس كل قابر مقبور ... ويـــهلك الزائر والمـــزور
ويَقبضُ العَـــاريةَ الُمعيرُ ... لَيسَ على صَرفِ التَوىَ عُمورُ
كَمْ مِن غَني مُكثرٍ فقيـــرٍ ... وَالصِـــدقُ بِرٌ وَالتقَى نَظيرُ
والبِرُ مَعروفٌ بِه المَبرُورُ ... وَذُو الهَـــوَى يَسُوقُهُ المَقْدُورُ(1)

ويقول:

وبَعدَ دُخولِ القَبرِ يا نَفسُ كُربَة ... وَهَولِ تَشيبُ الُمرضِعِينَ زَلاَزِلُهُ (2)

ويقول **بكر بن حماد التاهرتي** حين يقول :

لَقَدْ جَحَمَتْ نَفْسِي فَصِدْتُ وَأَعْرَضَتْ ... وَقَدْ مَرَقَتْ نَفْسِي فَطَالَ مُرُوقُـهَا
فَيَا أَسَفِي مِنَ جُنْحِ لَيْلٍ يَقُـــودُهَا ... وَضَوْءِ نَهَارٍ لاَ يَزَالُ يَسُـــــــوقُهَا
إِلَى مَشْهَدٍ لاَبُدَ لِي مِنْ شُـــهُودِهِ ... وَمِنْ صَرْعٍ لِلْمَوْتِ سَوْفَ أَذُوقُهَا(3)

إن الشاعر قد علم شيئا مهما وهو أن مسايرة النفس وركوبها لأهواء الدنيا قد طال وإعراضها عن الطاعات والعبادات والنفس المقصود بها ...

ثم يأتي ذلك العامل الذي لابد من جعله سببا في كل هذا و هو الزمن بما يمثله من ليل ونهار يقودان هذه النفس إلى حتفها حقيقة فالإحساس بالوقت ضعيف عند غالبية البشر. وهنا **ابن غليون أبو عقال** يقول :

(1) شعر سابق بن عبد الله البربري – دراسة وجمع الدكتور بدر ضيف–ط2004/1 دار الوفاء –الاسكندرية – مصر.ص114
(2) نفســـه
(3) محمد الطمار ،" تاريخ الأدب الجزائري" ص 35 . رمضان شاوش "الدر الوقاد" ص 12.

مُنَايَ وَ تَسْــوِيفِي بِنَفْسِـي أذلهَا　　وَأعلِمُــــهَا فِيمَا عَلَيْهَا بِمَا لَهَا

تَمِيلُ إِلَى حَظِ مِنَ القُوتِ دَارِس　　يَخُطُ مِنَ الدَارِ التِي لاَ أَنْقَاضَ لَهَا(1)

إن محاولة تذليل النفس التي ينشدونها في أشعارهم دائما إنما هي في الواقع إبعادها عن ملذات و شهوات الحياة وهنا يقع الصراع بين قلب المؤمن الذي يرى أن ذلك الزمن المتمثل في الدنيا أو الدهر ما هو إلا وسيلة بينما تريد هي الميل له لجعله غايتها المطلوبة والمنشودة .

ويقول و هو سجال مع نفسه :

كَأني وَنَفسِي بَينَ حَربِ وهُدنةٍ　　إذا سَاعَدتني في السُهَادِ بَدا لَها

تخالفُني في كُــــــلِ أمرِ أُريدهُ　　وَتَقْطَــعُ مِــني بِاليمين شِمَالهَا

فَمن لي بَنفسٍ لا تَزال غَـــــــوية　　تُسَــاعد شَيطَـاناً يُريدُ ضَلالهَا

فَلَو كَانَ لِي التَخْيير فِي بدء خلقتِي　　تَعَوَذْتُ من نَفْسِي فَلَمْ أَرحَالَهَا (2)

ولكنه لما صبر في حربه مع نفسه التي كانت تساعد ذلك الشيطان الذي يريد هلا كها قد تفوق عليها في الأخير:

فَأَلْزَمْتُ نَفْسِي مَدَى صَـبْرَهَا　　وَخَالَفْتَهَا فِي هَوَاهَا عِنَــادَا

وبَايَنَتْ مَا كُنْتُ أَلْهُو بِــــــهِ　　فَأَمْسَى وَأَصْبَحَ عِنْدِي سِهَادَا (3)

وهذا **الفقيه خطاب التلمساني( -؟ )*** يقول عنها :

حَرَامٌ علَىَ نَفْسِــي لَذَاذَةٍ عَيْشَهَا　　إِلَى أَنْ تَقِرُ الـنَفْسَ عَيْنًا بِمَا تَدْرِي

بِعِلْمٍ يُزَكِي النَــفْسُ عِنْدَ مَلِيكِهَا　　وَ تُؤْنِسُهَا أَنْوَارُهُ فِي دُجَــى القَبْرِ(4)

فهو يرى أن هذه النفس لو كانت تعلم علما يقينا لما تلذذت بملذات الحياة ولكفاها علم ينفعها يوم الحساب وقبله في ظلمات قبرها.

(1) المالكي." رياض النفوس" ج1 ص 541.
(2) نفسه
(3) نفســه ص539.
* هو أبو الحسن الخطاب بن أحمد بن عدي بن خطاب.....كان إماما فاضلا .ينظر "الخريدة ".المجلد 2 ص698
(4) نفســه

وهذا **أبو الأصبع عبد العزيز بن علي (ت 559)*** المعروف بابن الطحان الاشبيلي يدعو إلى معاداتها -أي النفس- فإن كانت تطلب أشياء دنيوية وجب منعها وإن هلاك الإنسان في مجاراتها و طاعتها ، وكل من خاف الرحمن وجب عليه أن يدللها حتى يسلم من الآخرة :

وَعَادَ الـــنَفْسُ مُصْطَبِــرًا      وَ نَـــكُبُ عَنْ خَـــلاَئِقِهَا
هَلاَكُ المَرْءِ أَنْ يُضَــحِي      مُجَـــدِدًا فِي عَـــلاَئِقهَا
وَذُو التَقْوَى يُذْلِـــــلْهَا      فَيَسْـــلَمْ مِنْ بَـــوَائِقِهَا(1)

وَهَا هُوَ **الأمير ابن عبد المؤمن (ت604)** يزجرها و يحذرها من عواقب الزمن :

يَا نَفْسُ حَسْبُكِ مَا فَرطْتَ فَازْدَجِري      عَنِ الذُنُــوبِ فَإِن القَبْرَ مَثْـوَاكِ
خَافِي الإِلَهَ لِمَا قَدَمْتَ مِنْ زَلَـــلِ      وَاعْصِـي هَوَاكِ فَــإِن الله يَرْعَـاكِ
إن الهَوَى قَلَمَا تُجْـــدِي هَوَادَتُـهُ      وَهُوَ الذِي عَنْ سَبيلِ الرُشْدِ أَقْصَاكِ
لشد مَا تَعْلَمِينَ الفَرْقَ بَيْنَـــهُمَا      مَا كَانَ أَحْـــرَاكَ بِالأَجدَى وَأَوْلاَكِ
إِلَى مَا تُلْهِينَ عَنْ قَوْلِي مُـــغَالَطَة      وَتُوقِنِـــــــينَ بِأني غَيْـرَ أَفَــاكِ
أُصْغِي إِلَى فَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ أَحَدٍ      أُلْقِـــى إِلَيْــهِ صَرِيحَ النُصْحِ إِلاَكِ
تُوبِي إِلَى اللهِ إِنَ اللهَ يَقْـــــــبَلَهَا      وَاسَمِي بِجُهْدِكِ فِي تَحْسِينَ عُقْبَـاكِ(2)

تحذير الأمير للنفس متواصل في الأبيات الستة كلها فهو يحاورها و يرهبها و يرغبها فلا أحد أنصح لها كصاحبها ، وأما في البيت السابع فيأمرها بالتوبة إلى الله ويخبرها أن الله يقبل التوب على الرغم من كثرة الذنوب عل ما بقي من العمر يحسن من العاقبة.

وهذا **أبو عبد الله محمد التلاسي التلمساني** (ت767هـ) يقول هو الآخر:

هـذا ونَفْـــسي لِكُـــلِّ شَيء      ممَـــا يشيـقُ الفَـتى تُراقِــبِ (3)

* أخذ القراءات ببلده اشبيلية ثم انتقل إلى فاس...ينظر" نفح الطيب" ج2 ص634.

(1) المصدر نفسه .

(2) الموسوعة الشعرية الإصدار الثالث.(قسم الدواوين الشعرية).

(3) أدباء وشعراء من تلمسان-بوزياني الدراجي - دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع . الجزائر.2011.ج4 ص65

فقلت يا نَفْسِـــي ليـس إلاَ أن تَنـــظُري الآنَ في العَواقِبِ
يا نفـــس بادر دع التـأني فعيشك عن قريب ذاهـــــب(1)

ويقول:

أطـاوِع نَفْسي في غَيهـــا وأمـسي عن ِ الرشْد لاه وغافـلْ
فيا ويـح نَفـسي كَم ذا تُـرى تُطيــعِ الغُواة وتعصي العوادل (2)

ويقول **محمد بن يوسف الثغري التلمساني:**

فقلـت للنفـــس إذ طالت بطالتهـــا مهلاً ألم يأن أن تَخْشَى ألم يـأنِ
كم من خُطَى في الخطايا قد خطوت ولم تراقبـني الله في سـر وإعـلان(3)

(1) نفســـه
(2) نفســـه
(3) نفســـه ص313

**و. فكرتا الندم و طلب الصفح:**

قال تعالى : ﴿ **وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً × يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَاناً خَلِيلاً × لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولاً** ﴾ (1) .

إن فكرتي الندم وطلب الصفح مكملتين لبعضهما لذا أردت وضعهما في عنوان واحد فالأول يؤدي إلى الثاني ولا يكون الثاني إلا بالأول ، وقد أورد الشعراء المغاربة هذين الهاجسين أو هاتين الفكرتين أو الموضوعين في أشعارهم بكثرة فكل إنسان تأتي أوقات من عمره تنقلب عليه أهوائه وشهواته ويخسر معركته مع نفسه و الشيطان ثم يتدارك ذلك على حسب قوة إيمانه ويكسب معاركه فتبدأ حالة الندم وهي أول طريق إلى تفوقه وهي وسيلة كذلك لطلب الصفح من المولى عز وجل. إن الندم طلب الصفح دون شك يؤديان بصاحبها إلى اعتزال ملذات الحياة والزهد فيها وتصغيرها.

وهذا **أبو جعفر أحمد بن سليمان داوود الصواف** الذي كان يقول: **"**أزهد الناس في الدنيا من لم يرضى منها إلا بأخذ الحلال و إن رآه الناس متكئا عليها"(2) وهو القائل في ما يندم عليه الإنسان وإن كان قد سر فيه لزمن معين:

يَا لَذَّةٌ قَصُـــرَتْ وَ طَـالَ بَلاَؤُهَا ... عِـــنْدَ التَذَكُرِ فِي الزَمَانِ الأَوَلِ
لَمَا تَذَكَـــــرَهَا وَقَالَ نَدَامَة ... مِنْ بَعْـــدِهَا يَا لَيْتَنِي لَمْ أَفْعَلِ(3)

و يقول و قد تيقن أن لا طريق غير طريق الله وأنه لا ملجأ إلا إليه:

أَجِـــرْنِي مِنْ عَذَابِكَ وَ اعْفُ عَنِي ... وَكُـــنْ لِي مِنْكَ يَا أَمَلِي مُجِيرَا
فَإِنِـــي قَدْ كَبِرْتُ وَ رَقَ عَظْمِي ... لَجَـــأْتُ إِلَى فَنَائِكَ مُسْتَجِيرَا
وَأَنِـــي لَمْ أَزَلْ أَرْجُو عَفْوًا ... لأَنَكَ لَمْ تَزَلْ رَبًا غَـــفُورَا(4)

(1) الآيات 27، 28 ، 29 من سورة الفرقان.
(2) الدباغ ." معالم الإيمان" ج1 ص 207
(3) نفســـه
(4) المالكي." رياض النفوس" ج1 ص 513.

وهذا **أبو عقال بن غلبون** يرى أن مصائب الزمان ما زادته إلا يقينا بوجود ربه ، وقد أوكل نفسه إلى خالقه فهو الذي يعلم مصالحه ، سره وعلنه وأمنه وكان رفيقا له في البلاء وحوادث الدهر:

إِنَ الزَمَانَ عـَــــدَا عَلَيَ فَزَادَنِي ... عِلْمــــًـــا بِأَنكَ سَيدِي تَحْقِيقَا
مَا نَـــــالَنِي ضُرٌ بِوَجْهٍ مَسَاءَةٍ ... إِلاَ وَجَـــــــدَتْ بِهِ إِلَيْكَ طَرِيقَا
حَسْــبِي بِأَنكَ عَالِمُ بِمَصَالِحِي ... إِذْ كُــــــنْتَ مَأْمُونًا عَلَى شَفِيقَا
فَامْضِي القَضَاءُ عَلَى الرِضَى مِنِي ... بِهِ إِنِي رَأَيْتُـــــكَ فِي البَلاَءِ رَفِيقَ(1)

ويتحسر على ما فات من العمر وقد ضاع في اللهو وحب للشهوات ولذائذ الدنيا ثم يطلب العفو والصفح ممن لا يخذله دائما:

لأَهْــــجُرَنَ أَحِبَتِي وَمَعَــــــارِفِي ... وَلأَقْطَــــــــــعَنَ عِصَابَةَ المجَان
وَلأَبـْــكِينَ عَلَى الصِبَا وَلَمَا مَضَى ... مِنْ غَــــرَتِي فِي سَالِفِ الأَزْمَان
فلَعَـــــلَ مِنْ شَمْلِ العِبَادِ بِفَضْلِهِ ... يَحْيِي الفُـــــؤَادُ بِكَثْرَةَ الأَشْجَان
فَامْــــنُنْ عَلَيَ بِمَا أُوملُ مِنْكَ يَا ... مُعْـطِي الجَمِيل وَمُسْدِي الإِحْسَان(2)

وهذا **عبد الرحمان أبو القاسم بن محمد الحضرمي المعروف باللبيدي (-440)** ولبيدة من قرى الساحل من مشاهير علماء إفريقية ومؤلفيها توفي بالقيروان* يقول داعيا:

أَنْتَ العَلِيُ وَ أَنْتَ الخَالِقُ البَــارِي ... أَنْتَ العَـــــلِيمُ لِمَا تُخْفِيهِ أَسْرَارِي
أَنْـتَ العَلِيـمُ لِمَا فِي الخَلْق مَقْدِرَةٌ ... فِي وِسْعِ عَيْش وَ فِي بُؤْسٍ وَافْتِـقَار
عَسَى المَلِيكُ يَذُودُ النَفْسَ عَنْ عَطَبٍ ... يَجْلُو العَــمَـــــاءُ بِتَوْفِيق وَ أَنْوَار(3)

يخاطب عبد الرحمان ربه ، و قد تضرع إليه خيفة ، إنه يواجه ربه بفقره فهو حتى في هذه

(1) المصدر السابق ص527
(2) نفســـه
* ينظر المصدر نفسه ص168
(3) نفســـه ص168

الدنيا ليس له كمال ولا جاه فيها يغويه و يبعده عن طريق الصواب .

وهذا **عياض بن موسى اليحصبي (ت544)*** يقول:

أَعُـــــوذُ بِرَبِي مِنْ شَـــرِ مَا ... يَخَافُ مِنْ الإنْـــسِ وَ الجِنَـةِ

وَ أَسْئِـــلَه رَحـمَةَ تَقْتَضِي ... عَــــــــوَارِفُ تُوصَلُ بِالجَنَةِ

فَمَـــــا لِلْخِلاَنِ مِنْ نَارِهِ ... سِوَى فَضْـــلُ رُحْمَاهُ مِنْ جنَةِ (1)

إن الشاعر يتضرع إلى خالقه ،عله يجد طريق النجاة و يتعوذ به من كل لاهية تلهيه عن ذكر ربه وتجعله ينسى رحمة ربه.

وهذا **أمية بن عبد العزيز بن أبي الصمت ( ت 529 هـ)** يقول:

حَسْـــبِي فَكَمْ بَعُدَتْ فِي اللهِ أَشْوَاطِي ... وَطَالَ فِي الغَيْ إِسْرَافِي وَإِفْرَاطِي

أَنْفَقْتُ فِي الـلَهْوِ عُمْرِي غَيْرَ مُزْدَجِرٍ ... وَجَدْتُ فِيهِ فـــورِي غَيْرَ مُحْتَـاطِ

عَلَيَ أَخْلَـصُ مِنْ بَحْرِ الذُنُوبِ وَ قَـدْ ... غَرَقْتُ فِيهْ عَلي بَعْد مِنَ الشَاطِي

نعَمْ وَمَــالِي مَا أَرْجُو رِضـــــــاَكَ بِهِ ... إِلاَ اِعْتِرَافِي بِأَنِي الْمُـذْنِبُ الخَاطِي(2)

إنها أبيات ظاهرة المعنى بينة المبنى لأمية هذا فقد كانت بدايتها في الندم على ما فات وما جرى من كثرة الأخطاء والمعاصي ، وقد أنفق جل العمر في غير رضا الله" أنفقت في اللهو عمري غير مزدجر" ثم يأتي بعد ذلك الاستغفار . وطلب الصفح " نعم ومالي لا أرجو رضاك" عند الله القدير قابل التوب وغافر الذنب. ويقول إما يكون عقابه شديد أو ينال عفوا فقد فاز بنعيم دائم :

فَيَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ أَلْقَاهُ عِنْـدَهَا ... وَزَادِي قَلــــِيلُ وَ الذُنُوبُ كَثِيرُ

فَإِنْ أَكُ مُجْزِيًا بِذَنْبِـــي فَإِنــَـنِي ... بَشَرٌ عِقَـــــابُ الْمُذْنـِبِينَ جَدِيرُ(3)

---

* القاضي الإمام المجتهد يكنى أبا الفضل سبتي الدار و الميلاد أندلسي الأصل... الإحاطة ج4 ص 233

(1) الإحاطة ج4 ص233.

(2) محمد المرزوقي "ديوان أبي الصلت أمية بن عبد العزيز" ص115 . وينظر "الخريدة " ج2 ص 456

(3) " نفح الطيب" المجلد 2 ص 129.

وَإِنْ يَكُنْ عَفْوٌ بِذَنْبِــي فَإِنَنِــي     فَثَمَ نَعِــيمٌ دَائِمٌ وَسُــرُورُ(1)

وهذا **بن جبير** يقول طالبا الصفح والعفو من الله عز وجل متضرعا إليه في صورة الخائف الذي قام بجريمته وينتظر حسابها وعقابها.

وَقُلْ رَبِ هَــبِ رَحْمَةً فِي غَدٍ     لِعَــبْدٍ بَسِيمِ العُصَاة اِتَسِمِ
جَرَى فِي مَيَادِينَ عِصْــيَانِهِ     مُســيِئًا وَ دَان بِكُفْرِ النِعَمِ
فَيَا رَبُ صَــفْحُكَ عَمَا جَنَى     يَارَبُ عَفْــوَكَ عَمَا اِحْتَرَمِ(2)

وهذا **القاضي الكبير الأستاذ الشهير أبو العباس أحمد بن الغماز البلنسي** نزيل إفريقية يدعو كل من أسرف في دنياه وأمضى عمره في لهو أن يبادر بالتوبة وليتذكر يوم الحساب " إذا انتشرت يوم الحساب الصحائف" وألا ييأس من رحمة الله وإن عظمت ذنوبه:

وَبَــادِرْ بِأَعْمَال تَسُرُكَ أَنْ يَـرَى     إِذَا انْتَشَرَتْ يَوْمَ الحِسَابِ الصَحَائِفُ
وَلاَ تَيْأَسْ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَــهُ     لَرَبُ العِبَــــادِ بِالعِبَادِ لَطَائِفُ(3)

وهذا **الأمير بــن عبــد المؤمــن (-604هـ)** يقول:

وَأذْكُرْ يَــوْمَ الحَشْرِ إِنْ جِئْتَهُ غَدَا     وَذَنْبِي مَعِي وَ الذَنْبُ أَخْبَثُ صَاحِبِ
وَلَكِنْ أَرْجُــو الله فِي كُلِ حَالَةٍ     وَأَخْشَ بِمَا قُمْــتُ سُوءَ العَوَاقِبِ
فَيَا خَيْرُ مَنْ يُدْعَــى لِكُلِ مُلِمَة     وَأَكْــرَمُ مَنْ يُرْجَى لِنَيْلِ الرَغَائِبِ
أَقِــلْ عَثْرَتِي إِنِـي أَتَيْتُكَ تَائِبًا     وَلَيْــسَ مُقِيمِ فِي الذُنُوبِ كَتَائِبِ(4)

وهذا **الزاهد أبو مدين شعيب** يقول:

يَا مَنْ عَلَى فَرَأَى مَا فِي القُلُوبِ وَمَا     تَحْتَ الثَرَى وَظَلاَمُ اللَيْلِ مُنْسَدِلُ
أَنْتَ الْمُغِيثُ لِمَنْ ضَاقَتْ مَذَاهِبَهُ     أَنْتَ الدَلِيلُ لِمَنْ ضَاقَتْ بِهِ الحِيَلُ(5)

(1) المصدر السابق.
(2) نفســه ص 494.
(3) نفســه ص 316.
(4) الموسوعة الشعرية الإصدار الثالث . (قسم الدواوين الشعرية)
(5) نفســه

إِنَا قَصَدْنَاكِ وَ الآمَالُ وَاثِـــــقَةٌ ... وُالكُلُ يَدْعُوكَ مَلْهُوفٌ وَ مُبْتَـهِلُ
فَإِنْ غَفَرْتَ فَذُو فَضْلٍ وَ ذُو كَرَمٍ ... وَإِنْ سَطَوْتَ فَأَنْتَ الحَاكِمُ العَـادِلُ(1)

إن كل من زهد في هذه الدنيا يرى عاكفا على طلب الثواب والمغفرة ويصف الإله بكل ما حدثته به نفسه " أنت المغيث" ، "ترى تحت الثرى" ،" أنت الدليل" وقد أكثر الدعاء ليتيقن الاستجابة.

وهذا **أحمد بن عبد الرحمان بن محمد بن صقر الأنصاري الخزرجى أبو العباس*** **(-569)** وقد شد نظره إلى الإله العظيم واشتكى إليه حاله ونعى بأعماله إلى خالقه و قد وجد نفسه فقير ، ضعيف لا حول له و لا قوة.

إِلَهِي لَكَ الْمُلْكُ العَـــــظِيمُ حَقِيقَة ... وَ مَا لِلْـــوَرَى مَهْمَا نَعَتْ نَقِيرُ
تُـــجَافِي بَنُو الدُنْيَا مَكَانِي فَسَرَنِي ... وَمَا قَدْرَ مَــــخْلُوقٌ جَدَاهُ فَقِيرُ
وقالوا: فَـــقِيرٌ وَهُوَ عِنْدِي جَلاَلَهُ ... نَعَمْ صَـــــدَقُوا إِنِي إِلَيْكَ فَقِيرُ(2)

وهذا **عبد الرحمان السهيلي (ت581)**** يقول داعيا ربه وقد جد في ذلك فهو أكثر من حرف النداء **"يا"** الذي يدل على طلب الاستعانة في الحالة الشديدة:

يَا مَنْ يَرَى مَا فِي الضَـمِيرُ وَيَسْمَعُ ... أَنْتَ الْمُـــــعِدُ لِكُلِ مَا يَتَوَقَعُ
يَا مَنْ يَرْجَــــــى لِلْشَدَائِدِ كُلُهَا ... يَا مَنْ إِلَيْهِ الْمُشْـتَكِي وَالْمُفْـزِعُ
يَا مَنْ خَزَائِنُ مُـلْكَهُ فِي قَوْلِ كُنْ ... آمَـــنْتُ فَإِن الخَيْرَ عِنْدَكَ أَجْمَعُ
مَالِي سِوَى فَقْرِي إِلَيْكَ وَسِـيلَةٍ ... فَبِافْتِــــقَارُ إِلَيْـكَ فَقرِي أَدْفَعُ
مَالِي سِـــوَى قَرْعِي لِبَـابِكَ حِيلَة ... فَلَئِــنْ رَدَدْتُ فَأَيَ بَـابٍ أَقْرَعُ(3)

---

(1) نفـــسه
* من الثغر الأعلى لسرقسطة ثم تحول إلى سبتة ثم إلى فاس ثم استوطن مراكش . ينظر الديباج المذهب ص 62 . وينظر الإحاطة ج1 ص82
(2)" الديباج المذهب" ص62. " الاحاطة "ج1 ص 82. "الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي" ص344
** هو أبو القاسم أبو زيد عبد الرحمان بن الخطيب. وتوفي بحضرة مراكش . الديباج المذهب ص 166. " الاستقصاء" ج1 ص 190
(3) "المطرب من أشعار أهل المغرب" ص234 . "الديباج المذهب" ص 166

وهذا **أبو عبد الله بن خميس التلمساني** ، يفتتح إحدى قصائده بتصوير وجْده ، وحسرته وشجنه ، لفقد الشباب ، إذ لم يعُد يتلذذ بطعام أو شراب، وصار يمنِّي نفسه بالمتاب ، بعدما ضـاع شـرخ شبيبته ، في خداع وخصومة وعتاب . فيقول :

أَنَبْتُ ، ولكنْ بَعد طُول عِتَـابِ — وفَرْطِ لَجَـاجٍ ضاع فيهِ شَبَابي
وَمَا زِلْتُ والعَليا تُعنِّي غريـمها — أُعَـلِّلُ نفسي دائما بِمَتَابِ
وهيهات مِنْ بَعْد الشَّبابِ وشَرْخِه — يَـلذُّ طَـعَامي أو يَسُوغُ شَـرَابي
خُدِعْتُ بهذا العيش قبْل بـلائهِ — كَمَا يُخْدَعُ الصَّادي بِلَمْعِ سَرابِ
تقولُ هُوَ الشَّهدُ المشور جَـهالةً — وما هُو إلا السَّمُّ شِيبَ بِصَابِ (1)

وهذا **أبـو محمـد عبـد المؤمـن بـن مـوسى المديـوني(ت746هـ)** يقول:

وَجانبَتْ نفسي العقل الذَميمَ فَلاَ — أرى نَديما إلَى مَن قد هَفَا وصَبَا
ولاَ أنَا ثم الـذِي يَرضى بمنقصَةٍ — وَلا أصيخُ لِقـولٍ يحدِثُ اللَعِبَا
إذا تَذكـرتُ أيامِي الـتي سَلَفَتْ — تَبَادرُ الدَمعُ مِن عَينِي مُنسَكِبَا
أَفنيتُهَا عَاصِيًـا لِلـهِ مجترئًا — ولم أخفْ شَاهِدًا عَلى مَـنْ تَعِبَا (2)

و يقول **موسى بن يوسف (أبو حمو الثاني)** :

خَليلَي قَد بَانَ الحبيبُ الذي صَـدَا — وقَد عَاقَني صَبري فَلَم اسْتَطِع رَدَا
وَسَالتْ دُمُوعِي فَوقَ خَدي هَوامِلاً — وقَد صَيرتْ فَوقَ الخُدُودِ لها خَـدَا
قَد اصْفَر لَونِي بَعدَ حُسنِ شَبَيبتِي — كَمَا ابيضَ رَأسِي بَعدمَا كَان مُسودَا
وقَد مَر عُمري فِي عَسى وَلَـعلَمَا — تُواصِلنِي لُبنَى وتَهجُرنِي سَعْـدَى(3)

**ويقول التلاسي** : وقد غلب على شخصيته هنا طابع الشكوى مما أضفى على الأبيات مسحة من الحزن تجعل القارئ يتعاطف ويحس بألم الشاعر وحالة اليأس التي يشعر بها، فقد داهمته الأحزانُ

(1) يوسف عطا الطريفي "شعراء العرب – المغرب والأندلس- ص129
(2) بوزياني الدراجي " أدباء وشعراء من تلمسان" دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع . الجزائر 2011 - ج4 ص18
(3) المرجع السابق ج4 ص15

والخُطُوب ، وكَثُرت عليه المعاصي والذنوب ، كما أن الله يحب أن يسمع عبده يشكو إليه ويَمقُت منه أن يشكوه إلى خلقه ومع شكواه لربه ، فلا بد له من التحلِّي بالصبر الجميل .

شَكَو تُ إليك إلَهي عسى | تمن وتسمح بالتوبِ عاجلْ
وتَصفَحُ عن زَلَتي إنّني | أتيتُ ذليلاً بَابك سائلْ
فَمَا لي سِواك وأنتَ الإلهُ | الذي لا تَخيب لَديهِ الوسائلْ(1)

ز. **فكرتا الشباب و الشيب:**

هناك إشارة قرآنية إلى عملية تحول الشَعر الملون إلى شَعر أبيض مع تقدم السن وارتباطه بضعف في خلايا الجسد بعد أن كانت نشطة قوية ، يقول تعالى: ﴿ **اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ** ﴾ (2) والحقيقة العلمية تقول بأن تقدم العمر يؤدي إلى ضعف العمليات الحيوية داخل الخلايا ، وبالتالي يقل إفراز المواد الصبغية ، ويبدأ الشَعر يأخذ اللون الأبيض ، لأن الخلايا لم تعد قادرة على إنتاج الصبغة اللازمة لتلوين الشعر، أي هناك ضعف يؤدي إلى الشيب . وهذه الآية من آيات الإعجاز العلمي حيث تشير إلى دورة الحياة ، فكفاءة الجسم البشري ليست ثابتة بل تتغير مع تقدم العمر، وهذا ما وجده العلماء حديثاً.

إن البكاء على الشباب والفزع من الشيب عند الشعراء المغاربة شغل حيزا ليس بالهين و هذا الإحساس هو طبيعي عند البشرية جمعاء وقد صار معها عبر العصور وعبر عنه شعراء كل عصر حين يبدؤون كلامهم بالعجز وقلة الحيلة ويتمنون أكثر من ذلك أي الخروج من عبودية الكبر وأن يعود لهم زمن الشباب وهيهات أن يعود ذلك العمر. وقد قال الحجاج بن يوسف الثقفي "الشيب نذير الآخرة " ولكن الشاعر المسلم وجب عليه التسليم لحقيقة الأمر وأنه لا رجعة للزمن الماضي .

(1) نفســـــه ص78
(2) سورة الروم: 54

وهذا الشاعر **عيسى بن مسكين بن منصور بن جريح بن محمد الإفريقي (ت295)*** يقول:

لَمَا كَـــــبِرْتُ أَتَتْنِي كُلُ دَاهِــيَةٍ    وَكُلُ مَا كَـــــــانَ مِنِي زَائِد نقْصَا
أُصَافِحُ الأَرْضَ إنْ رَمَتْ القِيَامَ وَإِنْ    مَشَــيْتُ تَصْحَبُنِي ذَاتَ اليَمِينِ عَصَا(1)

إن الدواهي التي تلحق بالإنسان هي لا تشك مرتبطة بضعفه أو سقمه و ان الكبر لا محالة جالب الضعف الذي تمثل في مصافحة الأرض عند القيام والاتكاء على العصا وحملها أثناء المشي. ويتحسر **عيسى بن مسكين** في نص آخر عن ساقه التي أصابها السقم وقد كان يمشي بها إلى أماكن العلم ، فما عليه الآن سوى القعود والبقاء منفردا وحيدا:

أَصَــــابَ الدَهْرُ مِنِي عَظْمَ سَاقِ    بِهِ قَدْ كُـــــنْتُ مَشَاءٍ جَلِيدَا
إِلَى الفُــــقَهَاءِ أَنِقُلُهَا وَأَطْـوِي    بِهَا لِلْـــــــحَاجَةِ البَلَدِ البَعِيدَا
إِذَا رِجْـــــلُ الفَتَى يَوْمًا أُصِيبَتْ    وَطَـــــالَ سقَامهُ أَلْفَ القُعُودَ
وَصَـــــــارَ لِبَيْتِهِ جَلِسًا وَأَمْسَى    مِنْ الإِخْــــوَانِ مُنْفَرِدَا وَحِيدَا(2)

وهو ككل الشعـراء المسلمـين يتقبل الوضع والانصياع للقضاء والقدر شأنه في ذلك شأن **بكر بن حماد** حين امتد به الزمن وعجز عن التصرف في أموره فأنشد يرثي نفسه:

أَحْـبُو إِلَى المَوْتِ كَمَا يَحْبُو الجَمَلُ    قَدْ جَـــــاءَ مَا لَيْسَ لِي فِيهِ حِيَلُ (3)

إن الموت لا بد مدرك الإنسان فلا حيلة معه وهذه الحتمية ستأتي بعد حالة الكبر-لا محالة- الذي يدل عليه حبو الإنسان بعد ما كان جلدا قويا.

وهذا **أبو العرب أحمد بن محمد بن تميم*** وقد ضعفت حيلته وما عليه إلا الشكوى إلى الله وتسليم نفسه إليه بعد أن فقد الشباب :

---

* من تلاميذ سحنون انتقل عبر الشام و الأردن و توفي سنة 295 هـــ . ينظر " المغرب العربي تاريخه و ثقافته "ص 114. وينظر الأدب العربي في المغرب العربي" ص 237.

(1) العربي دحو ." الأدب العربي في المغرب العربي "ص 237.

(2) نفســـــه ص 238.

(3) رمضان شاوش ." الدر الوقاد" ص 91.

*أبو العرب أحمد بن تميم صاحب كتاب" طبقات علماء افريقية". ينظر" رياض النفوس" 306.

ضَــعُفَتْ حيلَتِي وَقَلَّ اِصْطِبَارِي وَإِلَى اللهِ أَشْــتَكِي كُلَ مَا بِي
وَهَنَ العَــظْمُ بَعْدَ أَنْ كَانَ صَلْبًا وَفَقِــدْتُ الشَبَابِ أَيُ شَبَابِ (1)

وهذا **أحمد بن أبي سليمان** وقد خلا بنفسه وأيقن أن زمن الشباب قد مضى فتأمل واعتبر ورأى أن المشيب يأتي للإنسان بالرؤية الصحيحة للحياة الدنيا وحقيقة وجوده فيزداد تقوى لخالقه ، وتراه يصحب كتب العلم ويعكف على المساجد ، ويصير لحياته معنى. وقد أوعاه ذلك كله ما أضاعه من زمن في غير منفعة ، فسيستدرك الزمن الباقي ويضعه تحت تصرفه حتى لا يغدر به .

وَلَمَــا نَحَا عُمْرِي ثَمَانِينَ حُجَةٍ وَأَيْقَنْتُ أَنِــي قَدْ قَرَبْتُ مِنَ المَدَى
تَرَكْــتُ تَكَالِيفَ الحَيَاةِ لأَهْلِهَا وَجَانَبْــتُهَا طُوعًا جَانِبَي الرَدَى
أرَانِي بِـحَمْدِ اللهِ فِـي المَال زَاهِدًا وَفِي شَـرَفِ الدُنْيَـا وَ فِي العِز أَزْهَدَ
فَخَلَــيْتُ مِنْ دُنْيَـايَ إلاَ ثَلاَثـَة دَفَاتِرَ مِنْ عِــلْمٍ وَ بَيْتًا وَ مَسْجِدًا(2)

وهذا **أبو عقال بن غلبون** يقول:

لاَحَ المَشِــيبُ بَلْهَتِي فَنَـعَانِي وَنَفَى الــصِبَا عَنِي وَذَمَ عِنَانِي
وَنَأْتِ خُطُـوبَ الحَادِثَات بِأُسْرَتِي فَبَقِيــتُ مُنْفَرِدَا مِنَ الأَقْرَانِ(3)

إن الشاعر مستعد لقبول واقعه فقد أدركه الشيب وهو نذير بلا شك بالتقدم في السن وسيذهب الخلان والأهلون والأقران واحدا تلو الآخر فيصارع ما بقي له من الزمن منفردا فتتوضح طريقه حينها . ويضيف قائلا:

فَلَـئِنْ مَضَى صَدْرُ الزَمَانِ بِصَفْوِهِ فَلأَخْــدِمَنَ لِسَيِدِي المَنَانِ(4)

فهو قد استسلم في الأخير إلى ذلك الإيمان الذي ثبت في قلبه باعتباره مســلم .

(1) المالكي "رياض النفوس" ج2 ص 312

(2) القاضي عياض ."ترتيب المدارك "ج3 ص 244. الدباغ" معالم الإيمان"ج1 ص 207. المالكي "رياض النفوس "ج1 ص 507.

(3) المالكي " رياض النفوس" ج1 ص 539

(4) القاضي عياض" ترتيب المدارك"ج3 ص 244. رابح بونار "المغرب العربي تاريخه و ثقافته" ص 112، 113 . الدباغ "معالم الايمان" ج1 ص 211.

ويقول **الصواف** في هذه الأبيات وقد ذهب عكس ما ذهب إليه عيسى بن مسكين حين رحب بالشيب :

دُعيتَ مُـعَلِمًا إذَا صِرْتَ شَيْخًا     وَأَيَام الشَـــبِيبَةِ كُنْتَ بـُورَا

لِئِنْ كَانَ المَشِـــيبُ أَتَى نَذِيرًا     فَإِنِي ســـوْفَ أَدْعُوهُ بَشِيرَا

فَأَهْلاً بِالْمَشيبِـــــبِ لَنَا لِبَاسًا     وقَـــارًا نَسْـــتَزيدُهُ وَقُورَا

وجـزَتْ تِسْعَةَ وَسَبْعِـينَ عَامَا     وَقَدْ ضَمِنَتْ أَصْحَابِي القُبُورَا(1)

فهو يرحب بالشيب وقد رأى فيه السعادة التي كان يطلبها في شبابه ولم يجدها " كنت بورا" لأن الشيب قد ألبسه الحكمة والوقار والاحترام " فأهلا بالمشيب لنا لباسا" ويرجع هذا الاستسلام للزمن الذي أوقع عليه الشيب لثقافته الدينية وتمسكه بدينه فلا تفسر هذا الترحيب بالشيب على أنه ضعف وقلة حيلة جعلاه يزهد هذه الحياة فالصواف كان ثقة صالحا عاقلا كريم الأخلاق برا بمن يأتيه وهو القائل" أزهد الناس في الدنيا من لم يرضى منها إلا بأخذ الحلال وإن رآه الناس متكئا عليها"(2) .

ويقول **موسى بن يوسف (أبو حمو الثاني):**

هوينا الظِّبا وألفْنَـــا الــظِّبا     وكم من فُؤاد إليها صبا

إلى أن بدا الشّيب في مفرقي     وأجريتُ من خَيله أشْهبا

فأيقظَني الشيـب من غَـفلتي     ففي لِمتي من حديثي نَبا

وقد عاد غَـــــض شَبَابـي به     محيلاً ولوني غَـدا مذْهبا(3)

وهذا **أبـو محمـد عبـد المؤمـن بـن مـوسى المديـوني (ت746هــ) :** يطرق موضوع الكبر والشيب .

---

(1) رابح بونار "المغرب العربي تاريخه و ثقافته" ص 112

(2) الدباغ." معالم الإيمان "ج1 ص 207

(3) بورياني الدراجي " أدباء وشعراء من تلمسان "، ج4 ص 352

جَاءت سُعاد بِوصلٍ بَعدَمَا ذَهَبَا عَصَى الشبَابَ ولاحَ الشيبُ والتهبَا
وَاحْدودَبَ الظَهرُ مِن سَقَمٍ ومِنْ كِبرٍ وَاعْوجَ عَصبي الذِي قَد كَانَ مُنتَصِباَ(1)

وهذا **أبو عبد الله محمد التلاسي التلمساني** (ت767هـ) يقول :

أَصبَحَ رَأسِي مِن الشّوائِب وَهوَ مِن الجان بين شَائِب
يا لَهف نَفْسي على زمانٍ كُنْتُ لِثَوبِ الشّباب سَاحب
أَرفُلُ في حِلَّة التَصابي بَين حَبيبٍ وبين صَاحِب
حَتَى بَدا الشّيب في قَذالي بَادرتُه بالسَوادِ خَاضِب
أَستُرُه كل حين حَتّى عَم مِن الرَأس كُلّ جَانب
وأقْبلَت مِنْه لي جُيوشٌ سِهامُها لِلصبا صَوائِب
فَصالَ شَيبي علَى شَبابي صولَة ذي نَجدة محارِب
وَسلّ في العارضين سَيفاً أَضْحى بِه لِلشَبَاب ضارِب
ما زَال يسطُو علَيهِ حَتّى ظَلّ لِما قَد دهاه هارِب
وقَد مضى معهد التّصابي وأقبل الشّيب في كَتَائِب(2)

**ويقول :**

تُرى هلْ يرد الصبا بالوسائل فَدمعي مذْبان هامٍ وسائلْ
وهل لِزمانٍ مضى رجعة كَعهدي به أترى الدَهرُ فاعلْ
بدا الشّيب في مفْرِقي قادماً فَقالَ السُلُو أنا عنك راحلْ
فَها أنا أبكي لفقد الشَبَاب وَعصْرِ التّصابي بكاء الثّواكل(3)

ويقول **محمد بن يوسف الثغري التلمساني** وهو يحاول أن يكف النفس على المعصية والتقصير ويذكرها بأن الشيب قد حل بالجسد :

(1) نفسه ص14
(2)نفسه ص64
(3) نفسه ص41

| | |
|---|---|
| يا نفس صبح الشيب لاح وأنت في | ليل الغواية وهو ليـــل مظلـم |
| واللهو طار به غراب شبيبـــــــتي | وحمـام شيبي للحمـام يحـــــوم(1) |

ويقول:

| | |
|---|---|
| أقصـر فإن نذير الشّيب وافـاني | وأنكرتـني الغـواني بعد عرفـانِ |
| وقـد تماديت في غـــي بلا رشـد | والنفـس تأمرني والشيب ينهـاني(2) |

(1) المرجع السابق ج4ص168

(2) نفســــــه

### ح . فكرة القناعة:

ما أحوجنا إلى القناعة ، وما أحوجنا إلى الرضا بما قسم الله ، في زمن تكالب فيه كثير من الناس على الدنيا، وانغمسوا في شهواتها ، في زمن كثر فيه التسخط والتذمر والتشكي ، وضعُف فيه الرضا بما قُسِم للنفس البشرية وما قدر لها ربّ العالمين .

وقد كنا صغارا ونسمع تلك الأمثال والحكم التي تطرب لها الآذان ولا تعيها القلوب إلا بعد جهد . كنا نسمع تلك الحكمة القائلة " القناعة كنز لا يفنى". وحتى يدرك الإنسان ذلك لا بد أن يحارب كل وساوس الشيطان التي تدله على الحرص والطمع وتعده الغنى من الفقر وتسير لغايتها بوسائل المرض والعجز والذل وأنه هو في غفلة وهو لا يدري. لكن الإنسان المسلم وقد تيقن أن الله هو الرزاق ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾(1) وأن رزقه سوف يأتيه كما كتب له ذلك ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾(2) . فقد حارب تلك الوساوس ليفوز بكنز القناعة التي تبقيه سعيدا في الدنيا والآخرة ذلك هو الدرب الذي طرقه شعراء الزهد المغاربة وعبروا عنه بعد أن أيقنته أنفسهم . كما أن القناعة لا تعني بالضرورة أن يكون العبد فقيرا ، فالغني أيضا في حاجة إلى قناعة ، كما أن الفقير في حاجة إلى قناعة ؛ فقناعة الغني أن يــكون راضيا شاكرا ، لا جاحدا ظالما ، قناعته أن لا تَلجَ أمواله إلى قلبه حتى يصبح عبدا لها . قنــاعته أن لا يستعلي بماله على الفقراء ، وأن لا يوظف ماله في الاستيلاء على ممتلكات الآخرين والاعتداء على حقوقهم ، وقد عبر عن ذلك الشعراء المغاربة.

فيقول سابق البربري في هذا الشأن:

واللَّهِ ما قَنَعَت نَفسِي بما رُزِقَت ... من المَعـيشَةِ إلا سوفَ يكفيها
أموالُنا لِذَوي المِيراثِ نَجمَـعُها ... ودُورُنا لِخَرَابِ الدَّهرِ نَبنيـها(3)

فعلى الإنسان أن يتذكر شيئا واحا يغنيه عن بقية الأمور وهو أنه تارك كل شيء وراءه.

(1) الآية 2 من سورة الطلاق.

(2) الآية 6 من سورة هود.

(3) شعر سابق بن عبد الله البربري - د. بدر ضيف ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الإسكندرية ، ط 1 ، 2004 م ص135

وهذا **أبو حفص عمر بن خلف بن مكي**(ت**501** هـ )*ينصح كل من حرص بأنه لا يعيش سوى في يؤس وعناء ويتعب نفسه في هذا الحرص وأن الله قد قسم الأرزاق فما عليه سوى القناعة:

يَا حَرِيـــــــصًا قَطْعَ الأَيَامِ بُؤْسَ وَعَيْشٌ وَعَنَـــــاءٌ وَتَعَبِ
لَيْسَ يَعْـدُوكَ مِنَ الرِزْقِ الذِي قَسَمَ اللَــهُ فَأَجْمِلَ فِي الطَلَبِ(1)

وهذا **حماد بن علي الملقب بالبين**(-؟)**يقول:

اِقْتَنِعْ وَاَقْنَعِ بِرِزْقِ اللهِ تَنَـــالَهُ بِلُطْـــفٍ لَعَلَ اليُسْرَ يَذْهِبُ العُسْرِ
وَأَطْرِقِ إِطْرَاقِ البِغَاثِ لَدَى الصَقْرِ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ إِذْ ذَلِــكَ مِنْهُ عَلَى ذِكْرِ(2)

إنه حثٌ على القناعة فلعل الله يفرج ما كان للإنسان من شدة . ولينظر هذا الإنسان في خلق الله الضعيف وكيف أوجد الله له رزقه وجعل له الأسباب لذلك.

وهذا **يعلى بن أحمد بن يعلى** (ت393هـ) يقول في قناعته من مغريات الدار الفانية:

إني هجرت الغانيات جمــيعا ونزعت عن كلفي هن نزوعا
ورفضت لذاتي فصرت بناصح بعد الإباحة سامعا ومـطيعا(3)

وهذا **بن جبير ( ت 614هـ)** يحذر من الوساوس التي تترك الإنسان يجري وراء الدنيا التي جعلها هنا "الملبس" الذي يؤدي بالإنسان إلى الكبر ويحثه على التواضع فهو الذي يرفعه وليس الملبس:

إِيَاكَ وَالشُـــهْرَةَ فِي مَلْـبَسِ وَاَلْبِسْ مِنَ الأَثْـــوَابِ أَسْمَالَهَا
تَـــــوَاضَعَ الإِنْسَانَ فِي نَفْسِهِ أَشْرَفُ لِلْنَفْسِ وَأَسْمَـــى لَهَا(4)

* انتقل إلى تونس و ولي قضائها و هو فقيه محدث .الخريدة ج2 ص 389.

(1) الخريدة ج2 ص 389

** ذكره صاحب الخريدة في باب جماعة من أهل المغرب الأوسط في عهد بني حماد ج2 ص429

(2) المصدر السابق ج2 ص429

(3) ابن الأبار "الحلة السيراء" ج1-ص338

(4) المقري ، "نفح الطيب" المجلد 2 ص 485.

ويقول كذلك إن الكد لا ينال صاحبه الرزق مالم يكتبه الله له :

وَمَا يَحْــرُمُ الإِنْسَانَ رِزْقًا لِعَجْزِهِ كَمَا لاَ يَنَالُ الرِزْقَ يَــوْمًا لِكَدِهِ

حُظُــوظُ الفَتَى مِنْ شَقْوَةٍ وَسَعَادَةٍ جَرَتِ بِقَضَـــــاءِ لاَ سَبِيلَ لِرَدِهِ(1)

وهذا **أبو عقال بن غلبون** وقد قنع ورضي بأقل ما يكفي الإنسان من القوت وهي لا شك من أكبر القناعات ولكنه في ظل ذلك كان توكله واعتماده على الله عظيمين:

رَضِيتُ بِدُونِ الكِفَايَــــةِ قُوتًا وَبِاللهِ عَنِ كُـلِ خَلْقِ عِمَــادَا

ولم أر عيـــشا كعيش الـقنوع ولم أر مــــــثل التقى زادا(2)

وهذا **الصواف** ( **ت291هـ**) يتكلم عن نفسه ، وقد قنع من هذه الدنيا بعد أن تدبر أمرها وعرف خداعها بشتى أساليبها:

أَرَانِي بِحَــمْدِ الله فِي الَمالِ زَاهِدًا وَفِي شَـرَفِ الدُنْيَا وَفِي العِزِ أَزْهَـدَا(3)

وهذا **أبو بكر بن مجبر** (**-588هـ**)* يمقت الذي يحرص على الدنيا وتنعدم قناعته فينسى ما عنده ويتلهف على ما في أيدي الناس حسدا وطمعا فيقول :

أَلاَ مقت الله سَعَــي الحَرِيص فَمَـــــا جَازَهُ الذَمُ إِلاَ إِليَـْهِ

يُسـَـــــرُ بِمَا فِي يَدَي غَيْرِه وَيَنْسَى السُرُورُ بِمَــا فِي يَدَيْـهِ(4)

وهذا **بن عربي** (**-638**) ** يقول بأن المال هو أن تكون غني النفس لا غني اليد :

لاَ تَحْسَـــــبَنَ الَمالَ مَا تَرَاه مِنْ عَسْــــجَدٍ مُشْرِقٍ لِرَاءِ

بَلْ هُوَ مَا كُـــــنْتَ يَا بُنَيَ بِهِ غَنِـــــيًا عَنِ السَوَاءِ (5)

---

(1) المصدر السابقص490

(2) المالكي "رياض النفوس "ج1 ص 539

(3) نفســه

* من شعراء الأمير يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن المتوفى بمراكش ينظر " نفح الطيب " المجلد 3 ص237

(4) الموسوعة الشعرية الإصدار الثالث.(قسم الدواوين الشعرية)

** هو محمد بن علي الطائي بن عربي الصوفي من إشبيلية وأصله من سبتة ، ينظر "أزهار الرياض" ج2

(5) المقري ،"نفح الطيب " المجلد 2 ص 184

فَكُنْ بِرَبِّ العُـــــلاَ غَنِيًا وَعَامِلُ الخَـــــلْقِ بِالوَفَاءِ(1)

**ويقول أبو بكر بن مسعود –التميمي(ت 344هـ)** عالم جامع القيروان

إذَا القُوتُ تَأتي لَكَ وَالصِحَـــــةُ والأَمْنُ
وَأَصْبَحْتَ ذَا حَزنٍ فَلا فَارقَكَ الحُـــزْنُ(2)

وقال:

الخيرُ أجمـعُ في السُكُوتِ وَفي مُلازَمَـــةِ البُـيُوتِ
فَـــــإذَا تَهَــيَأَ ذَا وذَا فَاقْنَـعْ بِأقَلِ قُـــــوتِ (3)

ويقول **ابن أبي العيش التلمساني (ت654هـ):**

قَنعْتُ بمَا رُزقْتُ فَلسْتُ أَسْعَى لِدَارِ أَبِــي فُـــــلاَنٍ أو فُلاَن
وقَد أَيقنــتُ أن الــرزق آتٍ إن لَم آتِــــــهِ سَعــيًا أتَانِي
وقَد حَققتُه فَهمًــــا وعِلــــمًا وقَد شَــــاهدتُــه رَأي العِيانِ(4)

فمهما ملك الإنسان من مال فهو فقير إلى الله تعالى وقد يذهب ماله في لحظة ويتحول من غني إلى فقير ، فالسعادة ليست في امتلاك المال وحده بل في الإيمان والطاعة التي يجد لذتـــــها وحلاوتها المؤمن المجاهد لنفسه ولشيطانه فيلزمها تقوى الله ، ويتنافس في الخيرات ويتســــــابق للطاعات ويصاحب الأخيار ويبتعد عن الأشرار، ويمشي في طريق الاستقامة وهو ما حاول هؤلاء الشعراء التعبير عنه.

---

(1) المصدر السابق ص184

(2) المالكي ، رياض النفوس ج2 ص 276 ، وينظر معالم الأيمان.ج3ص53

(3) نفســه

(4) موسوعة الشعر الجزائري ج2ص375




## 1- هواجس أخرى

# 2- مصـــــــادر الزهد وخصائصه الفنية

### - مواضيع أخرى:

هواجس أخرى يمكننا أن نراها في شعر هؤلاء الشعراء المغاربة الذين أخذوا من شعر الزهد مطية لهم ، فأحلام الشاعر تنطلق من فكرة الخلاص الروحي، ومن قدرته على تأويل العالم من خلال التعالي على الواقع ، وعبر استثارة الحوافز اللاشعورية ، عبر خلخلة الأفكار السائدة والمهيمنة ، في التعبير عن النزعات الساخطة والغاضبة على النفس البشرية التي تحن للشرور وتزدري ما عاداه . وما ذاك إلا تمسكا منهم وثيقا بقيم دينهم وارتباطهم به ارتباطا صحيحا. وقد رأيت في هذا الشعر بالإضافة إلى الهواجس المذكورة سالفا أن هناك مواضيع أخرى تمثلت في غفلة الإنسان والصبر على الملذات والدعوى للتزود بالتقوى والحث على العلم والخوف من كثرة الذنوب ، وقد يرى غيري مواضيع أخرى أو يجدها في أشعار لم أستطع حيازتها في هذا البحث:

#### أ- الغفلة:

أشير هنا أن القارئ لهذه الأفكار لا يجد صعوبة تأويلية أو تخيلية في إدراكها ، بل تكمن مهمته في الاستحسان أو الاستهجان ، فالمعاني ليست كامنة وراء السطور بل هي واضحة لا تحتاج إلى قراءات عدة لفهمها.

في هذا العنصر يلوم شعراء الزهد أنفسهم وغيرهم بكثرة وينسبون ذلك للسذاجة التي جعلتهم يغفلون أمور توضحت لهم فيما بعد ، وكانوا فيها غير مبالين . يقول أبو الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن الموحد(ت604هـ):

يا غافِلاً عَن ذكر مَـــــــولاه    وَذاهِلاً عَن شُــــكر نعماه
وَراتِعاً في غَـــيه لاهيــــــــا    قَد كحـــــلت بِالنوم عَيناه
كَم تَصحب الغَفلة عَن ذكرِه    وَكَـــــم يراعيـك وَتَنسـاه
يا عَجَباً تَكثر عصــــــــيانه    وَتَـــــدعي أَنــك تَـخشاه(1)

---

(1) انظر. د.محمد مرتاض ." الخطاب الشعري عند فقهاء المغرب العربي" ج2 ص893

فَعُد عَن ذكر الصـــبا جانِبـا وَارج الَّـــــذي تأمل رحماه
في يـــــــــوم لا قوة إلا بـــه ويـــــــــوم لا راحــم إلاه
رب إِذا ما شـــئت أَن تَهتَدي لِقـــــــــدره فَاقِرَأ هُوَ اللَه (1)

ينادي الشاعر كل عاقل محذرا له من غفلته وقد "رتع" في الظلام وكأنه دابة لا يعقل وتصاحبه الغفلة ، ويدعي هذا الغافل أنه يخشى ربه وهو على عكس ذلك حين يعصيه وينام ملئ عينيه وما على هذا الإنسان إلا إيقاظ نفسه من غفلتها ويتوب إلى مولاه:

فُعدْ عَنْ ذِكْرِ الصـِــبَا جَانِبًا وارج الــــذِي تَــــأْمَل رُحْمَاه

وهذا أمية أبو الصلت (ت 529 هـ) وقد استفاق من غفلته يقول:

حَسْبِي فَكَمْ بَعُدَتْ فِي اللهِ أَشْوَاطِي وَطَالَ فِي الغَي إِسْـرَافِي وَإِفْرَاطِي
أَنْفَقْــتُ فِي الهَوَ عُمْرِي غَيْرَ مُزْدَجِرٍ وَجدْتُ فِيهِ فوقري غَيْرَ مُحْـــتَاطِ(2)

أدرك أمية أن الزمن قد غدره وهذا الزمن هو العمر الذي مضى فقد قطع أشواطا في غير تقوى الإله بل أنفق ذلك الزمن في لهو ولم يجد من يزجره على ذلك.

**ب- الخـوف من كثرة الذنـوب:**

إن هذا العنصر لهو دافع كبير لهؤلاء الشعراء لإطلاق ما جادت به قرائحهم ، والتعبير عن ذلك بصدق زاهدين في هذه الحياة ، ونذكر من هؤلاء بعض من وجدناه .

فهذا **أبو حفص عمر بن حسن ابن السطـبرق*** يقول:

سَيـلْـقَى العَبْدَ مَا كَسَبَتْ يَدَاه وَيـقْرَأُ فِي الصَحيفَةِ مَاجَـنَاه
وَيسْــأَل عَن ذُنُوبٍ سَـالِفَاتٍ فَيَبْـقَى حَائِرًا فِيمَا دَهَـــاه(3)

يحذر الشاعر من اقتراف المعاص والبطش بغير حق، فكل قد وثق عند الله وستحسب هذه

(1) المرجع السابق.
(2) محمد المرزوقي، "ديوان أبو الصلت أمية بن عبد العزيز" . وينظر " الخريدة "ج2 ص456
*ذكره الأصفهاني في( قسم شعراء المغرب) . ينظر " الخريدة "ج2 ص389
(3) نفسه

الذنوب ويتعجب هذا الإنسان يومها . وقد كان خوف الزهاد من ارتكاب الذنوب خوفا كبيرا فهذا **الأمير أبو الربيع** (ت 604هـ) يقول وقد تذكر يوم الحشر وأنى له أن يتخلص يومها من ذنوبه التي صاحبته:

وَأَذْكُـر يَوْمَ الحَشْرِ إنْ جِئْتهُ غَدَا    وَذَنْبِي مَعِي وَالذَنْبُ أَخْبَثُ صَاحِبِ(1)

إن تذكر يوم الحشر يجعل صاحبه يرتجف من معاصيه التي ارتكبها في حياته.

وهذا **علي بن القاسم بن عشرة** (-**597** ) يقول:

إلَى كـتم ذَا التَمَادِي فِي المَعَاصِي    أما تخشى هيلت مِنَ القِصَاص

ذُنُـــوبُكَ كُلَ يَوْمٍ فِي ازْدِيَادِ    تُسَــرُ بِهَا وَعُمْرُكَ فِي انْتِقَاصِ(2)

إن ذنوب الإنسان تتزايد مقابل كل عمل يعمله في غير عبادة الله ، ومقابل ذلك أيام عمره في تضائل فهي عملية عكسية وهذا ما دلت عليه عبارة **"**في ازدياد**"** و هذا خداع من الزمن للإنسان مرة أخرى.

ويقول **محمد بن يوسف الثغري** التلمساني:

يا رب عفوا عن ذنــوبي كــلها    عفـوا تمـــن به علي وتنعـم(3)

ويقول:

وقـد تماديـت في غي بلا رشـــد    والنفس تأمرني والشيب ينهـاني(4)

ويقول موسى بن يوسف (أبو حمو الثاني):

فوا أسفي من ذُنــوبٍ مضتْ    تقضــيتها في زمـــانِ الصبا

وكم لُمتُ نفْسي فَما أقلعـتْ    وعاتَبــتُ قلبي فَمــــا أعـتبا (5)

(1) الموسوعة الشعرية الإصدار الثالث.(قسم الدواوين الشعرية)

(2) نفسه.

(3) أدباء وشعراء من تلمسان ص304-ج4

(4) نفســه ص312

(5) نفســه ص352

و كم قد بكيتُ لذنْبٍ جنيتُ وقلْبِي نَهـــــيتُ ولَكــن أبى
مسيء قَسـا قلبه إذْ أســا فَذاب أسى عــنْدما أذْنَبـا
لقَد حقّ أبــكي على زلَّـتي فَذَنْبِي لِحـــجرِي قَد أوجبـا(1)

## ج). الدعوى للتزود بالتقوى والشكوى من قلته:

إنها الغاية لكل إنسان عل وعسى أن يظفر بفوز يوم الحشر ، وهذا ما دعى إليه شعراء الزهد المغاربة فنجد أبو الفضل جعفر بن شرف(-هـ534) يقول وهو يظن أن زاده الذي أعده ليوم القيامة قليل . لكنه يفرج عن نفسه غمها حين يذكر أنه نزيل كريم وسيرحمه ويعفو عنه.

رَحَلْتُ وَكُنْــتُ مَا أَعْدَدْتُ زَاد وَمَا قَصَــرْتُ عَنْ زَادِ الْمُـقِيمِ
فَهَا أَنَا قَدْ رَحَــلْتُ بِغَيْرِ شَـيْء ولَكِـــنْ نَزَلْتُ عَلَى كَرِيمِ(2)

لقد تكلم شعراء الزهد المغاربة عن الزاد وحذروا من قلته مقابل تلك الذنوب الكثيرة وكيف يكون حال صاحبه أمام الله تعالى.

يقول **أبو الصلت أمية بن عبد العزير** :

فَيَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ أَلْقَاهُ عِنْـدَهَا وَزَادِي قَلـِيـل وَالذُنُوبُ كَثِير(3)

و يلاحظ أن لفظة "زاد" في العادة تطلق على ما يحمله المسافر من أكل يتزود به على مشقة الطريق أو على شق السفر وقد وضعها الشعراء في قصائدهم وكأنها شيء محسوس لعالم مجرد يكمن في العمل الصالح الذي يأخذه معه كل إنسان.

فها هو **بكرين حماد** يوضح هذه الصورة في قوله ناصحا نفسه:

فَيَا بَكْـرُ بْـنُ حَمَاد تَعْـجَبْ لِقَومٍ سَافَرُوا مِنْ غَـيْرِ زَادِ (4)

(1) نفســه ص352
(2)" الخريدة" ج2 ص 601.
(3)" محمد المرزوقي "ديوان أبي الصلت أمية "ص87 .نفح الطيب" المجلد 2 ص 107
(4) العربي دحو ."الأدب العربي في المغرب العربي" ص185

وقال أيضا:

زُرْنَـا مَنَازِلَ قَوْمٍ لاَ يَــزُورُونَـا إِنَا لَفِي غَـــفْلَةٍ مِمَا يُقَاسُونَا
لَوْ يَنْطِقُون لَقَالُوا :الزَادُ وَيَحْكُمُ جد الرَحِيل فَمَـا يَرْجُو الْمُـلاَقُونَا (1)

ويقول **محمد بن أبي جمعة التلاسي** التلمساني الذي عاش في القرن الثامن :

هـذا وَنَفْــسي لِكُـلِّ شَيْء مما يشـــيق الفـــتى تراقب
من قُبحِ قَوْلٍ وَسوء ِفعـلٍ وَتَـرك ِحـق ِعـلَيَّ وَاجِـب(2)

ويقول **محمد بن يوسف الثغري** التلمساني:

واسْلُك سبيلاً إلى التّقوى لتقوى بِها عَلىَ السُلُوكَ إلى جَنّـاتِ رضوان(3)

ويقول:

فَاخلعْ لبُوسِكَ من سِـوى ثَوبِ التُقَى مَا لِلنُفُوسِ حلى سِوَى تَقْوَاهَـا
هَـا أُوصِي بها نَفسِي ومَا من أُمــــةٍ إلا وخَــــالقُهَـا بِهـَا أوصَـاهَا
مَن لِي بِنفسٍ تَدَعِي طَلَـــبَ العُـــلى قَـــولاً فَيثْبـت فِعلُهـَا دَعواهَـا
مَن لِي بنفسٍ تَمتطِي خَطَرَ الســـرى لِتَـرى مُنَاهَا عِندَ خـيف مناهَـا(4)

ويقول:

وما زال يدعوك التّقى لو وعى النهى فيا معرضا هلاَّ أجـــبت المنادَيـا
وَما النفسُ إلا ِمن أعدائـك فليكنْ عزيمـك فيها ما يســـوء الأعاديا
فيَا نفسُ كم تَهْوَى الهَوى وَتُطـيعُـه ولم تنتـه لما ارتكبــــت النواهيا
فـفي الرشـد لا تزداد إلا تــــماريـا وفي الــغي لا تــــزداد إلاّ تماديا
ولو ثمر التوفيق أصبحــــت جانيـا لما كنـت للأثــام والذنب جانيا(5)

(1) الدباغ ."معالم الإيمان "ج2 ص282
(2) أدباء وشعراء من تلمسان ج4 –ص42
(3) نفسه ص231
(4) نفسه ص245
(5) نفسه ص251

ولا كـان ّقلبي بالجـــــرائـم قاسيـا ولا كنت عن دار الأحـبة قاصيـا

والله قوم عندمـا للهــــوى دعـــوا أجابوا فجابـوا للحجـاز الفيـافيا (1)

## د). الصبر علـى الملذات :

إن الصبر هو الأصل في الزهد ، فالزاهد عندما يصبر إنما يحارب نفسه وهواها وشيطانها ويحارب مغريات الدنيا وملذاتها وشهواتها ولقد عبر عنه هؤلاء الشعراء في قصائدهم . فنجد **محي الدين بن عربي (ت638)** يدعوا إلى الصبر على العبادة حين يغفل الناس وينامو:

مَا فَازَ بِالتَـــــوبَةِ إلاَ الذِي قَدْ تَابَ قُـــدُمًا وَالوَرَى نَوْم

فَمَــــنْ يَتُبْ أَدْرَكَ مَطْلُوبَهُ مِنْ تَوْبَـــةِ النَاسِ وَلاَ يَعْلَم(1)

وهذا **أبو بكر محمد بن محرز الزهري البلنسي*** **(-655)** يقول حين يسقط الابتلاء على العبد فما عليه سوى التحلي بسمة الصبر ، حتى يأتي الفرج المنتظر.

اشـــــكر لربك وانتظـر في إثر عســـر الأمــر يسرا

**واصـــبر لربــــك وادخر في ســـتر ضـر الفقر أجرا(2)**

وقال **محمد بن يوسف الثغري** :

فلا تغرنك الدنيا بزخــــرفها فيا ندامة من يغتر بالفاني(3)

وكما يكون الصبر على الفقر يكون الصبر كذلك على ألم المرض فهذا **حمديس القطان** (ت289) * وقد اعتل في آخر حياته يقول لمن أراد أن يكون سببا في شفائه:

بيــد اللـــــه دوائـي هو الـــذي يعلم دائـــي

إنمـا أظلـم نـــفسـي بإتبـــاعي لــهوائـــي (4)

(1) نفح الطيب ، المجلد 2- ص 174

* هو محمد بن أحمد بن عبد الرحمن أبو بكر الزهري البلنسي كان في مراكش ثم صدر إلى بلنسية ".ينظر "تحفة القادم " ص252

(2) "نفح الطيب "المجلد4 ص339.

(3) أدباء وشعراء من تلمسان ج4 –ص228

* هو أحمد بن محمد الأشعري عاصر بن الأغلب. .ينظر العربي دحو " الأدب العربي في المغرب العربي "ص239

(4) الدباغ "معالم الإيمان "ج1 ص 205

كلـــما داويـت دائـــي ... غـــلب الـــداء دوائي[1]

وقد يكون الصبر على الشهوات هو من أكبر أنواع الصبر فهذا القاضي **أبي حفص ابن عمر الأغماتي** (-604) يقول محذرا:

علـــيك يا غافـــلا فانظر ... وعيـــنيك غمضهما تبـصر

إذا أرسل الطرف هام الفؤاد ... وبعـــض المرائي عمى المبـصر

وآفـــــــة قلب الفتى عينه ... فإن ترع قلبـــــــك لا تنظر[2]

وهذا **أبو الأحوص أحمد بن عبد الله** (ت**284**) ** يحدثنا عن صبر آخر وهو الصبر على العبادات يقول :

أبـــوا أن يرقـــدوا الليل ... فـــــهم لـــله قـــــوام

أبـــوا أن يفطـــروا الدهر ... فـــــهم للـــه صـــــوام

أبـــوا أن يخدمـــوا الدنيا ... فـــــهم للـــه خـــــدام[3]

يمدح أبو الأحوص من اتخذ العكوف على العبادة منأى له عن مغريات الحياة الدنيا ، ويصور لنا ذلك في عنصرين للعبادة هما الصلاة والصوم وهذين العنصرين يؤديان إلى عنصر ثالث وهو الابتعاد عن ملذات وشهوات الدنيا . فعبر عن ذلك بعدم رضوخهم لزخرفها بعدما توطدت علاقتهم بالخالق. إن قيام الليل يلزمه صبر عظيم لا بد أن يكون صاحبه زهد كل ما يؤدي إلى دنيا زائلة .

ويقول **محمد بن خطاب المرسي** (ت681هـ). نزيل تلمسان : وقد التزم حرف الراء في كل كلمة:

---

(1) المصدر السابق

(2) عبد الله " النبوغ المغربي" ج3 ص 134.

** هو صاحب سحنون وسكن سوسة. ينظر العربي دحو ."الأدب العربي في المغرب العربي".ص240

(3) المالكي." رياض النفوس" ج1 ص528. العربي دحو . "الأدب العربي في المغرب العربي".ص240

(4) د. محمد بن رمضان شاوش / أ. الغوثي بن حمدان ، "إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر" دار البصائر للنشر والتوزيع/الجزائر 2011 ص379

اشكر لربــك وانتـظر في إثر عسر الأمر يسرا
واصبر لربك وادخر في ستر صر الفقر أجرا
ما الدهر يعثر بالورى والصبر بالأحرار أحرا
والوفر أكثر معـــــشرا والفقر بالأخيــار تغرا(1)

وفي هذا يقول **أبو عقال ابن غلبون** :

وَنَاشَئَة اللَــيْلَ البَهِيمَ يقومها رِجَالُ أَضَــاعَتْ فَرْشَهَا وَحِجَالُهَا (2)

ويقول في من اجتهد للطاعة وداوم عليها:

قَرِينُ الحُـــزْنِ ذُو هَمٍ يَجُـول أَخُو سَـــهْرٍ إِذَا نَامَ الغَفُولْ
دَؤُومُ الكَـــــدِ أَوَاهُ إِذَا مَـــا تَذْكُرْ مَا تُوعِـــــدُهُ الجَلِيلْ(3)

ويقول **التلاسـي**:

فَقُلْـتُ يـا نَفْسي لَيس إلاّ أن تَنْظُرِي الآن في العواقب
ولْتَستَعـدي لِهــو لِ يـومٍ تَشيب من بعضـه الدوائب(4)

## هـ- الحث على العلم :

لا بد أن يكون الحث على العلم هو طريق كل من علم سرائر هذه الحياة الدنيا يقول في ذلك **أبو علي الحصري القيرواني** (ت488) :

ورح واغد للــــعلم دأبا ترث به العـز والنسب الأبركا
فَمَا الكَــــنْزُ إِلَا هُدَى عَـالِم وَلاَ لفَـقْرُ إلا غِنَى أنوكا(5)

(1) المرجع السابق
(2) المالكي "رياض النفوس" ج1 ص 539
(3) نـفسـه
(4) بوزياني الدراجي " أدباء وشعراء من تلمسان" ج4ص65
(5) الموسوعة الشعرية الإصدار الثالث.

هذه إحدى نصائح علي الحصري لقراء شعره. هو يدعو للالتزام بالعلم لأن صاحبه يرث به العز والنسب فهو الكنز الذي لا بد أن يظفر به الإنسان، وغير ذلك هو الفقر عينه.

وفي العلم يقول **أحمد بن أبي سليمان** " يا طالب العلم إذا طلبت العلم فاتخذ له قبل طلبه أدبا تستعين به على حمله و من دأب العلم الحلم ، والحلم كظم الغيظ وأن يغلب حلمك و علمك هواك إذا دعاك إلى ما يشينك".(1)

وهذا إمام الدولة الرستمية **أفلح بن عبد الوهاب** *( ت258هـ) يقول:

العِلْمُ أَبْقَى لِأهــْــلِ العِلْمِ آثَارُ ... يُريـــكَ أَشْخَاصُهُمْ زَوْجَا وَأَبْكَارَا
حَيٌ وَ إنْ مَاتَ ذُو عِلْمٍ وَذُو وَرَعٍ ... مَا مَاتَ عَـبْدٌ قَضَى مِنْ ذَاكَ أَوْطَارَا
وَذُو حَيَاةٍ عَلَى جَهْلٍ وَ منــقصة ... كَمَيْتٍ قَدْ ثَوَى فِي الرَمْـسِ أَعْصَارَا(2)

ولكنه يذم من كان يرائي بهذا العلم أو تلك العبادة أو يجعلها في دنيا يصيبها حين يقول:

تَعْسًا لِكُلِ مَرَاءٍ غَيْــرَ مُقْتَصِدْ ... وَقَدْ تُقَلَـــــدْ آثَــامَا وَ أَوْزَارَا
لِيَصْطَادَ بِالْعِلْمْ أَمْوَالَ العِبَادِ كَمَا ... يَصْـــطَادَ مُقْتَنِصُ بِالْبــَازِ أَطْيَارَا(3)

ويقول أيضا في تفضيل أهل العلم على غيرهم وأنه لا بد أن يبحث عن العلم وأن تشد له الرحال.

لِلَهِ حلية أَهْلِ العِـــلْمِ أَنْ لَهُمْ ... فَضْـلًا عَلَى النَاسِ غِيَابًا وَحضَارَا
العِلْمُ عِــلْمٌ كَفَى بِالعِلْمِ مكرمة ... وَالجَهْلُ جَــهْلٌ كَفَى بِالجَهْلِ إدْبَارَا
أُشْدُدْ إِلَى اَلْـعِلْمِ رِحْلاَ فَوْقَ رَاحِلَة ... وَجُلِ إِلَى الـعِلْمِ فِي الآَفَـاقِ أَسْفَارًا(4)

وهذا **ابن عمر الأغماتي (-604هـ)** يخبرنا عن فضل العلم وأنه هو طريق التقوى.

---

(1) القاضي عياض" تراجم أغلبية " ص 276.

* هوأحد أئمة الدولة الرستمية يشهد له بالعدل و التقوى بنظر العربي دحو الشعر المغربي ص207 و ينظر ابن صغير في" أخبار الأئمة الرستميين القرن الثالث الهجري". تحقيق و تعليق محمد ابراهيم بحار. دار الغرب الاسلامي. ببيروت ، لبنان 1986 ص 57 ، 69

(2) العربي دحو ."الشعر المغربي في الأدب العربي " ص 207. بحاز إبراهيم " الدولة الرستمية" ط1 1985 ص 360

(3) نفســه.

(4) رابح بونار " المغرب العربي تاريخه و ثقافته" ص 111.

| | |
|---|---|
| العِلْمُ يَكْسُو الحلَلَ الفَـاخِـرَة | وَالـــعِلْمُ يُحْيِي الأَعْظم النَاخِرَة |
| كَمْ ذَنْـــــب أَصْبَحَ رَأْسًا بِهِ | وَمُــــــذْنِبٌ أَبْحَرَ زَاخِــــرًا |
| مَا شَــــرَفُ النِسْبَةِ إلاَ اِلْتُقَى | أَيْــــنَ تَهْتَمُ الأَنْفُسُ الفَاخِرَة(1) |

فهذا الذي كان لا يكاد يبين أصبح بالعلم رأسا في قومه وكم من مذنب رده علمه إلى الصواب.

وقال **أبو عبد الله الحميدي** * (-488هـ)

| | |
|---|---|
| مَنْ لَمْ يَكُنْ العِلْم عِنْـــدَ فَنَائِهِ | أَرِجٌ فَــــــــإنَ بَقَاءَهُ كَفَنَائِهِ |
| بِالْعِـــلْمِ يَحْيَى المَرْء طُولَ حَيَاتِهِ | فَإِذَا اِنْـــقَضَى أَحْيَاهُ حُسْنَ ثَنَائِهِ(2) |

فالإنسان الذي لا علم له سواء بقي حيا أو مات فذاك سيان .وكل علم نافع سيبقى صاحبه حي يذكر به . وفي هذا المجال يقول **أبو سعيد سحنون**** "مثل العلم القليل في الرجل الصالح مثل العين العذبة في الأرض العذبة يزرع عليها صاحبها ما ينتفع به ومثل العلم الكثير في الرجل الطالح مثل العين الخرارة في السبخة تهر في الليل والنهار ولا ينتفع بها".

## 2.مصادر المعجم الشعري :

إن هذه المواضيع التي سقناها في هذا البحث والخاصة بشعر الزهد والتي طرقها الشعراء المغاربة قد تكون غايتها واحدة وكلها سبل لذم الزمن الذي هو الرابط بينها ، وقد تتقاطع هذه الموضوعات أو الهواجس عند الشاعر الواحد بل وفي القصيدة الواحدة بل أكثر من ذلك في البيت الواحد ، وكل الهواجس انسجمت في لغة بسيطة انبثقت من أسس اللغة العربية المعروفة كالمأثور الشعري الجاهلي والقرآن والسنة.

---

(1) عبد الله كنون " النبوغ المغربي" ج3 ص134

* صاحب "جذوة المقتبس" . سمع بمكة و بإفريقية و بالأندلس و بمصر والشام والعراق . ينظر "وفيات الأعيان "ج4 ص 282.

(2) نفح الطيب المجلد4 ص 332.

** هو عبد السلام سحنون بن سعيد التنوخي المتوفى 240هـ. ينظر" المغرب العربي تاريخه وثقافته ". ص73

## أ. القرآن الكريم :

نبدأ بالقرآن الكريم لأن شعر الزهد نابع من تأثر ديني لدى هؤلاء الشعراء ، فالقرآن الكريم هو المنبع الأساسي لأفكارهم ، فقد تناصت مع سور القرآن إما لفظا أو معنا لتشبعهم بالثقافة الإسلامية ولنأخذ نماذج عن ذلك ولنبدأ بالشاعر **بكر بن حماد** الذي استفاد من دون شك من الآية الكريمة من سورة البقرة " **وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى** "(1) في قوله :

وَاَللهِ لَوْ رُدُوا وَ لَـــوْ نَطَـقُوا إِذًا لَقَالُوا : اِلْتقَى مِنْ أَفْضَلْ الزَاْد (2)

ومن الآية " **وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ** "(3) في قوله :

بَيْنَمَا نَرَى الَمَرْءُ فِي لَهْوٍ وَ فِي لَـعْبٍ حَتَى نَـراَهُ عَلَى نَعْشٍ وَ أَعْوَادٍ(4)

ومن الآية " إنه هو يبدئ و يعيد " (5) في قوله :

تَمرُ اللَــــيَالِي بِالنُفُوسْ سَرِيعَة وَيُبْدِي رَبِي خَــــلْقَهُ وَيُـعِيدْ (6)

ويلحظ تناص عند **أحمد بن أبي سليمان** في قوله :

ويـــوما بالحوادث مستطـــيرا (7) وقد سمع الصياح المستـــطيرا (8)

و مع الآية : " **يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا** "(9)

و قوله " و صار إلى التي ساءت مصيرا "(10) و" ساءت مصيرا ".

---

(1) الآية 196 من سورة البقرة

(2) رمضان شاوش.ص.75.

(3) الآية 64 سورة العنكبوت

(4) .رمضان شاوش.ص80

(5) الآية 13 من سورة البروج

(6) رمضان شاوش.ص74

(7) الرياض : ج1 ص 510. العربي دحو" الأدب العربي في المغرب العربي" ، ، ص 253.

(8) نفســــــه.

(9) الآية 7 من سورة الإنسان

(10) العربي دحو." الأدب العربي في المغرب العربي ". ص 254

مع الآيتان 97 و 115 من سورة النساء و الآية السادسة من سورة الفتح ، و كذا قوله : " تزفر في تغيظها زفيرا" (1) مع الآية الثانية عشرة من سورة الفرقان : " **إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا**".(2)

و في قوله في أبياته الشهيرة التي زاوج فيها بين الرثاء والزهد .

فَلَـيْتَ الخَلَقَ إذا خُلِقُوا بَوَاقِي وَلَيْتَكَ لَمْ تَكُنْ يَا بَكْرُ شَيْئًا(3)

مع الآية الثالثة والعشرين من سورة مريم : " قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا".(4)

ولنكتفي بهذه النماذج ومن بحث في هذا المجال لا شك سيجد هذا التقاطع مع القرآن الكريم عام في شعر المغاربة هذا إن دل على شيء فهو يدل على أن هؤلاء الشعراء كانوا حافظين للقرآن ومتفقهين فيه ،وحتى القارئ حين يقرأ هذه الأشعار يستنبط تلك الثقافة الدينية ولاشك أن مدونة الأستاذ الدكتور محمد مرتاض التي وسمها ب" شعر الفقهاء" في الخمسية الهجرية الثانية " لدليل على أن هذا الصنف من الناس كان غالبا في جغرافية المغرب العربي .

لقد تأثر شعراؤنا تأثيرا كبيرا بالقرآن الكريم فأمدهم - خاصة الزهاد منهم- بذلك التصوير البديع للنفس البشرية ، وتلك القيم السامية التي توضحت لنا من خلال أشعارهم الخالدة . والتي اتسمت بالحكمة والسداد.

### ب.التراث العربي القديم :

إنه بذرة أساس استعان بها الشعراء في العصر الإسلامي ، كما كان كذلك شعراء الإسلام في المغرب ، فقد كان لهم اطلاع كبير على الموروث العربي من تلك المدارس التي أسست لتعليم اللغة والدين فكان إعجابهم بالشعراء الجاهلين واعتبارهم مثلا أعلى

---

(1) رمضان شاوش ." الدر الوقاد . لبكر بن حماد" ص 87.
(2) الآية 12 من سورة الفرقان.
(3) المرجع السابق ص87
(4) الآية 23 من سورة مريم.

يقتدى به ، فهذا **أحمد بن أبي سلمان داود الصواف** يتقاطع مع **زهير بن أبي سلمى** في قوله :

سَئِمَتْ تَكَالِيفْ الحَيَاة وَمَنْ يَعِـــشْ ثَمَـانِينَ حَوْلاَ لاَ أَبَا لَكَ يَسْـأَم (1)

حِينَ يَقُولُ :

تَرَكْتُ تَكَالِيـــــفَ الحَيَاةِ لِأَهْلِهَا وَجَانَبْتهـا طَوْعَا مُجَانَبَتِي الرَدَى(2)

و حين يقول :

وَلَمَا مَحَا عُمْرِي ثَمَانِينَ حُـــجَة هَجَرَتُ تَكَالِيفَ الحَيَاةِ لَمَا فَجَا(3)

وهذا **أبو عقال بن غلبون** قد أوضح هذا التقاطع والتأثر وهو يتأمل في الماضي وبعده الحاضر وخائفا من المستقبل في حركة انفعالية يوصلها إلى المتلقي في قالب زهدي محض ، في اتباعه لمنهج القدامى :

وَأَقْفَرَتْ الرَبْـــــــعَ مِنْ أَهْـلِهِ وَأَبْقَـيْتُ خلوف النَـدَامَى فُرَادَى
وَشتتَتُ الشَـــــمْلَ بَعْدَ إِئتِلَـاف فَلَمْ تَبْـــقَ لِلرَائِـــدِينَ ارْتِيَادَ
بَلَوْتُ الزَمَانَ وَ دُسْـــتُ البِـلاَدَ وَنَافَسْـــتُ فِي كُـــل شيءٍ عِنَادَا
شَرِبْتُ المُــدام وَسُـسْتُ القِيَـانَ وَرُضْتُ الجِـــيَادَا وَرُعْتُ الشِدَادَا
وَصـعْلَكْتُ فِي البَرِ وَالبَحْرِ دَهْرَا أخلف أَهْلِي عَلِي حِــــــــدَاد (4)

إلى أن يأتي التخلص من هذا التقديم و الماضي فيذهب إلى الحاضر و المستقبل معاقبا نفسه و معاتبا لها :

فَجَـــــلَى مِنَ القَلْبِ إِظْلامُهِ وَأَنـــــور مَا كَانَ مِنْهُ سَوَادَا
فَأَلْزَمْـــتُ نَفْسِي مَدَى ضيرها وَخَالَفْتُـــــهَا فِي هَوَاهَا عِنَادَا(5)

(1) الأصفهاني . "الأغاني" ج 14 ص 213
(2) العربي دحو . المرجع السابق ص 251.
(3) المرجع نفسه ص 251.
(4) المالكي "رياض النفوس" ج1ص539
(5) نفســـــه

فتلك الحركة والنشاط الحياتي لقطف اللذة ( بلوت ، شتتت الشمل وصعلكت ، نافست ،.....). شابهت تلك التي كانت عند القدامى حين يكون في موقع الفخر أو الغزل فهذا **عنترة بن شداد العبسي** يقول :

أَنَا فِي الـــــحَرْبِ العَـوَان ... غَـــــــيْرَ مَجْهُولِ الَمكَانِ
أَيْنَــــــــــمَا نَادَى الُمنَادِي ... فِي دجَى النَـــــقْعِ يَرَانِـي
وَحَـــــــــــسَامِي مَعَ قَنَاتِي ... لفعـــــــــالي شَاهِـــدَانِ
أَنَنِـــــــــي أَطْعَـنُ خَفِيفِي ... وَهُـــوَ يَقــــْـــطَانَ الجِنَانِ (1)

## 3.التشكيل الفني في شعر الزهد :

إن هذه القصائد الشعرية يصعب علي أن أحدد جوانبها الفنية ، فهي تعبيرات لشعراء من أربع قرون ، فقد تتقارب وقد تتباعد الرؤى وماهي إلا خوالج سارت على ألسن هؤلاء الشعراء باختلاف مشاعرهم إما غاضب من واقعه أوسعيد بتقدمه في العم متشائم منه وحزين لأمره أو متأمل في الوجود أو مسافر يرى أحوال هذه الدنيا فزهدها وإما خائف من عاقبته . ومن هذه النظرة فقد رأيت أن أخذ أكثر من نموذج واحد للتحليل بحسب :

1. اللغة والأسلوب
2. الصورة
3. الموسيقى الشعرية

محاولا أن أوقع أغلب هذه المدونة على هذا النسق.

### أ-اللغة والأسلوب:

إن شعر الزهد هو في الحقيقة تعبير عن موقف الإنسان من هذه الحياة أو من الوجود عموما . ومع اختلاف تلك المعاني التي تقع في ذهن هذا الانسان من قبول ورفض وإقبال وإدبار محاولا فهم ما يجري حوله وتفسير كل ظاهرة تفسيرا صحيحا . يلوم نفسه

مرة على ما فرطت و ما أغفلت و يجهز عليها بالحرمان والمجاهدة ويلوم الزمن مرات ويحمله الأعباء كلها ، كل تلك التساؤلات أخرجها الشاعر المغربي الزاهد في لغة بسيطة معبرة واضحة غير مــــعقدة مفهومة هي لغة المحيط أو البيئة الاجتماعية التي يحياها وإن اتسمت ببعض الموروث إلا أنها ظلت واضحة ، سهلة الفهم سلسلة على اللسان يفهمها الجميع كيفما كانت موضوعاتها فهي كلها تصب في تجهيز النفس البشرية إلى يوم المعاد ، من خلال جعلها تزهد و تنفر من هذه الحياة الدنيا التي هي غير دار المقر بل هي دار الممر.

وهذا **بكر بن حماد** وقد استعمل لغة العتاب واللوم قاصدا بذلك نفسه التي أرقتها الظنون :

لَقَدْ جَمـــــــَحَتْ نَفْسِي وأَعْرَضَـــتْ ... وقَدْ مَـــــرَقَتْ نَفْسِي فِطَالَ مروقها
فيَا أَشْفَى مِنْ جُـــــــنَحِ لَيْلٍ يَقـــودُهَا ... وضَوْءُ نَهَارٍ لاَ يَزَالُ يَسُـــــــوقُهَا
إِلَى مَشْهَدٍ لَابُدَ لِي مِنْ شُـــــــهُود ... وَمِنْ جُـــرْعٍ لِلْمَوْتِ سَوْفَ أَذُوقُهَا
سَتَأْكُــلُهَا الدِيدَانُ فِي بَاطِـنِ الثَرَى ... وَيَـــذْهَـــبُ عَنْهَا طِيبُهَا وَخَلُوقُهَا
مَوَاطِـــنُ لِلْقِصَاصِ فِيهَا مَظَالِــمُ ... تُــــؤدِي إِلَى أَهْــلِ الحُقُوق حُقُوقِهَا
سَحَـــابُ المَنَايَا كُلُ يَوْمٍ مُظْلِــمَةٍ ... فَقَدْ هَــطَلَتْ حَوْلِي وَلاَحَ بروقها
وَ لِلِنَفْسِ حَاجَاتٍ تَرُوحُ وَتَغْتَـــدِي ... وَلَكِنْ أَحَادِيــــــثُ الزَمَان تُعَوقُهَا
تَجَهَمَتْ خَمْسًا بَعْدَ خَمْـسِينَ حُجَةْ ... وَدَامَ غُرُوبُ الشَمْسِ لِي وَشُـرُوقُهَا
وَأُبْدِي المَنَــــايَا كُلُ يَوْمٍ وَلَيْـــــلَةٍ ... إِذَا فَتَــــــــقَتْ لَا يُسْتَطَاعْ رُتُوقُهَا
يُصْـــبِحُ أَقْوَامْ عَلَى حِينِ غَفْــــلَةٍ ... وَيَأْتِيكَ فِي حِـينِ البَــيَاتِ طُرُوقُهَا(1)

إن هذه الألفاظ والعبارات التي استعملها بكر بن حماد مبثوثة في محيطه وأمكنه بهذا المعجم وضع القارئ أمام أحداث وحالات هي واقعة لكل إنسان على الأرض .إنه يعترف بالذنب الذي ارتكبه في حق الله وما جموح النفس ومروقها إلا دليل على ذلك (جمحت ، مرقت)، ويلوم الزمن على هذه الحالة (جنح ليل يقودها ، ضوء نهار يسوقها).

---

(1) رمضان شاوش ، " الدر الوقاد " . ص 77.

لكنه يذهب إلى لغة الهدوء والاستسلام واجتراع الحقيقة المرة بدون مقاومة حين يذكر هذه النفس بما هو عليها ( مشهد ، جرع الموت ، ستأكلها الديدان – مواطن القصاص).

ثم تأتي لغة التذكير والإنذار قبل العاصفة التي عل وعسى تجعل هذه النفس تتدارك ما فاتها في تعويض عنه ( سحاب المنايا ، لاح بروقها ، أيدي المنايا ، يصبح أقواما يأتي في البيات ). إنه الإنذار بالموت بغتة فلابد من الاستعداد . نستشف من ذلك أن دلالات الموت طغت على دلالات الحياة وكانت هي الغالبة لأنها هي المآل ، و لقد انجذب إليها بكر كغيره من شعراء الزهد نابعة لغتهم تلك من الألم والاقتناع و الرضوخ ، أنظر إلى هذه الأبيات:

أُحْبُو إِلَى المَوْتِ كَمَا يَحْبُوا الجَمَلُ     قَدْ جَـــــــــاءَنِي مَا لَيْسَ فِيهِ حِيَـلُ (1)

وَخَــالَطَ عَيْنِي العِشَا بَعْدَ حِــدَةٍ     وَصَـــارَ لِسَانِي إِنْ تَكَلَمَ لجلبـــا (2)

وَفِــي أُذُنِي وَقْرُ وَظَهْرِي بِهِ حِـنَا     وَمَا أَبْتَـــغِي مِمَا أَنَا فِيهِ مُخْرِجَـــا (3)

كُلٌ يَنَال مِنَ المَقْدُور قِسْــــــمَتَهُ     قَــوْمٌ تَرَقُوا وَقَوْمٌ فِي الهَوَى سَقَطُوا (4)

وَأن الــمَنَايَا لَيُدْرِكَنَ مَــــــنْ     وَنَـــى فِي الطَرِيقِ وَمَنْ أَرْكَـــضَا (5)

المَوْتُ فِي كُلِ حِينٍ يَنْشِرُ الكَـفَنَا     وَنَحْنُ فِي غَـــــــــفْلَةٍ عَمَا يُرَادُ بِنَا(6)

سَكَنْتُكَ يَا دَارَ الفَنَاءْ مصــــدفا     بِأَنِي إِلَى دَارِ البَقَـــــاءِ أَصِــــيرُ (7)

إن هذا المعجم اللغوي المتكون من هذه النماذج (العشا ، تلجلج اللسان، الحبو، الوقر في الأذن ، انحناء الظهر ، كل ينال قسمته ، تدركنا المنايا ، الموت في كل حين ، ينشر الكفنا نحن في غفلة ، دار الفناء ، دار البقاء ، أصير... ). يصب في وعاء واحد ينصرف إلى معجم دلالات المحتم أو الموت اللازم ، وهو المعجم الذي سار عليه جل شعراء الزهد في المغرب

(1) المرجع السابق ص 92.

(2) البيت لأحمد بن أبي سليمان داوود الصواف ، ينظر العربي دحو ." الأدب العربي في المغرب العربي " ص 252.

(3) نفســه

(4) البيت لأبي مدين شعيب . البستان ص 11

(5)البيت لعلي الحصري القيرواني . الموسوعة

(6)البيت لابن أبي زمنين ." نفح الطيب" ج 3 ص 554.

(7) البيت لأبي الصلت أمية ،" نفح الطيب "ج3 ص 297

وقد نلحظ ذلك في المدونة التي تم جمعها واستعمالهم لغة البكاء والحزن والتحسر واليأس وظلم الزمن بارتكابه آثام المرض بأنواعه والوهن والضعف والكبر والنكد لتصوير خوالجهم ووجدانهم والعمق النفسي الذي يعيشونه ، وأثبتت هذه الألفاظ انصراف شعر الزهد إلى حقيقة واحدة متفوقة وهي المعجم الدلالي للموت بشتى معانيها المخولة لها حتى وان ظل بعض الشعراء يذكرون ويعددون هروبهم إلى الماضي لكننا نكتشف أن هروبهم ذلك ما هو إلا هروب لحظي وستتم الأوبة ، والعودة للحاضر المستقبل الحتميين و الهروب إلى الماضي إن دل على شيء فإنما يدل على الحياة فيستعمل الشاعر الألفاظ الدالة على الحياة ، كما نلحظ ذلك من خلال هذه النتائج:

بَلَوْتُ الزَمَانَ وَدُسْتُ البِلاَدَ وَنَافَسْتُ فِي كُلِ شَيْءٍ عِنَادَا
شَرِبْتُ المَدَامَ وَسُسْتُ القِيَانَ وَرُضْتُ الجِيَادَ وَرعت الشِدَادَا
أَصِيدُ الغَزَالَ وَأُمَ الرِئَالَ بِطَرَفٍ أَرَاهُ يُجِيدُ الطِرَادَا
وَصُعْلِكْتُ فِي البَرِ وَالبَحْرِ دَهْرَا أُخْلِفُ أَهْلِي عَلَي حِدَادَا
أَسُومُ البِعَادَ وَ أَهْوَى اللِذَاذَا وَأُظْهِرُ فِي الأَرْضِ مِنِي الفَسَادَا
أُرَوِحُ عَلَى هَذَا وَذَاكَ أَدِيمُ السِهَادَ وَأَجْفُو المِهَادَ(1)

إن الألفاظ الدالة على الحركة والنشاط والتي رمزت لمعجم الحياة ( بلوت الزمان ودست البلاد ، و نافست ، شربت ، رضت ، أصيد و رعت ، صعلكت ، أسوم ، أهوى اللذاذا ، أظهر الفساد ، أديم السهاد ـ أجفو المهاد ) ، هي ألفاظ تدل على قوة هذا الانسان التي يفتخر بها و يظن في وقت ما أنها خالدة ، و لقد نحى الشاعر في هذه المقدمة منحى الجاهلين كما رأينا من قبل في هذا البحث .

إن هذه الألفاظ ستنكسر أمام ألفاظ أقوى منها تكون هي التي ترمز إلى الحقيقة التي لا بد من ظهورها ، يقول بعد ذلك هذا الشاعر :

(1) الأبيات لأبي عقال . ينظر العربي دحو . " الأدب العربي في المغرب العربي "" ص257

إِلَى أَنْ تَنَاهَتْ حُـــدُودُ القَضـاء وَأنفذ سُلْــــــطَانِهِ مَا أَرَادَا
فَجَلَى مِنَ القَلْبِ إِظْـــــلامَهُ وَأَنْورَ مَا كَــــانَ مِنْهُ سَوَادَا
فَأَلْزَمْتُ نَفْسِي مَدَى صَـــبْرِهَا وَخَالَفْــــتُهَا فِي هَوَاهَا عِنَادَا(1)

و يقول :

لاَحَ المَشِيبُ بلهتي فَـــــــــنَعَانِي وَنَـــفَى الصِبَا عَنِي وَذَمَ عنَانِي
ونَاءَتْ خُطُوبُ الحَادِثَاتِ بِأُسْــرَتِي فبَقِيـــــتُ مُنْفَرِدَا مِنَ الأَقْرَانِ(2)

إن الألفاظ التي عاد إليها **أبو عقال** و التي نذكر منها ( تناهت حدود القضاء ، ألزمت نفسي خالفتها ، لاح المشيب ، نفى الصبا ، الخطوب ، الحادثات ، الانفراد) شكلت فوهة كبيرة ارتسمت فيها صور الألم والحزن واليأس والضعف والشيب والكبر.... سقطت فيها تلك الألفاظ التي دلت على الحركة والحياة في بادىء الأمر وهي ضمنيا تلوم الزمن وما فعله بهذه النفس البشرية .

وقد رأينا ذلك من خلال تلك الموضوعات ،التي استخر جناها من شعر أولئك الزاهدين فـي أسلوب خبري دل على الوعظ أو الاعتبار أو الحث على القناعة أو التذكير بالموت أو ذكـر الأمم الخالية أو الندم كما وردت في أسلوب إنشائي دل عليه الرجاء أو طلب الصفح أو الاستفسار أو طلب الأوبة ومن ثم قبول التوبة . فالوعظ والاعتبار اللذين ظهرا عند **بكر بن حماد** في قوله:

قِـفْ بِالْقُـبُورِ فَنَاد الهَامِدِينَ بِهَا مَنْ أَعْظَم بُلِيــتُ فِيهَا وَأَجْسَادَ (3)

والتذكير بالموت الذي يظهر عند **عبد الحق بن عبد الرحمان المعروف بابن الخراط** (ت**581**)

إِنَ فِي المَوْتِ وَالمِعَــادِ لَشُغْلاَ وَادِّكَارًا لذي النهـــــى وبلاغا (4)

(1) رياض النفوس ج1 ص 539.

(2) المصدر نفسه ص 539.

(3) رمضان شاوش. الدر الوقاد. ص 80 ، وينظر . المغرب العربي تاريخه و ثقافته ص 133

(4) الديباج المذهب ص193

فَاغْتَنِمْ خُطَّتَيْنِ قَبْلَ المَنَايَا — صِحَةُ الجِسْمِ يَا أَخِي وَ الفَرَاغَا (1)

والحث على القناعة الذي ظهر عند **بن رشيق المسيلي** :

يعْطِي الَفتَى فَيَنَال لِي دعة — مَا لَمْ يَنَلْ بِالْكَدِ وَالتَعَبِ
فَاطْلُبْ لِنَفسِكَ فَضْلُ رَاحَتِهَا — إِذْ لَيْسَتْ الَأشْيَاءُ بِالْقَلْبِ (2)

والامتعاض من الشيب والذي يظهر عند **عيسى بن مسكين** :

لعُمْري يَا شَبَابِي لَوْ وَجَدْتُكَ — بِمَا مَلَكَتْ يَمِينِي لارْتَجَعْتُكَ (3)

والابتعاد عن اللذات ومحاربة النفس الذي يظهر عند **الصواف** :

حَبِسْتُ نَفْسِي بَيْنَ بَيْتِي وَمَسْجِدِي — وَقَدْ صِرْتُ مِثْلَ النِسْرِ أَهْوَى التَعَرُجَا(4)

وغيرها من الأفكار التي ذكرناها أو التي لم نذكرها جاءت في غرض أدبي دل على القنوط واليأس وإبداء الضجر والملل فمن تذكر الموت أو من حاور الشباب ليبتعد عن الشيب لحظة من الزمن أو حرم النفس من لذائذ الحياة أو من نظر إلى القبر واستحضر ما حوى وكيف أصبح. لابد أنه في حالة شكوى من ألم الزمن، وهمه أن الموت لابد مدركه لا محالة . فيخرج كل ذلك من صدره و يعبر عنه مستحضرا ما ملكت يمينه من لفة ورثها أو اكتسبها ويخاطب القارئ بلغة منسجمة مع واقعه المعيش . ولقد ارتسمت هذه اللغة في أفعال ماضية " وجدتك ، ملكت ، خالط ، لحلجا " و ما تبعها من فواعل و مفعولات أو كانت مضارعة " ينشر الكفنا ، يراد بنا ، أصير إلى دار البقاء " ، وما يتبعها هي الأخرى وما يلزمها وما تقتضيه هذه اللغة من أدوات ربط وتنسيق ، جعلت المتلقي يأخذ المعنى كما هو دون أن يذهب إلى أن يقلد ذلك ويحول هذه الأقوال إلى أفعال فذاك أمر آخر بل يخلص إلى نزعة الشاعر الزهدية فقط إلى ذلك التصوير الفني الذي اتسم به الشاعر المغربي في فترة من الفترات ، وذلك البعد

(1) المصدر السابق.
(2) رابح بونار "المغرب العربي ، تاريخه و ثقافته " ص 312
(3) العربي دحو . "الشعر المغربي "ص 175.
(4)المالكي" رياض النفوس "ج 1 ص 510.

الدرامي الذي خلص إليه النص الشعري في نهايته . وأيضاً حث المرء على أن يكون ذا همة وعزيمة، فإذا قرر أمراً فليمض فيه ينفذ قراره من غير تراخٍ أو كسل . وأن يكون أيضاً قويّ الإرادة ، ماضي العزيمة ، لا يطاوع شهوات النفس فتقعد به دون آماله .

**ب. الصورة عند شعراء الزهد المغاربة:**

إن الصورة الشعرية هي" أساس العمل الأدبي "(1) فهي جوهر النص الشعري وهي ليست مستحدثة عند شعراء الزهد في المغرب العربي ، بل هي موجودة مع وجود اللغة العربية التي وصلتنا سواء عند الجاهلين أو من العصر الإسلامي في المشرق وهي قد تكون أكمل من بعض أو أنقص منها في إيصال المعنى إلى المتلقي وفي استفادته من هذا المعنى. ولعلنا في في دراستنا البسيطة نحصرها في بعض التشبيهات أو الاستعارات أو صور البديع التي ظهرت لنا في هذه النصوص الشعرية ، ونحن نعلم أننا لا نوفها حقها من التحليل. وقد يرى القارئ لهذه الأشعار أنها لا تخلو من هذا النوع من التصوير من قريب أو من بعيد ، إن دل ذلك على شيء فإنما يدل على سعة أولئك الشعراء للغة العربية ومعانيها وألفاظها وتوظيف كل ذلك كما شاءوا في النص الشعري حتى تتضح الدلالة " فالمعنى الواحد يستطاع أداؤه بأساليب مختلفة في وضوح الدلالة " (2). هذه الصورة الشعرية لها أشكال مختلفة ، فمنها ما هو بسيط ومنها ما هو معقد يستعمل صاحبه الرمز والاستعارات التي لابد من التمعن فيها بدقة حتى نجد تلك العلاقات الخفية بين أطرافها أو العلاقات المحدثة بين هذه الأطراف (3) و لعلنا نأخذ بعض النماذج من هذه المدونة ونحاول أن نجد فيها هذا التصوير قصد وضع رؤية خاصة لها ، و لننظر إلى هذا التصوير عند **أحمد بن أبي سليمان** :

أَرَى البَرْقُ مِنْ نَحْوِ العَصِيبِ تَوقدا ... تَغِيبُ طُورًا لَمْعَهُ وَتَرَدَدَا(4)

(1) د محمد مرتاض ."النقد الأدبي القديم في المغرب العربي . نشأته و تطوره" (دراسة وتطبيق). ، منشورات اتحاد كتاب العرب ص

(2) عبد اللطيف شريفي و.زهير دراقي " الإحاطة في علوم البلاغة"– ديوان المطبوعات الجامعية – الساحة المركزية . بن عكنون– الجزائر 2004 . ص112

(3) ينظر عبد القادر الرباعي." الصورة في شعر أبي تمام" . ص 14.

(4) العربي دحو."الأدب العربي في المغرب العربي" ص255.

دُعِيتُ مُعَلِمًا إِذْ صِـرْتَ شَيْـــخًا    وَ أَيَامَ الشَـــيبَة كُنْتَ بُـورَا
لَئِنْ كَـانَ الَمشِيبُ أَتَـى نَذِيـــرًا    فَإِنِي سَـــوْفَ أَدْعُوهُ بَشِيـرَا (1)

إن البرق يشق ظلمة الغيوم و ينير الليلة الحالكة، كذا المشيب عند الصواف قد ظهر مـن ظلمة سواد الشعر هذا التصوير الجميل للشاعر يظهر كذلك في تشبيه أيام الشباب بـالأرض البور التي لا ينمو فيها أي زرع كذا توظيف الشاعر لصورة بيانية أخرى في البيت الثالث حين شبه المشيب بالإنسان وحذف المشبه به ورمز إليه بأحد لوازمه وهو نذير فجاءت هــذه الاستعارة لتبرز المعاني في صورة حبة محسوسة ، تمكن المتلقي من الوقوف على علاقة الشاعر بالواقع و فهم أحاسيسه تجاه ذاته كذلك وصورة أخرى نراها عند **بكر بن حماد** في قوله :

قِفْ بِالْقُبُورِ فِنَاءَ الهَامِدِينَ بِهَـا    مَنْ أَعْـــظَم بَلِيتُ فِيهَا وَأَجْسَادَ
وَالَموْتُ يَهْدِمُ مَا بَنَيْتَهُ مِــنْ بَذَخ    فَمَـــا انْتِظَارَكَ يَا بَكْرُ بْنُ حَمَادَ(2)

لقد علم الباث والمتلقي أن من سكن القبر لا يمكن له أن يجيبك حين تناديه . لكن براعـة الشاعر التي وضعتنا أمام هذا التشكيل اللغوي الذي جعل الصورة بنية واحدة الذي اخـــتزل المسافة بين طرفي الصورة و ترقى بخياله ليوصل للمتلقي المعنى كاملا واضحا ، وقد جعــل للموت معولا أو فأسا يهدم بها فكان أن حذف المشبه به"الإنسان" ورمز له بأحد لوازمه"يهــدم" فتمت الاستعارة و كانا طرفي التشبيه قد تقاربا حتى التصقا ، وهذا **الحصري** يشبه الموت بالعدو القاتل الذي لابد يصيب صاحبه بسهمه و هي صورة فيها تحريك للمجرد و جعله مادة محسوسة وإن كانت حركة هذا المجرد مؤدية إلى نتيجة مأسوية ، حين يقول :

هُوَ الَمــوْتُ لَابُدَ مِنْ سَــــــهْمِهِ    فَكَيْـــفَ ادرعنـا لكي يدلــظـا
أَنَا الَمنَايَــــــــا لَيُــــدْرِكَنَ مَنْ    وَ نَـــى فِي الطَرِيقِ وَ مَنْ أَرْكَظَا(3)

(1) المرجع السابق. ص 188.
(2) الموسوعة الشعرية الإصدار الثالث
(3) إبراهيم الدسوقي . جاد الرب ." شعر المغرب حتى خلافة المعز" ص 175.

أُصَـافِحُ الأَرْضَ إِنْ رمـت القِيَـام ... تَصْــحَبْنِي ذَاتَ اليَمِينِ عَصَا (1)

أَحْبُو إِلَى المَوْتِ كَمَا يَحْبُو الجَـمَلُ ... قَدْ جَاءَنِي مَا لَيْـــسَ فِيهِ حِيَلَ(2)

ففي البيتان صور الاقتراب الخفي للموت و قروب أجل كلا الشاعرين فالعجــز الـذي وفي البيت الذي يليه و غير بعيد عن المعنى الأول يصور لنا الموت بذاك الشيء الذي يأخذ اليابس والأخضر في طريقه و هو تصوير بليغ فإن هذا الموت سوف يأتي علـى الذي تأنى في مشيته و يأتي كذلك على من ظن أنه سيهرب و كان يركض بما أوتي من قوة ، فيحس المتلقي بشراسة الموت و يستشعر ذلك التصوير الفني الذي أوقفه علــى مصيره . و لقد شغلت فكرة الموت أغلب شعراء الزهد فوظفوا فيها صورا شتى تعــبر عن خوالجهم وآلامهم وخوفهم في آن واحد ، فانظر إلى هذه الأبيات :

يجـلب الاتكاء على العصا والحبو الذي أدى إليه الكبر كلاهما دليل على اقتراب المنية ، ولقـد جـاء التصوير الفني عند عيسى بن مسكين بديعا فصورة الشيخوخة شاخصة في عبارة « أصافح الأرض » و هي كناية عن الكبر ، لها نفس المعنى و نفس الرمزية مع عبــارات « تصحبني ذات اليمين عصا » و « أحبو إلى الموت » و « قد جاءني ما ليس فيه حيل » و تصوير آخر نستشفه عند **بكر** في بيته الموالي :

وَأَيْدِي المَنَايَا كُلُ يَوْمٍ وَلَـــــيْلَةٍ ... إِذَا فَتَقَــــــتْ لا يُسْتَطَاعُ رُتُوقُهَا(3)

فقد استعار للمنايا أيد تريد أن تخنق صاحبها الموكلة إليه وهي تزوره بتكرار على مر الزمن وتقترب منه أكثر فأكثر وتحدث فيه ندوبا تستنزفه إلى أن يلقى حتفه .

وهذا **بن عبد ربه وبن حمد يس الصقلي** وقد عبرا هما الآخران عن الفكرة وصوراها أحسن تصوير ونقلوا لنا ذلك التحويل من المجرد إلى المحسوس معتمدان في ذلك على التشكيل اللغوي الذي يحدد الصورة البيانية التي تجعل الجامد متحركا نابضا بالحياة .

(1) رمضان شاوش." الدر الوقاد". ص 91
(2) رمضان شاوش،" الدر الوقاد" ص79.
(3) المرجع السابق

يقول **بن عبد ربه** :

بَادِر إِلَى التَوْبَةِ الخلَــصَاءِ مُجْتَهِدَا    وَالمَوْتُ وَيْحَكَ لَمْ يمْدُدَ إِلَيْكَ يَدَا (1)

ويقول بن حمد يس الصقلي :

دبَ مَوْتَ السُكُــونِ فِي حَرَكَاتِي    وَخَبَا فِي رَمَــــــــادِهِ حَمْرُ جَمْرِي(2)

إن الموت لن يترك لصاحبه فرصة و لن يساعده بل هو يتحين الوقت المناسب ، وقد استعار **بن عبد ربه** للموت يدا التي لن يمدها للمساعدة وهي صورة جميلة جعل صاحبها المعنى مجرد محسوسا و ذلك لتسليم الذات البشرية لهذا المصير المحتوم . و تقريبا نفس العمل قام بــه **بن حمديس** حين جعل هذا الموت حركيا و صاحب نشاط فهو قد أوجد له الفعل " دب " ، حتــى أن تلك الحركة الحية " حمر جمري " قد اندست تحت الرماد الكثيف الذي غطاها ، والشطر الثاني من البيت هو تعبير عن صورة بيانية مشعة يتجلى من خلالها القول الشهير " رب كناية تربــي على إفصاح " فقوله " و خبا في رماده حمر جمري "  كناية عن ما تبقى له من حركة وحــياة واصفا لنا انفعالاته وأفكاره و تجاربه وعواطفه على غرار كل شعراء الزهد.

**ويقول محمد بن يوسف الثغري:**

واللَهوُ طَارَ بِهِ غــــراب شبيبتي    وحَمَـام شيبي للـــحِمَامِ يحُومُ (3)

مع التقدم في السن يبدأ الإنسان في الانصراف عن اللهو ، فالغراب الذي يدل على سواد الشعر ومنه الشباب فقد ذهب بذهابه اللهو ، ثم يأتي بعده الشيب الذي يدعو في غالب الأحيان إلى الضعف ثم الموت فجعل شاعرنا اللهو شيء محسوس ملموس حتى يحمله الغراب ويطير به إلى مكان بعيد لا رجعة له ، فقد حل مكانه شيبٌ هو دليل على اقتراب الحِمَام والحتف وقد جعله الشاعر هو الآخر شيء مادي أو محسوس فهو يحوم حول صاحبه .  فتتعين في ذهن المتلقي صورة

(1) المقري ، " نفح الطيب" المجلد 4 ص 321
(2) عبد العزيز عتيق  " الأدب العربي في الأندلس" ص 224
(3) بوزياني الدراجي ."أدباء وشعراء من تلمسان".ص288

سمعية وبصرية في آن واحد . دلت عليها المؤشرات اللغوية التي تتمثل في الكلمات والملفوظات التي استعملها الشاعر لحظة انفعال معينة وعلى العموم فإن " الصورة الشعرية...هي خلاصة تجربة ذهنية يخلقها إحساس الشاعر لتلك التجربة وقدرة خيالة عل تحويلها من كونها ذهنية غير مجردة إلى رسمها صورة بارزة للعيان يتذوقها متلقوها..."(1)

ولنختم هذا العنصر بأحد النماذج التي رسمها لنا **بكر بن حماد**:

سَحَـابُ المَنَـايَا كُلُ يَوْمٍ يَظُـلُهُ فَقَدْ هَطُلَتْ حَـوْلِي وَلاَحَ بُرُوقُهَا (2)

إنها صورة الموت مرة أخرى تظهر عند **بكر** ليعبر بها عن انفعالاته وعواطفه ، لقد استعار لها (المنية) هذه المرة لفظا جديدا تمثل في " سحاب" و اكتملت الصورة بالظل الذي تحدثه هذه السحابة التي تزوره كل يوم ثم إنها بدأت في الهطول ولمع برقها فهي ليست ببعيدة وقد اعـتنى **بكر** وغيره من شعراء الزهد في المغرب بالصورة الفنية لأنها جوهر الشعر مستمدين تشكيـلها اللغوي من الموروث العربي ومن ثقافتهم الدينية وما هي هذه الصورة إلا تقريب المفاهيم البعيدة والصعبة للمتلقي وجعله يعيش حالة حاسمة أمامه ، حـين يخلق له علاقة تقرب أو تجمع بين الأشياء المتباعدة المختلفة في هذه الصورة البيانية أو كما **يقول إحسان عباس** "هي خلق جديد لعلاقات جديدة"(3)

وقول أبو حمو موسى :

وتُزرِي بي الدُنيَا بنورِ غُرورِهَا فَكَمْ نَقَضَت عَهْدًا وكَم نَثَرَت عِقدًا(4)

قد جعل لغرور الدنيا نورٌ يجذب المغتر ، وجعلها تنقض العهد مع صاحبها . **فهو يتشبُّث بالمعنى القائم في ذهنه بالحفظ والذاكرة .ويلتمس للدنيا تجسيدا ومحسوسات يصور بهما الشطر الثاني.**

---

(1) الصورة الشعرية عند يحيى الغزال.– مجلة التراث العربي – مجلة فصلية يصدر عن اتحاد كتاب العرب–العدد75– 1999 . دمشق – سوريا

(2) محمد الطمار ." تاريخ الأدب الجزائري " ص 35

(3) إحسان عباس . " فن الشعر" ص260

(4) عبد الحميد حاجيات:"أبو حمّو موسى الزّياني"، ص381

## ج. الموسيقى الشعرية:

### 1- الطباق :

يعرف الطباق عند البلاغيين بانه جمع بين الكلمات الأضداد ، بما يؤكـد أن هذه الصورة تمتلك فعالية في إنتاج الدلالة وتشكيل رؤيا الشاعر. هذا التعريف يحتم منهجيا الابتعاد عن تقويم مردودية صورة الطباق الشعرية في انفصال عن باقي الصور الأخرى التي تشترك معها في الطبيعة والوظيفة . فلا فرق من هذا المنظور بين الطباق والقافية مثلا ، فهما معا مقومان شعريان ينتج بهما النص رؤياه ودلالته ، وبالإمكان أن نفكر في كل الصور الأخرى ذات المردودية الدلالية ، وأن ننظر إليها في إطار اشتغالها النسقي المتزامن. فـ "عبد القاهر الجرجاني" (ت471هـ )[1] الذي اقترح مبدأ عاما لتفسير الصورة الشعرية وكان أكثر عمقاً في بيان ماهية الطباق فيخاطب به عقل المتلقي إثر ما يتركه هذا الفن من أثر نفسي (وهل تشك في أنه يعمل عمل السحر في تأليف المتباينين حتى يختصر لك بعد ما بين المشرق والمغرب ويجمع ما بين المسئم والمعرق ويريك التئام عين الأضداد فيأتيك بالحياة والموت مجموعين والماء والنار مجتمعين) حيث جعل للطباق في الشعر تعريفا عاما هو الجمع بين المتنافرات في ربقة .

ويعد الطباق من المحسنات البديعية التي تعتمد على الجمع بين الشيء وضده التنافر أو التضاد هو ما يبدو عليه الوجود ، بما يجعله يبدو سديما مفتقدا للمعنى ، والشعر نوع من الإدراك. للطباق أثر فني في النصوص الأدبية سواء كانت هذه النصوص شعرية أم نثرية، فالطباق يضيف للنص جمالية رائعة في ظاهر اللفظ والدقة في المعنى، ويجعل للنص روحا ناطقة تؤثر في سامعيه وقارئيه. وهذا الأثر نلمسه أيضاً في القرآن الكريم الكتاب المعجز، فاللفظ القرآني له خصوصية في استخدام الطباق ، **" يُحْيِي وَيُمِيت "** ، **" وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ "**.

وكذلك في الأحاديث النبوية الشريفة ، قال صلى الله عليه وسلم :"خَيْرُ الْمَالِ عَيْنٌ سَاهِرَة لِعَيْنٍ نَائمة" والمقصود في الحديث النّبويّ بالعين السّاهرة عين الماء التي ينام صاحبها وهي

(1) انظر أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني: قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، القاهرة مطبعة مدني، ط/ 1 ، 1991 ، ص32

تسقي أرضه ، فالطباق يعطي عذوبة للكلام ورونقا ، و يساعد أيضاً في فهم المعنى ووضوحه. ولقد أكثر الشعراء من استخدام الطباق في شعرهم كما باقي المحسنات البديعية ، فالطباق حلية بلاغية تضاف إلى الشعر من أجل تحسين المعنى ، وليضفوا على أشعارهم العذوبة والجمال .

وقد اعتمد الشعراء على التضاد في الكثير من قصائدهم ، وما من شك أن الجمع بين المتضادات له إيقاع خاص يكسو الكلام جمالا و رونقا ، " ولكن وظيفة الطباق لاتقف عند هذا الزخرف وتلك الزينة الشكلية ، بل تتعداها إلى غايات أسمى ، فلا بد أن يكون هنا كمعنى لطيف ومغزى دقيق وراء جمع الضدين في إطار واحد ، و إلا كان هذا الجمع عبثا وضربا من الهذيان "[1]. ومن الشعراء الذين استخدموا هذا المحسن البديعي قديما امرؤ القيس كما نرى في قوله:

مِكرٍّ مِفَرٍّ مقبلٍ مدبرٍ مَعاً كجلمودِ صخر حطَّهُ السّيْلُ من عَلِ[2]

والطباق في شعر الزهد لم يأت به الشعراء عبثا بل كان مما يفيد المعنى ويقويه ذلك لأن الشاعر استطاع التوفيق بين الشيء وضده وجعل بينهما مناسبة بحيث يستدعي كل منهما الآخر ، ومما ورد لدى شعراء الزهد المغاربة من هذا القبيل كثير ، يقول سابق البربري:

وقد خانت الدنيا قرونا تتابعوا كما خان أعلى البيت يوما أسافله

وتصبح فيها آمنا ثم لم تكن لتأمن في واد به الخوف نازله[3]

حيث طابق الشاعر بين الأعلى والأسفل في البيت الأول وبين الأمن والخوف في البيت الثاني ذلك أن القصيدة في أبياتها مبنية أساسا على التمييز بين الناس وبيان الفرق بينهم أو بين حال الشخص نفسه في زمن معين ثم حاله في زمن آخر. والطباق هنا أن يجمع في الكلام الواحد بين معنيين متقابلين في الجملة ، والمراد بالتقابل أن يكون بين المعنيين مطلق التنافي دون نظر إلى

(1) علم البديع – د/بسيوني فيود – ص113

(2) ديوان امرؤ القيس ص19

(3) شعر سابق لبربري للدكتور بدر ضيف دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر - الإسكندرية ط 1 ، 2004 ، ص157

نوعه أو مقداره ، فالتقابل بهذا المعنى الواسع لا يُشترط أن يكون التنافي فيه من جميع الصور أو من كل الوجوه ، بل يكفي أن يكون في الجملة ودون تفصيل. واللفظة كما هو واضح داخل هذا السياق تشي بأن للشعر أسلوبا خاصا في صياغة المعاني ويقول في المقطوعة نفسها :

وعاقبة اللذات تخـــشى وإنما    يكـــدر يوما عاجل الأمر آجله (1)

فلفظتي عاجل و آجل لهما معنيين متقابلين فقد يسر الإنسان في وقت ما لكن هذه المسرة قد يأتي ما يعكرها كان ذلك عاجلا أم آجلا. وهاتان الكلـــــمتان مع تضـــادهما في المعنى إلا أن توازنهما مـن حيـث العـروض هو الآخر متماثل. عاجل " فاعل"، آجل "فاعل". وقد أدى هذا الطباق إلى تأكيد الصورة وبالتالي تأكيد المعنى.

إن الشعراء المغاربة اختاروا لقصائدهم معجما شعريا اتسم بالعفوية والوضوح دون تكلف ، جعلت هذه الأبيات لها نغمة شعرية خاصة متميزة عن سائر الأغراض الأخرى . عبروا من خلالها على آلامهم وأحزانهم وأنواع الكآبة التي أصابتهم جراء معرفتهم لحقيقة هذه الحياة المعاشة ، و إن كانت هذه الأبيات جاءت متناثرة عبر كتب التاريخ وكتب الأدب لكنها اتسمت بخلوها من التعقيد و الإبهام المتعدد الحلول ، كما أنها وصفت بلغة الحيرة و الشك المؤدية إلى لغة اليقين و الصواب .

وإن جئنا إلى خاصية التضاد أو الطباق ويدعى المطابقة هو محسن بديعي معنوي كثير الاستعمال في الأدب العربي والقرآن الكريم و الحديث الشرف كما أننا وجدناه في هذه الأشعار كثير و دون تحديد نوع الكلمة فقد يكون ذلك بين الأفعال أو بين الأسماء وهذه الثنائيات المتقابلة هي نوع من التنـميق الشعري كما تساعد في ربط أطراف المعنى بعضها ببعض فهو يجمع بين شيئين ويبين الفرق بينهما في آن واحد،

(1) المرجع السابق ص157

يلاحظ ذلك من خلال هذه النماذج على سبيل المثال لا الحصر.

فَيَا أَسَــفِي مِنْ جُنَحِ لَيْلٍ يَقُودُهَا    وَضَــوْءُ نَهَارٍ لاَ يَزَالُ يَسُوقُهَا (1)

ظهر التضاد في الفعلين (يقود - يسوق) وظهر التضاد في الأسماء (جنح – ضوء) ثم (ليل – نهار) و قد يفسر هذا الطباق في البيت الواحد لتلك الانفعالات الداخلية التي يعاني منها الشاعر، نرى هذا الأمر. كذلك في هذا البيت :

وَأَنَ الْمَنَايَـــــا لَيُدْرِكَـنَ مَـنْ    وَنَـى فِي الطَرِيقِ وَ مَنْ أَرْكَضَا (2)

هذا التضاد الواقع بين الفعلين ( ونى و أركضا ) اللذان يخضعان لقضاء المـوت ما هو إلا استسلام من الشاعر لمصيره و صورة واضحة لهذا الخضوع التـام ولكن المتلقي يستمتع بهذه الأشعار من خلال ذلك التصوير الموحي و الأسلوب الرشيق البعيد عن التعقيد الشـــكلي أو المضموني – مع اعتماد تلك المحسنات البديعية لإعطاء إيقاع يثري هذه النصوص و من هذه النماذج كذلك :

نَهَارٌ مُشْـــرِقٍ وَ ظَلَامُ لَيْـــلٍ    أَلْحَا بِالبَيَــــــاضِ وَ السَــوَادِ(3)
يَا لَـــذَةٍ قَصُرَتْ وَطَـالَ بَلاَؤُهَا    عِنْدَ التَـــذَكُرِ فِي الزَمَانِ الأَوَلِ(4)
وَلَمْ أَجْــزَعْ لِلْأَيَـامِ صِـرْفَ    يَعُـودُ عَسِيــرُهَا سَهْلَا يَسِيرَا(5)
وَلَمْ أَفْـــرَحْ لِأَنَ لَهَـا اِنْقِـلاَبَا    يُعِيدُ يَسِيرَهَا صَــــعْبَا عَسِيـرَا(6)
دُعِيتُ مُعَــلِمَا إذ صِرْتَ شَيْخَا    وَأَيَـامَ الشَــــــبِيبَةِ كُنْت بُـورَا(7)
لَئِنْ كَانَ الْمَشِــيبُ أَتَـى نَذِيرًا    فَإِنِـي سَوْفَ أَدْعُــــوهُ بَشِيرَا (8)
كُلَـمَا تَبُتَ سَاعَةً عُدَتْ أُخْرَى    لضروب مِنْ سُوءَ فِعْـلِي وَهَجْرِي (9)

(1) البيت لبكر بن حماد، من" الأدب العربي في المغرب العربي" ص 186
(2) البيت لعلي الحصري .من الموسوعة الشعرية
(3) البيت لبكر بن حماد ." الدر الوقاد " ص 75
(4) (5) (6) (7) (8) الأبيات لأحمد بن أبي سليمان داود الصواف . الأدب العربي في المغرب العربي ص 251 ، 253 ، 255.
(9) البيت لابن حمد يس الصقلي.

ثَقُلَتْ خُطْـــوَتِي وَ قُودِي تُـغْرَى غَيْهَبَ اللَيْـلُ فِيهِ عَنْ نُورِ فَجْـرٍ(1)

سَكَنْتُكَ يَا دَارَ الفَنَـاءِ مُصَـــدِقًا أَنـي إِلَى دَارَ البَقَــاءِ أَصِــــــيـرُ(2)

لقد كثر هذا التضاد اللفظي الذي يؤدي إلى المعنوي عند هؤلاء الشعراء و مما جعل دون شك المتلقي يرى ذلك التصوير الفني البديع في شعرهم ويتلذذ به و يستصـــيغ سهولته ، و يرى تلك الطبيعة الواضحة أمامه من خلال رسم الشاعر لها فالبياض هو ضد السواد واللفظان يؤديان إلى معنيين متضادين أشركهما الشاعر في البيت نفسه كذا الحال بالنسبة للطول والقصر واليسر والعسر والسهل والصعب والشيخوخة والشبيبة والنذير والبشير والملاحظ أن الشاعر في صراع مع الحياة ومع عناصرها كالزمن والنفس ، فهو يتوب ساعة ، فينزوي إلى صراط الرحمن وقد تغلب على نفسه ، ثم تصارعه عناصـر الحياة فتغلب عليه فتعود مرة أخرى للهوى ولذاته ، فهذه الثنائيات المتضادة (نهار مشرق – ظلام ليل) ، (بياض – سواد) ، (تبت – عدت) ، (دار الفناء – دار البقاء) و المعطوفة على بعضها أوصلت للمتلقي صورة حية عن مشاعر وخوالج هذا الشاعر الزاهد المنقلبة بين الحزن والألم والأمل أحيانا حين يفسح لنفسه قليلا من الأمل فالصيرورة تعني الدوام وهو يعلم أن ذاك هو مصيره في تلك الحياة الثانية.

شاعر آخر هو أبو جعفر داوود الصواف (–291هـ)يقول:

وأَصبِـرِ بالرّغـــمِ لا بالرّضَا وأُخلّصُ نَفســي قليـلاً قليـــلاَ (3)

نلاحظ بين اللفظين : "الرغم" و"الرضا" طباقا إيجابيا وضعه الشــاعر في بيته هذا لبين لنا أن صبره أو صبر الإنسان عموما لا بد أن يكون رغما عنه وليس برضاه وهما نتيجة طبيعية لما يتقلب على الإنسـان مـن خـير وشـر ، وهاتان الكلمتان مع تضـــــــادهما في المعنى إلا أن أن توازنهما مـن حيـث العـروض غـير تـام .

(1) البيت لابن حمد يس الصقلي .

(2) البيت لأبي الصلت أمية . الديوان ص 87 . ومن "نفح الطيب "المجلد 2 ص 107

(3) العربي دحو. الادب العربي في المغرب العربي ص:250

ويقول :

ولْمْ ألبس لذُّل الفقْــر ثوبا ولم أكُ في الغِنى بطرًا فَخُــورَا

ولم أجزَعْ ، و للأيّام صِرفٌ يعودُ عسيرهَـا سهـلاً يسيــرَا

ولم أفْرح لأنّ لها انقلابـًــا يُعيد يسيرهـا صَعبًا عسيــرَا(1)

وانظر أخي القارئ لهذه الأبيات الجميلة وهذه المتضادات المزينة لنصها التي تشكل جميعا لثنائيـات المتضـادة في الحياة فالناس إما جزع أو فرح وإما غني أفقير وإما معسر أو ميسر . فالشــاعر بنظرتـه الشـمولية للحيـاة اسـتطاع أن يجمـع جميـع هـذه المتضادات في ربقـة .

و لننظر إلى هذا التصوير عنده :

أَرَى البَرْقُ مِنْ نَحْو العَصِيبِ تُوقدا تَغِيــــبُ طُورًا لَمْعَهُ وَتَرَدَدَا

دُعِيتُ مُعَلِمًا إذْ صِـرْتَ شَيــْخًا وَ أَيَامُ الشَـــبِيبَة كُنْتُ بُـورَا

لَئِنْ كَـانَ الَمشِيبُ أَتَـى نَذِيــــرًا فَإِني سَـــوْفَ أَدْعُوهُ بَشِيـرًا (2)

إن البرق يشق ظلمة الغيوم و ينير الليلة الحالكة ، كذا المشيب عند الصواف قد ظــهر مـن ظلمة سواد الشعر هذا التصوير الجميل للشاعر يظهر كذلك في تشبيه أيام الشـــباب بـالأرض البور التي لا ينمو فيها أي زرع كذا توظيف الشاعر لصورة بيانية أخرى في البيـت الثالث حين شبه المشيب بالإنسان وحذف المشبه به ورمز إليه بأحد لوازمه وهو نذير فجاءت هــذه ، كما ظهر التضاد في كلمي بشير ونذير و يا له من طباق فقد أظهر جرسا موسيقـــيا فريدا. كما أن استخدام الطباق في النصوص الزهدية يضيف الجمالية الرائعة في ظاهر اللفظ والدقة في المعنى، ويجعل للنص روحاً ناطقة تؤثر في سامعيه ، فضلاً عن أ ّن شعر الزهد مؤثر في سامعيه أصلاً ، يقول الشاعر الفذ بكر بن حماد (**-295هـ**):

(1) العربي دحو."الأدب العربي في المغرب العربي" ص255.

(2) العربي دحو . الشعر المغربي من الفتح الإسلامي إلى نهاية الإمـــارات ص 196

لَقَدْ جفّت الأقْلامُ بِالخَلقِ كُلّهُــم          فمنْهُم شَقِيّ خَـائِبٌ و سعيـدُ [1]

الطباق موجود في اللفظين شقي وسعيد فهي حال الناس يوم القيامة إما يكونون في الجنة وبالتالي فهم سعداء أو في جهنم فهم أشقياء.

ويقول **عبد المؤمن بن موسى المديوني** (ت 746هـ)

واحدودبَ الظهرُ من سقمٍ ومن كبـرِ          واعوجَ عَصبي الذي قَد كَان مُنتصبَا
وصِرْتُ أَمْشِي الهُونيا بَعدمَا ضَـعُفَت          مِني القِوَى وَاستردَ الدَهرُ مَا وَهَبَـا[2]

يظهر الطباق في اللفظين "اعوج" و"انتصبا" ومع اللفظين " ضعفت و " القوى" ومع اللفظين " استرد و" وهبا" وهذا التضاد هو نتيجة طبيعية لما يتقلب على الإنسان من أحوال تسبب فيها الزمن وقد ظهر التضاد في هذه الكلمات من حيث المعنى لكن توازن كل لفظين من حيث العروض غير تام .

وهكذا فقد عمل الطباق وما رافقه من مقابلة على إحداث التناغم الموسيقي في الأبيات ، هذا بالإضافة إلى ما قدمه من تقوية للمعنى الذي يريد الشاعر تثبيته في الأذهان خاصة ما كان منه في مجال الدعوة والموعظة.

ويقول **أبو الربيع سليمان الموحدي** (ت604هـ):

كم ذا تَنامُ وأقوامٌ قد اكتحَـلوا          كُحلَ السُّهادِ أطارَ الخوفُ نومَهُـمُ[3]

حدث الطباق في كلمتي "السهاد" وهو ذهاب النوم أو الأرق وكلمة النوم وصورة التضاد هذه أو الباق هي شيء عادي عند شعراء الزهد المغاربة ، فقد أكثروا منه في أشعارهم وأتقنوه فالخوف من القادم أو الخوف من كثرة الذنوب أو الخوف من عقاب الله ... هو العامل الرئيس الذي أحضر ضد النوم وهو السهاد ، ويبدو أن عامل الخوف جعل الأمير يختار أقصـر العمر

(1) رمضان شاوش ، الدر الوقاد . ص92.

(2) بوزياني الدراجي ، " أدباء وشعراء من تلمسان" ، ج4ص14

(3) الموسوعة الشعرية الإصدار الثالث (قسم الدواوين الشعرية).

على أطول العمر ـ فربما قصر العمر يقلل الذنوب و طول العمر يكثرها فيقول في هذا البيت:

قد كانَ أحمدٌ عُمرَ المرءِ أطولُهُ          فاليّومَ أقصرُ عمرَ الّمرءِ أحمَدُهُ (1)

والدارس لشعر الزهد عند المغاربة كثيرا ما يلاحظ كثرة الطباق والمقابلة في هذا الغرض وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على تقديمهم البرهان والحجة في موضع الترغيب والترهيب وفي تغير حال الإنسان من حال إلى حال فيكون الدليل قوي والمعنى واضح حين الوعظ أو الاعتبار أو النصح أو التخويف من القادم أو تذكر الأمم السابقة أو تذكر ظلمة القبر أو هاجس الموت...وقد لاحظنا أن شعراء المغرب العربي لم يقصروا في هذا الشأن من خلال الأمثلة المأخوذة . ومما لاحظناه أن الطباق يمكن أن نقول عنه: هو محسن بديعي يطري على النص الجمال الذي ينقصه . يعطي للجملة معناها ويوضح المقصود منها . وكما يعلم الجميع أنّ صدى تأثير الحرف يدوم لزمن طويل على فكر الإنسان وحياته ، بحيث يوفر لفكر الإنسان صدى مشابه لصدى الحروف . يساعد في ربط الأشياء مع بعضها البعض ، فعند نطق الأبيض تجد تفكيرك يربط هذا اللون بالأسود ، ألاّ وهو اللون المضاد للأبيض ، وعندما تنظر للغني فإنّ تفكيرك بشكل مباشر يتجه للفقير وحاله.

## أنواع الطباق التي تعرض لها الشعراء المغاربة:

### *1* الطباق الحقيقي:

إن الأمثلة التي ذكرت في الأشعار السابقة يسميها البلاغيون الطباق الحقيقي سواء كان إيجابا أو سلبا ، فطباق الإيجاب مثلا كلفظتي "يمسي" و "يصبح" ، في قول إبراهيم بن محمد بن علي التازي (ت866هـ):

نعوذ بالله من عيش الحسود فما          يمسي ويصبح إلا ساخطا كمدا(2)

أو لفظتي : " الصمت " و" الكلام " في قوله:

---

(1) نفسه

(2) بوياني الدراجي ، " أدباء وشعراء من تلمسان" ، ج4ص70

والصمت حكم نجاة والكـلام ردى    فاخش اللسان وكن في الصمت مجتهدا(1)

وهذا النوع من الطباق قد وجدناه يتكرر في شعر الزهد الذي طرقناه هذا بوصـفه حلية بلاغية تنضاف إلى الشعر من أجل تحسين المعنى بارعون في تجزئةٍ الأوزان ليصنعوا شعراً يحمل الكثير من العذوبة واللّحن الموسيقيّ، و استعانوا بالكثير من المُحـسّنات اللفظيّة والمَعنويّة في أشعارهم، فكانوا في شِعرهم لا يصفون شيئاً إلا وقاموا بربطه بما يُماثله ويُشابهه، كقول إبراهيم التازي:

والجهل ويك ظلام ذلة وعمـى    والعـلم نور منير عزة وهدى(2)

فأتى بلفظة "الجهل" وكل ما يلازمها من صفات في لغة عذبة جميلة في الشطر الأول من البيت ثم أتى في صورة مقابلة لها في الشطر الثاني من البيت لفظة "العلم" وكل ما يلازمها من صفات هي في الحقيقة أضداد لما جاء في الشطر الأول. فالألفاظ " ظلام، ذلة، عمى " تقابلها الألفاظ "نور، عزة، هدى" وجاءت هذه الأسماء متناسقة في الشكل والمضمون، حيث لا يوجد خلل أو لبس أو غموض، مع تناسق موسيقي له تأثيره في الوجدان الإنساني.

إن الثقافة العربية الإسلامية التي تشبع بها أهل المغرب جعلتهم ينهلون منها كل منهل فلو أخذنا مثلا الأسلوب القرآني لوجدنا أن المولى عز وجل -وهو القادر على كل شيء- يبـين لهذا المخلوق قدرته في كل الأزمنة وكل الأمكنة مستعملا توضيح الشيء بضده، يقول تعالى:

**"تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ"**(3). و كقوله: **" قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**(4).

(1) المرجع السابق
(2) نفســه
(3) الآية 27 من سورة آل عمران
(4) الآية 26 من سورة آل عمران

هذا التقابل الحاصل بين الألفاظ هو الذي جعل كل لفظة توضح الأخرى ، ولهذا قالوا: وبضدها تتميز الأشياء . والعنصر الجماليُّ في الطباق ، هو ذاك التلاؤم الذي تستصيغه الأذهان ، باعتبار أنّ المتقابلات توضح بعضها البعض أقرب لفهم المتلقي ، ولذا تأثيره يقع مباشرة على الإنسان ، فيحرك وجدانه ، وشعوره وإحساسه ، ويدفعه إلى العمل والفلاح.

**2*الطّباق المجازيّ :**

مثل قوله تعالى:" **أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**" (1).

والمقصود به هنا أنه مثل الذي هداه الله بعد الضلالة ومنحه التوفيق لليقين الذي يميز به بين الحق والباطل أو بين والمهتدي والضال ، بمن كان ميتا فأحياه الله ، وجعل له نوراً يمشي به في الناس مستضيئاً به ، فيميّز بين الخير والشر ، ثم من بقي على الضلالة في الظلمات لا ينفك منها ولا يتخلص و هذا طباق مجازي ، أي من كان ضالاً فهديناه ، فالموت والإحياء هما الضلال والهدى ، وهذا على وجه المجاز . هي نفس الصورة حين يذكر في بيت سابق البربري:

وَالذكرُ فيه حَيَاةٌ للقُلُوب كَمَا ... يُحيي البِلاَدَ إِذا مَا مَاتتِ المَطَرُ(2)

فالذكر هنا يحيي القلوب الميتة أي يهديها بعد أن كانت ضالة . فالحياة هنا معناها الهداية والموت الضلالة وقد استخدم هذا المحسن البديعي الشعراء الأوائل كقول أبي تمام:

وَتَنَظَّرِي خَبَبَ الرِّكَاب يَنُصُّهَا ... مُحْيِ القَرِيضِ إِلَى مُمِيتِ المَالِ.(3)

ومعنى: (تنظري) ترقبي وانتظري ، ويقصد بـ(محيي القريض) نفسه ، وبقوله: (مميت المال)

---

(1) الآية 122 من سورة الانعام.
(2) د.بدر ضيف . "شعر سابق بن عبد الله البربري". دار الوفاء لدنيا الطبع والنشر.2004 الاسكندرية-مصر ، ص109
(3) ديوان أبي تمام.

الممدوح ؛ لأنه لكرمه كأنه يُميتُ ماله ، وكما ترى اللفظين مستعملين في غير معناهما الحقيقي أي أنهما مجازيين.

إن شعر الزهد المغربي غالباً ما يكون خالياً من المُبالغة والتّعقيد كما لاحظنا ، ويمتاز بوضوح المَعاني وبساطتها وعدم التكلّف ، ويعتمد على وحدة بيت الشّعر وليس وحدة قصيدة الشّعر كاملةً ، يقـــوم على اهتمام الشّخص بتصوير شخصيّته ، ونفسيّته ، ومشاعره . قد يلاحظ الدارس ألفاظا سهلة ، بســــيطة في القرون الأولى من الفتح الإسلامي قد يرجع ذلك لسبب أو لآخر ، لكن أسلوب الشعراء بعد ذلـــك تغير بصورة ملحوظة وكانت أشعارهم تغلُب عليها الحركة والكثير من الحيويّة ، وأغلب القصائد تكون مُحتويةً على الكثير من الأفكار والمعاني والمواضيع ، وقصائد مطولة على عكس ما كان في البداية . فالشاعر المغربي في قصيدته الزهدية إذن لا يريد بها مخاطبة الملوك فقط ، و أصحاب الجاه والسـلطان ، حتى يزهدوا في الدنيا فهؤلاء على الرغم من أنهم مشغولون عنه بأمور دنياهم ، وقد لا يكترثوا لـــــه ولا لقصـائده ، وقد لا يجــد منـهم أي تشجيع أو عون ، إلا أنه يريد مخاطبة جميع الناس أي حــتى الطبقة الشعبية . فمـــــن هنـا كـان عليه أن يختـار اللغـة القريبـة إلى أفهـام الجميع وذلـك ليـتمكن مـن التـأثير علـى نفوسـهم ، وقلـوبهم ويبث بينهم رسالته التي يـؤمن بهـا .

ولغة الزهد تعتمد أصلا على العاطفة التي يبدعها الزاهد أو الشاعر الزاهد فهي تنبع من القيم والمبادئ الإسلامية التي هي فطرة في الإنسان ثم إن هذه القيم هي تراث متواتر عن الأوائل ، فشـــعره يمثل فكره فهو لا يتحدث من فراغ فهذه الأفكار والموضوعات التي يطرحها شعرا هو يعيشها في كل لحـــظة ، ألا ترى أخي القارئ أنه يعبر عن هاجس المـــوت وأن على كل إنسان أن يتذكر الموت في كل لحظة وأن يتـــفكر في الأمم السابقة كيف انتهت وأن يقف على القبور و أن يتأمل في من هم بداخلها ، وبالتـالي فعليه أن لا يكلف بالدنيـا فـــتغريه وتفتنه بل عليه أن يعتبر ويتعظ وأن يذكر الدار الباقية كل حين وأن يتـــــزود لها مصـــداقا

لقوله تعالى :"يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ، وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ" (1)

أما طباق السلب وهو مثل قوله تعالى: " قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وهنا الطباق بين النفي و الإثبات .في " يعلمون " ونفيها " لا يعلمون". ومثال ذلك من الشعر المغاربي ، قول سابق البربري :

ويَغسِلُ ما بالجِلدِ مِن ظَاهرُ الأذى　　　وَلاَ يَغـــسِلُ الذَنبَ المخالف غَاسلُه(1)

ظهر الطباق في لفظة " يغسل " ونفيها "لا يغسل".

وقول عبد المؤمن بن موسى المديوني(ت746هـ):

وقيل يا أيها العاصي نسيـت ولـم　　　ينس الرفيقان ما خاطا وما كتبـا(3)

ويظهر الطباق في كلمة "نسيت " ونفـــــيها "لم ينس".

المثالان الأَخيران كل منهما مشتمل على فعلين من مادة واحدة أَحدهما إيجابي والآخر سَلبي ، وباختلافهما في الإيجاب والسلب صارا ضدين ، ويسمّى الجمع بين الشيءِ وضده في الأَمثلة المتقدّمة وأَشباهها طباق السلب .و مصدر الجمال في الطباق أو المقابلة هو إثـارة الانتبـاه إلى الفكـرة ، وإيقـاظ الشـعور للموازنـة بـني الشيء وضده ، وفي ذلك تحقيق للإمتاع الفني وتوكيد المعنى ، وإرساؤه في النفوس كـما يـزداد بـه الأسلوب جمالاً ووضوحاً.

(1) الآية 5 من سورة فاطر.

(2) د.بدر ضيف . "شعر سابق بن عبد الله البربري". دار الوفاء لدنيا الطبع والنشر.2004 الاسكندرية–مصر ص109"

(3) بوزياني الدراجي " أدباء وشعراء من تلمسان" دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع . الجزائر 2011 - ج4 ص18

- **الإيقاع في شعر الزهد المغربي :**

لعل كل من يتحدث عن الايقاع في الشعر العربي لابد أن يرسمه في تلك المقاطع المتكررة وهذا يحدث في جميع اللغات و" العربية من أغنى اللغات البشرية إطلاقا بالإيقاع الذي يجعلها لغة شعرية بالطبيعة "(1) وقد يرقى هذا الإيقاع في البيت ولا يرقى في بيت آخر ، ثم إن أذن المتلقي هي التي تمدد مواقع هذه الموسيقى في الشطر ثم في البيت ثم في النص كاملا. ولنأخذ نماذج عن هذا الإيقاع أوالتكرار أوالموازنات الصوتية التي حدثت عند شعراء الزهد الذين كانت من مواضيعهم تدور حول التوجع والحسرة والتألم والبكاء والاعتبار والتأمل والنصح والوعظ و التذكر و الخوف ... و من هذا التكرار نأخذ قول الصواف :

سَأَلْبِسُ لِلِصبْرِ ثَوْبًا جَمِيــلًا     وَأَفْتِلُ لِلِصَـــبْرِ حَبْـلاً طَوِيلًا
أَصْبِــرُ بِالرُغْمِ لَا بِالرِضَــــا     أُخَلِــصُ نَفْسِي قَلِيلًا قَلِيــلًا (2)

إن التكرار الذي استعمله شعراء الزهد هو نابع من الضغط الذي يعانيه الشاعر فهو في الحقيقة انفعال قوي عبر عنه هذا الشاعر للوصول إلى فكرة معينة ، فالصــواف ذكر الأصل " صبر" ثلاث مرات فالصبر هو المادة الأساسية في النص و هذا الصبر هو الحل الوحيد حين تغيب الحلول للخروج من المآزق و الحرج و الخطوب ، فالصبر هو مفتاح الفرج والله مع الصابرين و الصبر سبيل الزاهدين كل هذه الثقافة الدينية استنبطها الشاعر و نسجها في تلك الأبيات ثم إن هذا الحل أو الخلاص كما عبر عنه الشـاعر لا يأتي دفعة واحدة بل هو شيء عسير و لا بد أن يمر بفترات متعاقبة ( قليـلا- قليــلا). ويعد تكرار الحرف- عند الشعراء ظاهرة فنية تبعث على التأمل، والاستقصاء لاسيما إذا أدركنا أن تكرار الحروف ينطوي على دلالات نفسية معينة ؛ منها التعبير عن الانفعال ، والقلق، والتوتر، وهذا يدلل على الحالة الشعورية لدى الشاعر وما يعانيه ضمن النسق الشعري الذي يتضمنه ، كما أنه يحدث أثرا في نفس السامع تكمن في نغمة موسيقية

---

(1) عبد المالك مرتاض. الأدب الجزائري القديم (دراسة في الجذور) دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع . بوزريعة/ الجزائر 2005. ص200
(2) العربي دحو ."الأدب العربي في المغرب العربي" ص 250.

لافتة للنظر ، ومنه فتكرار الصوت يسهم في تهيئة السامع للدخول في أعماق الكلمة الشعرية نرى ذلك في قول إبراهيم الساحلي حين يعبر عن قناعة المرء :

إياكَ والإِســفَاف لِلأَطمَاعِ    قنَاعَةُ المَــــرءِ مِنَ الإِقنَاعِ
فِي مَا ادّعَى مِن كَرَمِ الطِّبَاعِ    وَعافَ مِن يِذْلَةِ الإِنتِــجَاعِ
تاللّهِ مَا الإِصْرَارُ كَالإِقْـلاَعِ    انْخَفضَ الوَهْدُ عَن اليَفَاعِ
عَاريَةُ العُمْرِ إلَى ارْتِـجَاعِ    وَصِــلَةُ الحَبلِ إلىَ انْقطاعِ
وَاهاً لأسماعٍ بِلاَ استِـماعِ    وَأنفــسٍ تَرضَى بِالانخدَاعِ
دَعِ الوَفَا وَجدّ في الزمَاعِ    إنّ الفِـطامَ عَقـبَ الرَضَاعِ (1)

فقد وقع التكرار لحرف العين في كل عروض وكل ضروب من هذه المقطوعة وهو من التكلف الذي استعمله الشاعر إبراهيم

.....................................ع    ...........................................ع
.......ع.............................ع    ..ع.......................................ع
......................................ع    ...........................................ع
ع...........ع....................ع    ...........................................ع
..................ع..............ع    ..............................................ع
...ع..................................ع    ..............ع...........................ع

وكما هو معروف فإن حرف العين هو حرف حلقي لا تكلف في نطقه لكن التكلف في إيجاد الكلمات التي تحويــه وهو يحسب للشاعر وبراعته. ذلك أن الشاعر من خلال تكرار بعض الكلمــات والحروف والمقاطع والجمل، يمد روابطه الأسلوبية لتضم جميع عناصر العمل الأدبي الذي يقــدمه ليصل ذروته في ذلك إلى ربط المتضافرات فيه ربطاً فنياً موحياً ، منطلقاً من الجـــانب الشعوري ومجسداً في الوقت نفسه الحالة النفسية التي هو عليها ، والتكرار يحقق للنص جانبين : الأول

(1) ) يوسف عطا الله " شعراء العرب –المغرب والأندلس "دار الأهلية للطبع– عمان –الأردن.2007–ص40

ويتمثل في الحالة الشعورية النفسية التي يضع من خلالها الشاعر نفسه المتلقي في جو مماثل لما هو عليه، والثاني: ( الفائدة الموسيقية)، بحيث يحقق التكرار إيقاعاً موسيقياً جميلاً، ويجعل العبارة قابلة للنمو والتطبيق، وبهذا يحقق التكرار وظيفته كإحدى الأدوات الجمالية التي تساعد الشاعر على تشكيل موقفه وتصويره ؛ لأن الصورة الشعرية على أهميتها ليست العامل الوحيد في هذا التشكيل.(1).

**ولنلاحظ المرارة التي يعيشها الشاعر** عيسى بن مسكين **والحزن ظاهر عليه من خلال نصوصه الشعرية و القلق باد عليه من خلال** هذه الأبيات :

**لِعُمْرِكَ يَا شَـبَابِي لَوْ وَجَدْتُـــــكَ ... بِـــمَا مَلَكَتْ يَمِينِي لارْتَجَعْتَكَ**

**وَلَوْ جُعِلَتْ لِي الدُنْـــيَا ثَوَابًـــــا ... وَ مَا فِيهَـــا عَلَيْكَ لَمَا وَهَبْتُك**

**فَقَدْتُك فَافْتَقَـــدْتُ لَذِيـذَ نَوْمِــــي ... وَطَـــيْبَ مَعِيشِي لَمَا فَقَدْتُـك**

**وَنَحْتَكَ وَاِنْتَحَبْتُ عَلَيْـــــكَ دَهْرًا ... فَلَمِ تُغْنِ النِيَـاحَةُ حين نُحْتُكَ(2)**

إن الإيقاع الذي حدث في هذه المقطوعة شكلته التكرارات التي وقعـت من نفس الشاعر عندما صور لنا تلك الوضعية التي يعيشها حيث لا يستطيع أن يـسترجع ما تريده ذاته ولابد لها أن تسلم بالواقع وضيع الزمن ، فكلمة " لو" تكررت مرتين وحـرف الكاف المتأخرة تكرر على هذا النحو :

.......ك............................ ... ك...............................

.................................... ... ك...............ك.............

......ك............................ ... ك...............................

......ك................ك......... ... ك...............................

إن التكرير في الحروف له دورا بارزا في إحداث النغم والنبر المواتي للمعاني التي يريدها الشاعر

(1) ينظر الجيار، مدحت،- الصورة الشعرية عند أبي القاسم الشابي ، دار المعارف ، مصر،1995 ، ط2،ص47

(2) العربي دحو ." الأدب العربي في المغرب العربي" ص250

في أغراض قصائده ، ومن أهم الحروف التي لعبت هذا الدور حر ف **الكاف** وهو من الحروف التي تخرج من أقصى اللسان ، وقبل مخرج صوت القاف بقليل ، المجهورة القوية ، يحدث تأثيرا قويا في المتلقي ، ويتطلب جهدا من المتكلم .

هذه الكاف المتكررة هي دليل التخاطب وتوجيه الكلام لهذا الشيء المجرد الذي لا يمكن لمسه واسترجاعه وتكشف عن معاني التأسي والحسرة والألم التي تظهر كذلك تردد لفظه " لو " التي تفيد إلى أسلوب التمني الذي يهدف إلى كيفية الخلاص ، والشـاعر يعلم أن مخاطبة الماضي هي غير مجــــدية فكثيرا ما اشتكى الشعراء قبله غدر الزمن . وإن لقدره يظهر بعد مروره ، نلاحـظ كذلك التكرار عند **بن مسكين** لكلمات الفقد التي كانت في صــورة الفعل " فقدتك ، فافتقدت ، فقدتك ".

إن نظرته إلى حاله التي أصبح عليها وظهور عيوبه جعلته يناجي هذا العمر المفقود الذي جعله يفتقد النوم الهنيء والعـــيش الطيب وكل لذائذ الحياة وحتى لو كان الانتحاب دهرا كاملا على هذا الشباب فإن ذلك لا يساوي شيئا منه فأظهر التكرار لمعنى البكاء في أربع مـرات في بيت واحد " نُحْتُكَ انْتَحَبْتُ ، النِيَاحَةُ ، نُحْتُكَ " . لأنها مأساة أكبر من أن توصف ونلاحظ أن الإيقاع الداخلي ظهر في الحرفين الذين تكرروا خمس مرات لكل واحد منهما أي " النون" و "الحاء" في البيت الرابع . وأمام هذا الواقع الأليم انزوى تحته شعراء الزهد وتلك المخاوف التي اكتنزتها أنفسهم يقول **أبوالأحوص أحمد بن عبد الله** :

أَبَوا أَنْ يَرْقُـــدُوا اللَيْـلَ ... فَــــــهُمْ لله قُـــــوَامُ
أَبَوا أَنْ يَفْطِـــــرُوا الدَهْـرَ ... فَـــــــهُمْ لله صُـــوَامُ
أَبَوا أَنْ يَخْدِمُــــوا الدُنْيَا ... فَــــــهُمْ لله خُـــدَامُ (1)

إن التكرار حدث ثلاث مرات في الأبيات الثلاث وليس في البيت الواحــد وذلك لعبارة " أبوا" و عبارة " فهم لله " ، لكن الإيقاع حدث كذلك في هذه المـوازنات الصوتية التي وقعت في

(1) المالكي ،" رياض النفوس "ج 1 ص 528

أواخر الأبيات (قوام ، صوام ، خدام ) ولعلنا نرجع القوة في الوصف لشدة هؤلاء الزهاد وتفرغهم للعبادة. ولنلاحظ هذا التكرار الذي حدث بالحروف التفعيلية في قول الحصري راسما لنا حال الدنيا جاعلها في وضع هين لا قيمة له :

وَإِنَمَا هِيَ أَضْغَاثٌ تَضْـغَثُهَا    خَـوَاطِرُ الوُهْمِ فِيهَا أَيَ تَضْغِيثُ(1)

لقد تكررت هذه اللفظة "أضغاث – تضغثها – تضغيث " ثلاث مرات معلنة نوعا من الإيقاع الداخلي في البيت ، أراد من خلاله الحصري أن يُحقر هذه الدنيا وهي عنده كالوهم لكونه متشبعا بالثقافة الإسلامية (2) ولعـل كثرة مراثيه وتألمه لفقد ابنه جعله يزهد هذه الدنيا و يقول عن المنية :

إِذَا رعَـظَ السَهْــمُ أَوْ عَظْعَظَا    فَسَـــهْمُ المَنِيَةِ لَنْ يَــرْعَظَا(3)

يلاحظ تقارب صوتي بين الكلمات الثلاث " رُعِظَ ، عَظْعَظَا ، يُرْعَظَا " ولعل الإيقاع الحادث في البيت آت منها. ثم إن هناك تكرار آخر ظاهر في حرف " الظاء" الذي تكرر في الكلمات الثلاث أربع مرات وكله متعلق بسهم الموت الذي لن يوقفه أحد ولن تعترضه عارضة . إن هذه الحروف المستعلية المطبقة التي استعملها الحصري نضيف إليها حرف " الظاء " المتكرر في جميع الأبيات كحرف روي . و يتساءل أبوبكر بن عطية (-546) عن متى يستفيق الإنسان من غفلته و إلى متى وهو يظن أنه مازال صبيا لا يعقل :

كَمْ إِلَى كَم أَنْتَ فِي جَهْلِ الصِبَا    قَدْ مَضَى عُـمْرُ الصِـــبَا وَانْقَرَضَا(4)

يتكرر لفظ "كم" مرتين و لفظ " الصبا" مرتين و يوجه أسئلته إلى النفس الغوية التي ما تزال في حرب مع صاحبها إلى أن يمر به الزمن و ينقضي . زمن الصبا و هو في غفلة لا يدري و هناك تقارب صوتي في لفظتي " مضى" و " انقرضا" الواقعتين في الشطر الثاني من البيت . ونظرا لما في تعاقب الليل و النهار- اللذان يمثلان الزمن- من آلام و مصائب و هموم راح الشعراء يتـــــذمرون

(1) الموسوعة الشعرية الإصدار الثالث

(2) الجيلالي سلطاني. من مجلة الفضاء المغاربي. مجلة دورية تصدر عن جامعة تلمسان / العدد الثاني 2004. ص 45.

(3) المصدر السابق

(4) نفســـه

و يشكون منه و يحاولون التغلب عليه في الأيام الباقية ، يقول **أبو عقال** :

فَلَئِنْ مَضَــى صَدْرُ الزَمَان بِصَفْـوَةٍ ... فَلَأَخدَمِنَ لَسَيِــــيدِي المَنَـــان
وَلَأُقطِعَـنَ عَلائِقِـي مِنْ غَيـــــرِهِ ... حَتَى أَحِـــلَ بِسَـــاحَةِ المَيْـدَان
وَلَأَنْفِيَنَ مَطَامِعِـــي وَ مَلابِسِـــي ... وَلَأَمْنَـــعَنَ مِنَ الكَلَام لِسَانِي
وَلَأَهْجُـرَنَ أَحِــبَتِي وَ مَعَـــــارِفِي ... وَلَأُقَطِـــعَنَ عِصَــابَةً المَجَـان
وَلَأَبْكِيَنَ عَلَى الصِـــبَا وَ لَم مَضَى ... مِنْ غُرَتِـــي فِي سَالِفِ الأَزْمَان(1)

إن الموازنات التي حدثت عند **أبي عقال** و تعلق في ذهن المتلقي هي الصورة الشبيهة بالقسم المتمثلة في الأفعال " لأقطعن – لأنفين – لأهجرن و لأبكين " على وزن " لأفعلن " المردوفة بحرف العطف " الواو" كل مرة ، حدثت في صدر كل شـــطر أول من هذه الأبيات الأربعة ، و لعل ذلك راجع إلى تحسره على ما فات فسوف يمنع لسانه من القيل و القال و سوف لا يفتخر بملابسه و سوف يبتعد عن عصابة الأصحاب ثم في الأخـــير سيبكي على ما مضى و سيطلب العفو من مولاه و هو حسن الظن فيه . و يسلم أمره إليه و من هذا المغزى الأخير يكون حال **حمديس القطان(-289)** :

بِيَــــــدِ الله دَوَائِـــــي ... الذِي يَــــــعْلَمُ دَائِـي
إِنَمَا أَظْلِـمُ نَفْسِـــــــي ... بِاتِبَــــــاعِي لِهَــوَائِـي
كُلَمَا دَاوَيْـــــــتُ نَفْسِي ... غَلَــبَ الدَاءُ دَوَائِـــــي(2)

إن كلمتي " دواء " و " داء " المتضادتين في المعنى إلا أن بينهما موازنة صوتية ، تمثلت في نسق إيقاعي بين العروض و الضرب تمثل في اشتراكهما في حرف الروي في البيت الأول كما أن ياء النسبة أضفت نوعا من الموسيقى الخاصة لهذه الأبيات الشهيرة . والشاعر مسلم بقدر الله ، وله رؤية خاصة لتلك الأدوية و لننظر إلى بعض أبيات **أحمد بن أبي سليمان** حين يقول :

---

(1) العربي دحو ،" الأدب العربي في المغرب العربي" ص 258

(2)المرجع نفســـه ص239 ، وينظر " شجرة النور الزكية" ج1 ص71

أَرَى يَـــوْمًا يَجِيءُ كُلُّ خَيْـــرٍ وَيَوْمًـــا بِالحَوَادِثِ مُسْتَطِيرَا
كَذَا أَحْـــوَالُ دَهْرِكَ حَالَ أَمْـــنٍ وَحَـالَ تُجْزِعُ البَطَلَ الجَسُـــورَا(1)

لقد تأمل الشاعر الحياة الدنيا فأحسن تأملها . وأحس بتغيرها و تجددها وتقلبها ( يوما – و يوما)وبالرغم من أن كل يوم هو عكس اليوم الآخر إلا أن هذا التكرار الحادث أحدث وقعا إيقاعيا داخل البيت ، كذا نلاحظ ذلك في لقطة " حال " التي جاءت جمعا مرة ومفردة مرتين في بيت واحد وهو بحسه المرهف قد لمس قساوة الحياة على ذات الإنسان، فهو في عمقه ليستهجن هذه الدنيا ويمقتها لخداعها وتلونها ولعدم ثبلتها على ما هو أفــضل لهذا الإنسان الذي قد مر عليه الزمن وندم عليه .

فَصَارَ يَـوَدُّ أَنْ لَوْ كَانَ أَضْـــحَى عَلَى تَـــفْرِيقِ مَا يَحْوِي قَدِيرًا
وَعَادَ يَــوَدُّ أَنْ لَوْ كَانَ أَمْـــسَى وَلَيْسَ بِمَـــالِكٍ مِنْهُ نَقِيـرًا (2)

لكن أنى له ذلك و قد مضت مدته ، فأصبح يرجو أن يرجع به الزمن ليصحح الأمـــور ويضع الموازين في مكانها ، لكن رجاؤه الذي يأمل منه لو ينتفي ما فعله في سابق أمره .

وعبارة " يود لو كان " المتكررة أنبأت المتلقي أن الشاعر يعيش في صراع مستـمر مع نفسه و كما أن هذا الإيقاع الحادث هو تعبير عن خيبات الأمل التي تلاحق الإنسـان على مدى حياته .

ولنختم هذه النماذج التي حاولنا أن نحدد من خلالها تلك الموسيقى الداخلية التي تمثلت في التكرار الحادث داخل البيت الواحد أو البيتين بهذا البيت لصاحبه **أبو عبد الله محمد بن زرزر** الذي تجلى شعره في محاربة الانحلال العقائدي آنذاك (3).

وَأَيْقَنَ المُـشْرِكُ الدَاعِي لَـــهُ وَلَدًا بِأَنَ اللَـــهَ لَمْ يُولَدْ وَ لَمْ يَلِدْ (4)

لقد تشبع الشاعر بالثقافة الدينية التي جعلت شعره يتناص مع الــقرآن الكريم وهذا

(1) العربي دحو ،" الأدب العربي في المغرب العربي" ص 254
(2) نفســــــه
(3) رابح بونار ، المغرب العربي تاريخه و ثقافته ص 116
(4) نفســــه

التكرار الذي حدث في الأصل " ولد" والذي تمثل في "ولد ، يولد ، يلد ، لابد أن يـجـــــعل المتلقي يختصر البيت في هذا المعنى الولادة التي تجعله يدعي للواحد القهار الذي يخلق كل شـيء ومن جهة أخرى يلاحظ نوع آخر من الإيقاع الداخلي تمثل في تكرار المد أو المصوتات الطويلة (1) **يقول بن عمروس** :

أَيَـا نَفْسٍ قَدْ أَثْقَلَتْنِـي بِذُنُوبِـــي     أَيَا نَفْـــسٍ كُفِي عَنْ هَوَاكِ وَتُوبِي

كَيْفَ التَصَابِي بَعْدَمَا ذَهَبَ الصِبَا     وَقَدْ مَلَ مُـــقْرًا فِي عِتَابِ مَشِيبِي(2)

و يقول **أبو عقال** :

لَاحَ الَمشِيبُ بِلَمَتِـي فَنَعَــــــانِي     وَنَفَى الصِبَا عَنِي وَذَمْ عِنَّـانِي(3)

ويقول **أمية بن أبي الصلت** :

حَسْـبِي فَكَمْ بَعَدْتُ فِي الله أَشْوَاطِي     وَطَالَ فِي الفَنِ إِسْرَافِي وَإِفْرَاطِي(4)

إن حالة الاضطراب التي يعيشها الشاعر والألم الذي يتخبط فيه فيأتي المد الصوتي الذي هو يوضح للسامع هذه الصورة التي تقع في نفسه إثر ذاك التصويت الطـويل الذي تمثل في الواو والألف والياء . تدل على التشكي من حال الدنيا ومـــــعاتبتها " إذ كان المتوجع محكوما عليه في مـعظم الأطوار برفع عقيرته ويفتح فمه لإسماع شكـــــواه والتعبير عن بلواه " (5). ولعل التكثير من المد الصوتي يجعل في البيت رنينا داخـليا ثم أن بعض هذه الألفاظ جاءت جموعا (ذنوبي ، أشواطي) وهي دالة على التـكرار والكثرة .

---

(1) صبحي البستاني." الصورة الشعرية في الكتابة الفنية ". دار الفكر اللبناني بيروت لبنان – ط1 . 1986 ص 51.
(2) العربي دحو ." الأدب العربي في المغرب العربي" ص 239.
(3) نفســـــه
(4) الخريدة ج2 ص 456.
(5) عبد المالك مرتاض. "الأدب الجزائري القديم (دراسة في الجذور)" دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع . بوزريعة الجزائر ص 219.

## - الوزن و القافية و الروي :

1. **الوزن** : إذا أمعنا النظر في أبيات هذه المدونة فعلى الأرجح نجد جل شعرائها فـي حالة خوف وجزع أوحالة يأس أو تحسر وبكاء وندم أو قلق واضطراب دائمين ، ولـما كان الوزن أعظم أركاني حد الشعر.(1) أو هو جثمان الشعر(2) فقد يتخير الشاعر لذلك وزنا طويل المقاطع يبث فيه أحزانه وعواطفه عموما وقد يتخير وزنا قصيرا يحصر فيه انفعاله مرة وهـدوءه مرة أخرى ، يضع به موسيقى تعبر عن كل تلك الأحاسـيس والأشجان والتموجات النفـسية الحزينة التي ينتج عنها نبرة انفعاله فيكون لذلك نبرة خاصة كمثل قول **أبي عقال** :

مُنَايَ وَتَسْـــوِيفي بِنَفْسِي أَذُلُّهَا وَأُعَلِمُـــهَا فِيمَا عَلَيْهَا بِمَالِهَا (3)

هذه التفعيلة قد جعلت للغصب من تلذذ النفس بالحياة و نسيان مصيرها أو كمثل قول **بكر بن حماد:**

لَقَدْ جَمَحَتْ نَفْسِي فَصَدَتْ وَأَعْرَضَـتْ وَقَدْ مَـرَقَتْ نَفْسِي فَطَالَ مُرُوقُهَا(4)

أو تكون هادئة قد رضيت بمصيرها واستسلمت لفعل الزمن متأملة في هذا الوجود فيجعل هذا الشاعر لذلك نبرة خاصة كمثل قول :

**أمية بن أبي الصلت،** حين يقول في آخر أبياته الطائية :

نَعَمْ وَمَالِي مَا أَرْجُو رِضَـاكِ بِــهِ إِلَا اِعْـتِرَافِي بِأَنِي الْمُذْنِبُ الخَاطِي (5)

وقد تلونت كل عاطفة لدى شاعر بوزن من الأوزان المختلفة . وقد ألفينا فيما ألفيناه من أبيات شعرية لهذه الفترة عددا من الأوزان الخليلية المعروفة كالطويل و الكامل وغيرهما. وقد أعاقني عدم التأكد من صـــــحة جمعها من أن أذكر بالضبط العدد الصحيح لكل بحر في هذه المـدونة أو النسبة المئوية لكل بحر من مجموع البحور المستعملة في هذا الغرض.

(1) ابن رشيق . "العمدة "ج1 ص 134.
(2) "الشعر غاياته ووسائطه" ص70
(3) العربي دحو." الأدب العربي في المغرب العربي " ص 259.
(4) المرجع نفسه ص 187.
(5) "الخريدة "ج2 ص 456

## 2- القافية :

قال عنها **إبراهيم أنيس** :" ليست القافية إلا عدة أصوات تــتكرر في أواخر الأشطر أو الأبيات من القصيدة ، و تكررها هذا يكون جزءا هاما من المـوسيقى الشعرية (1) وقد جاءت عند شعراء الزهد المغـــاربة بنوعيها مقيدة أو مطلقة حسب حرف الروي المنوط بها .

وقد لا حظنا من خلال هذه المدونة التي لدينا كثرة القافية المطلقة : و لـما كان الشعر هو تعبير عن العواطف الكامنة النفسية ، كانت حزينة أو غير ذلك وُجـدت هذه الكثرة للقافية المطلقة التي جعلها الشعراء عامة مشبعة للنفس تكتمل معها صــرختهم واستغاثتهم ولا تبترها ومن مثل هذه القافية المطلقة عند شعراء الزهد المغاربة ، كقول **سابق البربري**:

**قس بالتجاربِ أحدَاثَ الزَّمَانِ كما   تَقِيـــسُ نَعلا بِنَـــعلٍ حين تَحذُوها**

**أينَ المُلُوكُ التي عن خَطبِها غَفَلَت   حتى سَقَاها بكـــأسِ المَوتِ ساقيها(2)**

أو قول **بكر بن حماد** .

أَيْـــنَ البَقَاءُ وَهَذَا المَوْتُ يَطْــلُبُنَا   هَيْـهَاتَ هَيْهَاتْ يَا بِكْرَ بْنَ حَمَاد(3)

و قول **الحصري** :

وَأَنَّ المَنَـــايَا لِيُدْرِكَـــنَ مَـنْ   وَنَـــى فِي الطَرِيقِ وَمَنْ أَرْكَظَا(4)

أو كقول **إبراهيم بن محمد بن علي التازي**:

شُرورُ نَفسكَ باعدهَا تُصب رَشدَا   فَمَن يُطِع رَبَهُ والمصطفَى رَشَدَا

دُنيَاكَ دَار غُرورٍ حبُها سَفَـــــــهٌ   رَأسُ الخَطايَا فَمن يُغرَم بِهَا بَعُدَا(5)

---

(1) إبراهيم أنيس ،" موسيقى الشعر" ص 246.

(2) د . بدر ضيف ، "شعر سابق بن عبد الله البربري." دراسة وتحقيق – دار الوفاء –الاسكندرية– مصر 2004 ص136

(3) رمضان شاوش "الدر الوقاد" 80.

(4) الموسوعة الشعرية –الإصدار الثالث–

(5) ابن مريم ، البستان ص61

فلا ترجُ من دنياك وداً وإن يـكن　　　فما هو إلاّ مِــــثل ظِلِ سَحَابِ (1)

ولعل شعراءنا هنا في هذه المدونة لم يبتعدوا أو لنقل لم يخرجوا عن المألوف فيما يخص القافية المقيدة وعدم إكثارهم منها في شعرهم . فقد كان اعتمادهم في تعبيـراتهم على القافية المطلقة ربما للأسباب التي ذكرناهم أو لأسباب لا نعرفها . ومن مثل هذه القافية المقيدة قول **عيسى بن مسكين**

لَعُمْرِي يَا شَبَابِي لَوْ وَجَـــــدْتُكَ　　　بِمَا مَلَـــكَتْ يَمِينِي لَارْتَجَعْتُكْ(2)

أو قول **بن عبد ربه** :

**لَوْ لَمْ يَكُنْ لَكَ غَيْرُ المَوْتِ مَوْعِـظَةً　　　لَكَـــانَ فِيهِ عَنِ اللَذَاتِ مُزْدَجِرْ** (3)

(1) د/ طاهر توات ، "ابن خميس شاعر تلمسان الأكبر" ، دراسة نقدية – دار الأوطان –الجزائر.2011- ص429

(2) العربي دحو . "الأدب العربي في المغرب العربي" ص 238

(3) "بغية الملتمس "ج1 ص 195.

### 3. الروي :

هو الحرف الذي يلزم تكراره في آخر كل بيت من أبيات القصيدة **وهو الحرف الرئيسي في القافية** ويعرف الروي بأنه الحرف الذي تبنى عليه القصيدة و تنسب إليه حين يقال رائية فلان أو لامية فلان أو بائية فلان ... وإذا تغير أحد أحرفها ، أو حركته يكسر القصيدة ، ويُعدُّ عيباً ، ويحط ُ من هيبة الشاعر ومنزلته ، وخصوصاً إذا تكرر هذا العيب مراراً .

ولقد جاء شعر الزهد عند المغاربة الذي تم لنا جمعه مشتملا على كثير من حروف الهجاء التي وردت رويا سواء أَنَدُرَ ذلك عند العرب أم كَثُر *(1) وقضية اختيار حرف الروي لقصيدة ما أو مقطوعة ما فهذا راجع إلى ذوق الشاعر و إحساسه العميق بتلك الموسيقى النابعة من قصيدته التي سوف تؤثر على المسامع وتجذبها نحوها في نهاية كل بيت من القصيدة .

ثم إن الروي هذا هو العنصر الأساسي في تشكيل القافية التي يشكل معها ضمن تكرارهما ذلك الإيقاع الموسيقي الخاص بالقصيدة .

وإذا أردنا نقوم بإحصاء ولو نسبي فإن هذه المجموعة الشعرية التي تم لنا جمعها فقد اشتملت على 25 حرفا استخدمها الشعراء وقد يأتي أكثر من حرف رويا عند شاعر واحد .

و نوضح من خلال هذا الجدول قضية ورود حرف الروي حسب كثرته أو قلته ونسبة ذلك في هذه المدونة :

(1) ينظر ابراهيم أنيس." موسيقى الشعر" ، في تقسيمه للحروف الواردة رويا عند الشعراء فالراء مثلا كثيرة و الظاء نادرة ، ص 248.

| حرف الروي | عدد المرات في المدونة | نسبة وروده في المدونة |
|---|---|---|
| الراء | 43 | ٪ 21.18 |
| الدال | 30 | ٪ 17.53 |
| الباء | 29 | ٪ 14.28 |
| اللام | 18 | ٪ 08.86 |
| الهاء | 19 | ٪ 09.35 |
| الياء | 08 | ٪ 03.94 |
| الميم | 09 | ٪ 04.43 |
| النون | 11 | ٪ 05.41 |
| الضاد | 05 | ٪ 02.46 |
| الكاف | 04 | ٪ 01.97 |
| الصاد | 05 | ٪ 02.46 |
| التاء | 05 | ٪ 02.46 |
| الطاء | 03 | ٪ 01.47 |
| العين | 03 | ٪ 01.47 |
| الغين | 02 | ٪ 00.98 |
| الثاء | 02 | ٪ 00.98 |
| الفاء | 03 | ٪ 01.47 |
| القاف | 05 | ٪ 02.46 |
| الظاء | 02 | ٪02.46 |
| الجيم | 02 | ٪ 00.98 |

| السين | 03 | ٪ 01.47 |
|---|---|---|
| الهمزة | 01 | ٪ 00.49 |
| الشين | 02 | ٪ 00.98 |
| الحاء | 01 | ٪ 00.49 |
| الواو | 02 | ٪ 00.98 |

يتصدر هذه الحروف "الراء" كحرف روي بنسبة مئوية مقدرة بـ: 21.18٪ . وبعدها حرف "الدال" بنسبة مئوية مقدرة بـ: 17.83٪ ثم تأتي بعدها الحروف "الباء" و"اللام" و"الهاء" بنسب متقاربة تليها الحروف: "الميم " و"النون" و"الياء" و"الضاد" . وتتأخر حروف "الحاء" و"الشين" و"الهمزة" والمدونة هي عبارة عن تنوع في أحرف الروي من كثيرة الاستعمال إلى متوسطة الاستعمال إلى قليلة الاستعمال .

ونستطيع أن نقول أن شعراء الزهد المغاربة قد نظموا قصائدهم ومقطوعاتهم على حروف الهجاء التي نظم عليها الشعراء العرب عموما شعرهم وكانت عندهم كما أسلفنا 24 حرفا وأهملت بعض الحروف . لا نجزم أنها غير موجودة لكن الواقع أنها نادرة .

### - التصريع :

التصريع محسن بديعي بالسجع الذي فيه من جهة ثم الوزن من جهة ثانية فهو بذلك من أجمل المحسنات البديعية باعتباره جمع بين شقين في شق واحد ووقعه في الأذن ليس بخاف على أحد .

إن التصريع هو نوع من الموسيقى التي يحدثها الشعراء على أشعارهم فيحدث رنينا خاصا يود السامع أن يتلقاه مرارا وتكرارا . والتصريع هو كما قال **قدامة بن جعفر** " تصيير مقطع المصراع الأول في البيت الأول من القصيدة مثل قافيتها" (1) . وغير بعيد عن هذا المعنى يقول ابن رشيق :

(1) قدامة بن جعفر ." نقد الشعر" ص 51.

" فأما التصريع فهو ما كانت عروض البيت فيـه تابعة لضربه ،تنقص بنقصه وتزيد بزيادته " (1) . وقد وجدناه عند شعراء الزهد وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أن الشعراء المغاربة قد ساروا على نهج اللغة العربية التي سادت المشرق قبل الإسلام و بعده يقول **حمديس القطان** :

يِـــــــيَدِ الله دَوَائِـــــي الذِي يَعْــــــلَمُ دَائِي (2)

إن هذا البيت الذي أحدث رنة قوية في أذن السامع حين حدث ذلك التكرار في آخر كل شطر وقد أضفى هذا التصريع موسيقى رنانة حملتها تلك الأصوات المتشابهة والـتي شكلت لفظين متجانسين تمثلا في : " دَوَائِي " و " دَائِي" ، هذه النماذج تكررت عند كثيرين يقول **أبو عقال** :

قَرِينُ الحُــزْنِ ذُو هَمٍ يَجُـولُ أَخـــُو سَهْلٍ إِذَا نَامَ الغَفُولُ (3)

ويقول :

لَاحَ المَشِيبُ بِلَهَتِي فَنَعَــــــانِي وَنَفَى الصِبَا عَنِي وَذَمَ عَنَانِي (4)

ويقول **عيسى بن مسكين** :

لَعُمْرِي يَا شَبَابِي لَوْ وَجَــدْتُكَ بِمَا مَلَكَتِ يَمِينِي لَا رَتَجَعْتُكَ (5)

لقد تم اشتراك العروض و الضرب عند **أبي عقال** في الحرف القافوي " اللام" في البيت الأول وفي التفعيلة:" فعولن" من الشطر الأول من بحر "الوافر" وتم الاشتراك و التوازن في البيت الثاني في الحرف القافوي " النون". و في التفعيلة : "فاعلن" من بحر :"البسيط" وتظهر هذه الظاهرة كذلك عند الشاعر صاحب النفوذ الكبير في شعر الزهد **بكر بن حماد** في قوله :

(1) ابن رشيق . "العمدة "ج1 ص 173
(2) العربي دحو ." الأدب العربي في المغرب العربي" ص 239.
(3) المرجع نفسه ص 260.
(4) نفسه ص 258 .
(5) نفســه ص 238.

فَيا أَسَفِي مِنْ جُنْحِ لَيْلٍ يَقُودُهَـا وَضَوْءُ نَــهَارٍ لَا يَزَالُ يَسُوقُهَا (1)

لم يكن التصريع عند **بكر** في هذه القصيدة في مطلعها بل كان في البيت الثاني فتلك المقابلة التي كانت بين يقود و يسوق أنبأت عن إيقاعي داخلي تمثل في اشتراك العروض و الضرب في تفعيلة واحدة هي "فعولن" وكان ذلك في الحرف القافوي "الها" و لعل هذا التصريع أنبأنا بتلك النغمات الصوتية التي نشد المتلقي و تجعله يندمج مع صاحب البيت السئ نفسه تراه عند شعراء متأخرين عن هؤلاء المذكورين و قد أتى بعدهم بأزيد من قرنين الحصري حين نجده يصرع في مطلع قصيدته الظـائية :

إِذَا رُعِـظَ السَهْمُ أَوْ عَظْـعَظَا فَسَـــــهْمُ المَنِيَة لَنْ يُرْعَظَـا (2)

لقد اختار **الحصري** هنا تفعيلات "المتقارب" ليبث فيه خوفه و استسلامه لمصيره المحتم و جعل الاشتراك بين العروض والضرب في التفعيلة : "فعولن" في آخر الشطر في حروف من نفس الجنس و مثل هذا التصـــريع الحرف القافوي " الظاء" في كلا الشطرين . وقد أحدث نغما خاصا بقصيدته التي قد اعتُبر (3) حرفها القافوي نادر الورود عند العرب .

وظهر التصريع كذلك عند ابن خميس التلمساني:

أَنـبتُ وَلَكِنْ بَعدَ طُول عِتَـابِ وَفَــــــرْطِ لجاجٍ ضاع فيه شَبَابي(4)

ومما لم نألفه عند عموم الشعراء ألا وهو أن تكون المقطوعة كلها قد جعل صاحبها التصريع سمة جميع أبياتها. كما في قول إبراهيم الساحلي:

إِياكَ والإِســـفَاف لِلأَطمَاعِ قنَاعَةُ المَــــرءِ مِنَ الإِقنَاعِ
فِي مَا ادّعَى مِن كَرَمِ الطِّبَاعِ وَعَافَ مِن بِذْلةِ الانتِــجَاعِ(5)

---

(1) العربي دحو ." الأدب العربي في المغرب العربي" ص 187
(2) الموسوعة الشعرية " الإصدار الثالث".
(3) ابراهيم أنيس ." موسيقى الشعر " ص 248
(4) بوزياني الدراجي " أدباء وشعراء من تلمسان" دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع . الجزائر 2011 –ج2 ص410
(5) يوسف عطا الله " شعراء العرب –المغرب والأندلس "دار الأهلية للطبع- عمان –الأردن.2007-ص40

تاللّهِ مَا الإِصْرَارُ كَالإِقْـلاَعِ — انْخَفَضَ الوَهْدُ عَنِ اليَفَاعِ
عاريةُ العُمْرِ إلَى ارْتِـجَاعِ — وَصِــلةُ الحَبلِ إلىَ انْقطاعِ
وَاهاً لأسماعٍ بِلاَ استِــماعِ — وَأنفــسٍ تَرضَى بِالانخدَاعِ
دَعِ الوَفَا وَجدّ في الزمَـاعِ — إنّ الفِــطامَ عَقبَ الرَضَاعِ (1)

ويعد التصريع من أهم أنماط الإيقاعات الداخلية فهو يسهم في إثراء الحركة الموسيقية اللازمة لبنية القصيدة الفنية لما فيه من تناغم يجعل النفس تتلقاه بالارتياح والقبول.

ويمكن أن نقول أن التصريع هو دليل مقدرة الشاعر وهو دليل التميز للشــعر عن النثر وقد كان حاضرا عند المغاربة في هذا الغرض المأخوذ. وعلى هذا الأساس يصبح التُصريع ذا أهميّة واضحة في خلق الموسيقى الشعرية المؤثّرة على المبدع والمتلّقي معا إذ هو أداة صــوتيّة من حيث الإبداع تتّصل بطبيعة من الانفعال الشعري الُذي يرتبط بإنشاد الشعر، وهـــي من حيث التلُقي تؤثُر في نفوس المستمعين عن طريق الإيقاع النشيط القوي ، ومن هنا نـرى جزءا كبيرا من إعجاب المتلقي يعود إلى موسيقيٌة القصيدة. **كما أن تصريع البيت الأول من القصيدة الشعرية وهو الغالب عند الشعراء على تصريع باقي أبيات القصيدة ؛ ذلك أنّه يســـهل على الشاعر تحديد قافيته كما أنُه يحدث انفعالا خاصا في المتلقي يجعله يصغي أكثر مما يسـمع .**

(1) ننفســـه.


الخاتمة

## الخاتمة

لقد أتممت بإذن الله هذا البحث الذي حاولت من خلاله أن أقرب بعضا من الموضوعات الأدبية في شكل عام . و ذلك في فترة من فترات كان مرت على المغرب العربي ، و لا ندعي أننا استوفيناه حقه . بل كثيرة هي الجوانب التي لم نطرقها و لم ندرجها في هذا البحث لسبب أو لآخر ، و منه يمكن القول أني لم أشبع فهمي و لم أشف غليلي من شعر الزهد المغربي ، و لعل تناثره في كتب التاريخ و كتب الأدب و تبعثره من الأسباب التي تجعل الباحث يتعب في جمع الأشعار و دراستها ، و لقد أصرينا على أن نجمع قدرا منها بشتى أفكاره . و نستكشفها مع القارئ . الذي هو جزء هام و عنصر رئيسي من عملية البحث و منه فهو المعني بهذه النتائج التي خلصنا إليها و رأيناها من خلال هذه المسيرة.

إن كل من أراد البحث في موضوع أدبي أو غير أدبي و لكنه مغربي أو حدث في منطقتنا هذه في فترة من الفترات إلا و اكتشف ذلك التشابك الواقع في أسماء الشعراء و تلك التشابهات الكثيرة التي رأيناها في أمهات الكتب المختلفة ، فهناك مثلا من كان يبدأ بالكنية في تسمية الشاعر و هناك من كان يؤخرها حتى آخر ترجمته و هناك من لم يذكرها.

1. لاحظنا أن شعراء المغرب العربي كان تشبعهم كبيرا بالثقافة الدينية المؤسسة على القرآن و السنة و اللذين حملها لهم أولئك الصحابة الذين تمكنوا من دخول هذه المنطقة و أولئك التابعين الذين جاؤوا إلى المغرب و غايتهم نشر هذا الدين الحنيف ، منضويين تحت راية الجهاد الذي إن دل على شيء فإنما يدل على ترك الدنيا و أهوائها و الزهد فيها و الانصراف إلى الآخرة و لصلاح نياتهم و إخلاصهم كان الانتماء إليهم ليس بالأمر العسير و التزود مما حملته صدورهم ، و منه فالقارئ لأي تأريخ يجد نفسه أمام تلك الألفاظ الدينية الكثيرة . كمحدث و فقيه و حافظ و عالم و الإمام و الزاهد و العابد و غيرها ، فنستشف من ذلك أن هؤلاء الشعراء إنما امتلأت صدورهم

قرآنا قبل أن ننظف حناجرهم شعرا ، و لعلها خاصية اتصف بها المغرب الإسلامي أكثر من غيره.

2. إن الشعر الزهدي المغربي ليس منفصلا عن الشعر الزهدي المشرقي ، فإن سلمنا أن الزهد الذي ندرسه هو الزهد الإسلامي ليس غير فإن من أتى بتلك العقيدة إلى المغرب العربي هم أولئك المشارقة من حفظه للقرآن و الحديث ، و منه فهناك صلة روحية تربط بين المغرب و المشرق لا يمكن فصلها . و إن من هؤلاء الشعراء المغاربة هو أبناء و أحفاد أولئك المشارقة من صحابة و تابعين أو يرجع نسبه إليهم على الأقل و ما كان التشبه بهم واستهواؤهم لحياة الصحابة و التابعين إلا عاملا في ذلك التقارب الشعري .

3. إن شعر الزهد المغربي القديم يمكن صبه في خانة التأريخ الفكري الروحي من جهة و الفني من جهة أخرى لا غير فشعر الزهد الحقيقي لا يمكن ربطه بوضع سياسي أو سلطوي إنما منبثق من أفكار تشبع بها هذا الشاعر أو ذاك فوجب أن نفصله عن زوال الدول أو نشوء دول أخرى.

4. إن فكرة الزمن هي الفكرة الأساسية لدى شعراء الزهد . و هي الطاغية على هذا النوع من الشعر . سواء أكانت ظاهرة في تسمياتها الشائعة مثل : الدهر و الدنيا و عناصرها كالليل و النهار ... أو مبطنة كذكر الموت أو الشيب و ذهاب الشباب أو مجاهدة النفس و لذاتها أو التفكر في القبور و ذهاب الأمم ، و منه فكان اللوم واقعا على الزمن من طرف هؤلاء الشعراء .

5. إن بنية الشكل لشعر الزهد المغربي ظلت بسيطة غير معقدة ، قريبة المعنى من ذهن السامع ووجدانه ، فلا نجد صورة و لا تركيبا بديعيا أو موسيقيا إلا و كان جليا لوجود تلك الألفاظ الفصيحة البعيدة عن الغريب لاعتماد هؤلاء الشعراء على أسلوب خطابي أحيانا سهل و مألوف للسامع.

6. يمكننا أن نقول أن شعر الزهد المغربي الذي وجدناه مبثوثا في تلك الكتب التاريخية لم يخرج عن القواعد الأصلية للشعر العربي أو القصيدة العربية كما عرفها أوائل الشعراء المشارقة أو من ارتبطت بهم هذه القصيدة العمودية من أمثال زهير بن أبي سلمى على سبيل المثال لا على سبيل الحصر و المقصود هنا الشكل الخارجي لها ، فالشاعر المغربي لم يخرج عن تلك الأدران الغالبة في الشعر العربي كالبحر الطويل و البحر الكامل و البحر البسيط...إلخ.
7. إن شعر الزهد الذي وجدناه تعددت مضامينه و توزعت مواضيعه بين الحكمة و الموعظة و النصيحة و شعر التأملات الذي هو جزء من شعر الزهد الذي يمكننا أن نقول إنما الزهد قد يأتي بعد التأمل و التفكر في حال هذه الدنيا ، فتنبثق عنه تلك الهواجس الإنسانية و ذاك الهلع من الموت و الشيب و القبور و ذهاب الأمم فيعظ الإنسان نفسه و يعصيها و يحاربها في لذاتها و شهواتها ، و يجادلها فيما لها و ما عليها. فيطوعها للتلذذ بالقناعة و إعداد الزاد ليوم الرحيل .
8. إن شعر الزهد الذي طرقناه في هذا البحث كان مبثوثا في تلك المؤلفات على شكل مختلف و لم يستو على نمط معين فكنا نجد القصيدة الطويلة و نجد المقطوعة و نجد النتف و نجد حتى الأبيات المفردة ، و لعلها ضاعت من قصائد طويلة أو العكس ، و نشير هنا إلى أنه مازالت هناك أشعار كثيرة خفية و تراث كبير قصرنا في البحث عنه أوضاع منذ زمن لا يمكننا العثور عليه . و هي ذات قيمة حضارية و ثقافية و فكرية و جمالية متصلة بأدب النفوس . الروح و العقل و كم زاجر من هذا الفصيل لا يعلمه إلا من تبخر فيه .
9. و يمكننا أن نختم هذه النتائج التي توصلنا إليها بشيء هام رأينا أن نعلم به كل من قرأ هذا البحث و هو أن هؤلاء الشعراء الزهاد و لا يهمنا إن كان زهدهم كان في فترة وجيزة من حياتهم بل ما يهمنا هو شعرهم الزهدي كان اعتمادهم المعجمي على

القرآن و السنة و التراث العربي القديم و لا غريب في ذلك فنحن نطرق الزهد الإسلامي و ليس زهد الرهبان و الأحبار أو الزهد المتشبهين بهم و إنه لواضح للقارئ أن معجمهم اللغوي هو معجم قرآني و معجم سني . وقد ساروا على هذا النهج فالزهد عندهم في الدنيا يكمن في إيثار الآخرة عليها ، وعدم التكلف فيكتفي بالحلال ويكتفي بما يعينه على طاعة الله ولا يتكلف شيئاً يشغله عن الآخرة ، وليس معنى الزهد ترك الدنيا وترك المال ، بل ترك المشتبهات وترك الجشع في التجارة الذي يشغل عن الآخرة وعن طاعة الله وعن طلب العلم ، وعن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعن النوافل المستحبة ، وبصورة أخرى على الإنسان أن يجتهد في طلب الآخر بالأعمال الصالحة ولا تشغله الملذات عنها ، ولكن لا يترك هذه الدنيا تركا مطلقا بل يطلبها فيبيع ويشتري ويغرس الشجر، ويزرع إلى غير ذلك ، و يطلب الرزق مثل ما طلبه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لكنهم لا يؤثرونها على الآخرة بل أعمال الآخرة مقدمة على أمر الدنيا وقدوتهم في ذلك النبي - صلى الله عليه وسلم – الذي يقول : " احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت لكان كذا وكذا ، ولكن قل قَدَرُ الله ما شاء فعل" .فالمؤمن يطلب الرزق ولكن لا تشغله دنياه عن آخرته.

و نخلص إلى أن الشعراء المغاربة من أمثال ابن خميس التلمساني و التلاسي وبكر بن حماد أو أبي عقال بن غليون أو داوود الصواف أو الحصري القيرواني أو أمية ابن أبي الصلت أو أبي مدين شعيب أو غيرهم ممن كان أصله من هذه البلاد من طرابلس الغرب إلى سبتة أو دخلها متعلما أو معلما أو عبرها حاجا فمكث بها و سكنها أو رحل عنها و عاد أو لم يعد . كل هؤلاء أثروا ساحة المؤلفات المغربية بشعر راق من حيث المستوى الفني و الفكري و الوجداني تخللته تلك التصويرات الموحية و الإبداعات و الإيقاعات الموسيقية المتجاوبة مع الأجواء النفسية المختلفة المشارب . هو

شعر عبر به أصحابه عن أحاسيسهم المختلفة بانفعالاتها أحيانا و هدوئها و سكونها أحيانا أخرى ، و لعل المغزى من ذلك كله كان هو تنقية النفس و تهذيبها من جهة ثم توجيه المتلقي من خلال هذه التجارب الشعرية التي رأيناها و المستلهمة من عقولهم الراجحة من جهة أخرى .و يمكننا أن نشير إلى أن الدراسة في هذا المنحى يمكنها أن تكون موجودة من خلال عدة مواضيع قد يتناولها باحثون آخرون و هي تصب كما ذكرنا في هذا المنحى الذي تناولناه مثل :

- المعالجة اللغوية لشعر الزهد المغربي.
- معالجة موضوع يكون أكثر تحديد للشعر المغربي .
- معالجة شعر الزهد في عصور أخرى غير المتناولة في هذا البحث فالمغاربة لا بد أنهم أثروا الساحة الأدبية بالعديد من الأشعار الخالدة . ليس فقط في موضوع الزهد بل الزهد جزء صغير منها.

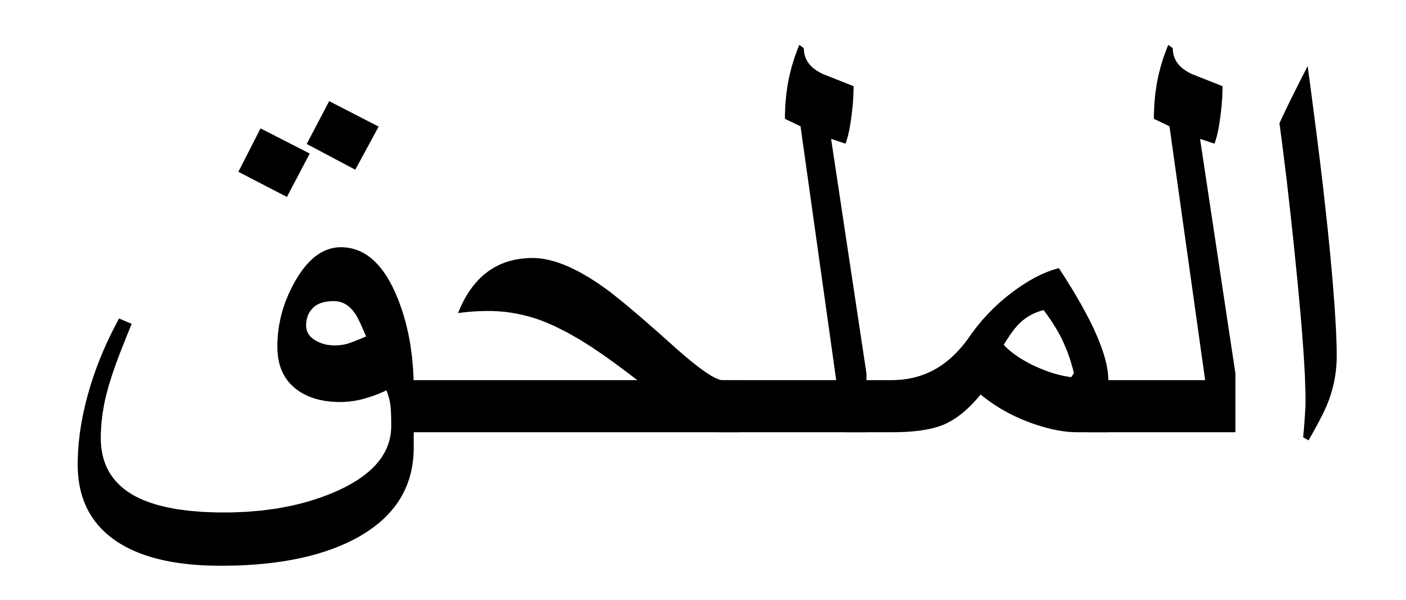
وهنا نذكر بعض مما اختص به شعر الزهد المغربي ولقد عرف موضوعا قائما بذاته لدى شعراء المغرب العربي وبدا واضحاً في شعرهم أكثر من غيره ، فكان سابق البربري من شعراء السبق في هذا الشأن و أحد أشهر الشعراء الذين أخرجوا هذا النوع من الشعر إلى حيّز الوجود ، وأبرزه بين صنوف الشعر الأخرى ، وتلاه شاعر آخر هو بكر بن حماد على سبيل الذكر ليس الحصر الذي كانت لديه أبيات خالدة في الزهد. وفي عموم هذا الشعر أنه يظهر حال الشعراء الذين أبدوا ترفّعهم عن كلّ ما يشغل النفس ، والروح عن التعلّق بالله و يظهر من جهة أحرى الذين تخبّطت بهم الحياة بعد تقدّمهم بالسن ، ونعيم الآخرة ، وملذّاتها ، ودعواهم إلى التقشف ، والعزوف عن الدنيا ومتاعها، والبعد عن الملذات ، والتحكّم في الشهوات ، وضبطها طمعاً في الجنة ونعيمها . كما شهد القرون الهجرية الموالية نقلة واضحة في بُنية شعر الزهد ، فقد أصبح أكثر تنظيماً ، ووضوحاً في ظلّ تعدّد الطوائف التي أثرت في بنيته الشعرية سابقاً ، وهذا فتح الباب واسعاً لعدد غير قليل من شعراء الزهد في نقد الحياة السياسية ، والاجتماعية والثقافية ،

والأخلاقية في مجتمعاتهم، وسعوا من خلالها للخلاص من الظلم ، والتجبّر من سلطة الحكام ، وولاة الأمور الفاسدين ، الذين أرهقوا الناس بطغيانهم ، والتحكم في لقمة عيشهم ، مما جعل شعر الزهد ينحو منحنى مذهبياً ، وسياسياً وأدبياً ، وأخلاقياً كـ : عيسى بن مسكين وأبي عقال بن غلبون وأبي مدين شعيب بن خميس التلمساني والعفيف التلمساني و التلاسي وغيرهم كثير . ونشير هنا في هذا البحث أننا سنذكر بعض ما لاحظناه في أشعار هذه الفئة:

- تظهر في شعر الزهد لديهم النزعة الدينية المتشددة ، والمبالغ فيها.
- تبرز فيه عندهم ظاهرتي الاقتباس ، والتضمين من نصوص دينية متعدّدة.
- تكثر فيه عندهم الأدلة ، والبراهين المؤدّية لغرضه الأصلي.
- يستخدم فيه أسلوب الإقناع بالحجة ، والدليل.
- يظهر فيه عندهم أسلوبي الترهيب ، والترغيب بشكل مباشر، وواضح.
- يتصف عندهم بسهولة اللغة ، وببساطة العبارات في الصياغة والتي تصل لحدّ الركاكة.
- يجسّد عندهم المعنى من الفكرة المطروحة في القصيدة عن طريق الإكثار من توظيف فنون البديع ، من صور بيانية ، وتشبيه ، واستعارات وغيرها.
- يسرفون في استخدام المحسنات البديعيّة .
- تبرز فيه عند بعضهم النزعة التأملية ، التصوفية . و يغلب عليه طابع الوعظ ، والدعوة إلى الندم على كلّ ما فات.
- يقوم عندهم على التذكير بالآخرة وما عند الله من ثواب وعقاب.
- يعتمد شعرهم على القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة في استنباط أفكاره.
- يزاوج شعر الزهد عندهم بين الإقناع العقلي ، والتأثير العاطفي .و يتميز بسهولة مفرداته ، ووضوح معانيه، ودلالاتها.

وفي الأخير نقول ، إن كل من بذل جهدا في عمل خير لابد أن يكون توفيقه من الله عز و جل أو عدم توفيقه تقصير منه و تهاون ، و للقارئ حق الحكم على هذا

البحث . مما كان يجدر بي القيام به ، فللمعرفة حق و للجامعة حق و لأساتذتي المناقشين حق. و أدعوا الله في خاتمة هذا البحث أن أكون أديته –ولو النزر القليل منه– على شكل مقبول . وما توفيقي إلا بالله.


الملحق

# المدونـة الشعريـة

-1- سابق البربري:

**هو أبو عبد الله، أو أبو أمية** ، ويقال أبو المهاجر، أو أبو سعيد ، شاعر من الزهاد، وهاجر من المغرب العربي إلى بلاد الشام . واشتهر بالوعظ ، وله أخبار في وعظ الخليفة عمر بن عبد العزيز. يقول فيها :**وهي** مأخوذة من كتاب **"شعر سابق بن عبد الله البربري"** – للدكتور بدر ضيف .

| | |
|---|---|
| بـــــسم الذي أنزلت من عنده السُّوَرُ | والحَمـــدُ لله أما بعـد يا عُـــــمـرُ |
| إن كُنـــتَ تعلـمُ ما تأتي وما تـَــــذر | فَكن عَلى حَذر قَد يَنفـــعُ الحَـذرُ |
| واصبر عَلى القَدر المَـــقدور وارضَ به | وإن أَتـَــــاكَ بمَـا لا تَشتهي القَـدَرُ |
| فَمَا صَفَا لامرئٍ عَيشٌ يُــــــسَرٌ بـه | إلا سيتبــــــــع يومـاً صفوه كـَدَرُ |
| واستــخبر النَاس عَمَا أَنـــتَ جَاهلُه | إذَا عميت فَقد يَجلُو العَمى البَصرُ |
| قَد يرعــــــوي المَرءُ يوماً بعد هــفوته | وتَـــــحكمُ الجَاهلَ الأيـامَ والعبـرُ |
| إن الـــــــتُقىَ خير زاد أنتَ حَامله | و الـــــبرُ أفضلُ شيء نَالَهُ بَشــرُ |
| مَن يَطلبُ الجور لا يظفـــر بحاجته | وطالب الــحق قد يُهدى له الظَّفرُ |
| وَفي الهدى عبرٌ تشفى القـلوبُ بهـا | كَالغـــيث ينضُر عن وسميّه الشجرُ |
| وَ لَيسَ ذُو العلم بالتقوَى كَـجَاهلها | ولا البَـــصيرُ كأعمَى ماله بَصـــرُ |
| وَالرُّشـد نافلة تُهـدى لصـــاحبها | والـــــغيٌّ يكره منه الوِرْدُ والصَّدَرُ |
| وَقَد يُوبقُ المَرءَ أَمـــــرٌ وهُو يَحقره | والشيءُ يا نفسُ ينمى وهو يُحَتَـقرُ |
| و رُبــمَا جَاءني مَا لا أؤمــــــلُه | و رُبمَــا فَاتَني مَــــــأمُول ُو مُنتـظرُ |
| لا يَشبعُ النَفسُ شَـيء حين تحــرزه | ولا يَــــــــزالُ لهـا في غَيره وطـرُ |
| ولا تزال ، وإن كانت لهـا ســعة | لـــــهَا إلى الشيء لم تَظفـر به نظـرُ(1) |

(1) د.بدر ضيف . "شعر سابق بن عبد الله البربري". دار الوفاء لدنيا الطبع والنشر.2004 الاسكندرية–مصر ص109

وكـلُ شـَــــيء لَـه حَـال تَغيـرُه كـــما تُغــــيّرُ لَـونُ اللمـة الغِيرُ

وَالذكرُ فيه حَيَـاةٌ للقُلـُــوب كَمـَا يُحيي البِــــلاَد إذا مَا مَاتتِ المَطَـرُ

والعِلمُ يَجلُو العَمَى عَن قَلب صاحبه كما يُجـــلّي سوادَ الظلمـةِ القَمَرُ

لاَ يَنفـَعُ الذِكرُ قَلبـاً قاســـياً أبـداً وهَـــل يَلينُ لِقَولِ الواَعَظِ الحَجَرُ؟

وَالمَــوت جِسرٌ لِـن يَمشِي عَلَى قَدَمٍ إلىَ الأُمُورِ التِـــــي تَخشَى وتُنتظَرُ

فَهُـم يَمـُـــرّونَ أَفـوَاجاً وتَجمَعُهُم دَار إِلَيــــهَا يَصيرُ البَدوُ والحَضَرُ

مَن كَانَ فِـي مَعقَلٍ للحِرز أَسلَـــمَهُ أَو كَـــــان في خَمرٍ لم يُنجِهِ خَمرٌ

حَتى مَتى أنَـا فِـي الدنيا أخو كَلَفٍ فـــي الخَد مِنِـي إلى لَذَّاتِهَا صَعَرُ

وَلاَ أَرَى أثـراً للذِكرِ فـي جَـسَدِي وَالمَـــاءُ في الحَجر القَاسي لـه أَثَرُ

لَـو كَان يَسهَرُ عيني ذكـــر آخرتي كَمَـــــا يُؤرِقني للعَاجِـلِ السَّهَرُ

إذا لداويت قلبـاً قَـد أضــرّ بِـــهِ طـُولُ السِقامِ ووَهنُ العَـظمِ ينجبرُ

مَا يَلبثُ الشيءُ أن يَبلى إذا اختَلَفَت يوماً على نقضه الروحـــات والبُكَرُ

والمرءُ يصعد ريعـان الشَـــبَابَ بَـه وَكـــــلُ مِصعَدَةٍ يـوماً ستنحدرُ

وكُـلُ بَيتٍ خرابٌ بعـــــد جِدَّتِهِ ومِـــن وَرَاءَ الشَبَابِ المَوتُ والكِبَرُ

بَينا يُرى الغُصنُ لَدْنا فِــــي أرومته رَيان أضـــــــحى خُطاماً جوفه نَخِرُ

وَكَم مِن جَميعٍ أَشَتّ الدَهرُ شمْلَــهُمُ وَكُــــلُ شَيء جميع ســـوف ينتثِرُ

ورُبّ أصيد سَامي الطرف معتصبٍ بالتَاج نيـرانُـه للحَــــربِ تستعرُ

يَظَـلُ مفتـرِشَ الديباجِ محتــــجباً عَليـــه تبني قباب المَـلكِ والحَجرُ

قَد غَادرتُه المَنايا وهـو مُستــــلبٌ مُجَـــدّل تـرب الخـــدين منعفِرُ

أَبعـدَ آدمَ تَرجون البَقاء وهَـــل تَبــــقَى فُروع لأصل حين ينعقر

لهم بيوت بمستن السيـول وهَـل يَبـــــقى على الماء بيت أُسُّه مَدَرُ(1)

(1)د. بدر ضيف . "شعر سابق بن عبد الله البربري". دار الوفاء لدنيا الطبع والنشر.2004 - الاسكندرية-مصر - ص110

إلى الفِناءِ ـ وإن طَالت سَلامَتُهم مَصـــــيرُ كثل بني أنثَى وإن كَثرُوا
إنَّ الأُمور إذا استقبلتَهَا اشتبهت وَفـــــي تَدبُرهَا التِبيـــــانُ والعِبَرُ
والَمرءُ مَا عَاشَ فِي الدُنيَا لَه أملٌ إذا انقضَى سِـــــفرٌ مِنهَا أَتَى سِفرُ
لهـا حلاوةُ عيـشٍ غيرُ دائمـــــةٍ وَفِـي العَواقِبِ منــــهَا المرُّ والصَّبرُ
إِذَا انقَضـــت زُمرٌ آجَالُهـا نَزلَت عَلى مَنــــــــازِلَهَا مـن بَعدها زُمـرُ
وَلَيس يزجـــرُكُم مـا تُوعظون بهِ والبُهــــمُ يزجرها الراعي فتَـــنزجرُ
أَصبحتُم زجراً للمَوتِ يَقبضُـكم كَمَـــــا البَهَائمُ فـي الدُّنيا لهَــا زَجرُ
لا تَبطِرُوا واهجُروا الدُّنيا فإن لها غِبـاً وخيـــماً ، وكُفـرُ النِعـمةِ البَـطرُ
ثُم اقتدوا بالأُلى كَـانوا لَكم غُرَرا وَليـسَ من أمـــــــــةٍ إلا لهـا غُرَرُ
حَتى تَكُونُوا على مِنهاج أولِكُم وَتصبِروا عَن هَوى الدُنيَا كَمَا صَبَرُوا
مَالِي أَرَى النَاسَ وَالدُنيَـا مُولِيَةٌ وَكُلُ حَـــــــبلٍ عليها سوف ينبتـر
لا يشعرون بما في دينـــهم نَقَص جهـــلاً وإن نقصت دنـــياهم شعروا
من عاش أدرك في الأعداء بغيته و مـــن يمـــــت فله الأيام تنتصر(1)

ويقول كذلك:

النفسُ تَكلَفُ بالدنيـا وقد عَلِـمَت أن السَّــــــــلامةَ منها تَركُ ما فيهَا
واللّهِ ما قَنَعَت نَفسِـــــي بما رُزِقَت من المَعـــــيشَة إلا ســـوفَ يكفيها
أموالُنا لِذَوي المِيراثِ نَجــــمَعُها ودُورُنا لِخــــــرَابِ الــــدَّهرِ نَبنيها
قِس بالتجاربِ أحـدَاثَ الزَّمَانِ كما تَقِيــــسُ نَعلا بِنَـــعلٍ حين تَحذُوها
واللَّهِ ما غَبَـرَت فِي الأرضِ ناظِـرةٌ إلا ومرُّ الليــــــالي سَوف يَفنِيها
أينَ المُلُوكُ التي عن خَطبِها غَفَلَت حتى سَقَـاها بكــــأسِ المَوتِ ساقيها
وصبَّحت قومَ عادٍ فِي ديــــارِهمُ بمقــــــــطعٍ يوما عادتهُم عَواديها
وتُبَّعا وثمــــــودَ الحِجر غادرهُم ريـــــــبُ المَنون رَميما في مَغَانِـيها
غَرَّت زَمـــــانا بِمُلكٍ لا دوامَ له جَهلا كَمـــــا غَرَّ نفسا من يُمَنِّيها(2)

(1) بدر ضيف . "شعر سابق بن عبد الله البربري". دار الوفاء لدنيا الطبع والنشر.2004 الاسكندرية–مصر– ص111
(2) نفســـه ص136

فكيفَ يَبقَى على الأجداث غَايرُنا　　كَـــــأنَّنا قد أظَلَّتنَا دَواهِيها

نَلهُو ونَـــأمُل أيَّاما نُعَـدُّ لنا　　سَريـــعةَ المـــرِّ تَطوينا ونَطويهَا

كَم من عزيزٍ سيَلقَى بعـــد عِزَّتِه　　ذُلاً وضـــاحكةٍ يَومَا ستَـــبكِيهَا

وللحُتُوفِ تُربِّي كلُّ مُرضِـــعَةٍ　　وللحِسَـــابِ بَرَى الأروَاحَ باريهَا

لا تَبرَحُ النفسُ تُنعَى وهي سَــالمَةٌ　　حَتـَـــى يقومَ بنادي القَوم ناعيهَا

ولن تزالَ طوَالَ الدَّهرِ ظــاعِنةً　　حتَّى تُقيـــمَ بِوَادٍ غَيرِ وَاديـــهَا(1)

ويقول :

تَأويني هـــم كَثير بَلابــلُه　　طـُــرُوقًا فغَال النَومُ عني غَوائِلهُ

فَويحِي مِنَ المـــوتِ الذي هو واقعٌ　　وللمَـــوتِ بابٌ أنتَ لا بد داخلهُ

أيأمن ريب الدهر يا نفــس واهن　　تجيـــشُ له بالمفظعات مراجلهُ

فَلم أرَ في الدُنيَا وذُو الجَهلِ غافلٌ　　أَســيرًا يَخافُ القَتلَ واللَهو شَاغلهُ

فَما باله يُفدي من المَوت نفــسهِ　　وَيأمَــنُ سَيــفَ الدَهرِ والدَهرُ قَاتلهُ

وَلا يفتدي مِن مَوقفٍ لو رَمى الرَدى　　بِه جـَـبَلاً أَضحَت سَرَابًا جَنادلُهُ

وَبعدَ دُخُول القَبرِ يَا نَفــسُ كربة　　وَهولٌ تَشيـــبُ المُرضِعِينَ زَلاَزِلُهُ

إِذَا الأرضُ خفت بعدَ نقلِ جِبالهَا　　وَخَــلَى سَبيلُ البَحرِ يَا نَفسُ سَاحِلُهُ

فَلاَ يُرتَجَي عَونًا عَلى حمـــلِ وِزرِهِ　　مُسِــيءٌ وَأَولَى الناسِ بالوزرِ حاملهُ

إِذا الجَسدُ المَعمورُ زَايلٌ رُوحـُــهُ　　خَــوَى وَجَمَالُ البيتِ يا نَفسُ آهلهُ

وَقَد كَان فِيهِ الرُوحُ حينا يَزيـــنُهُ　　وَمَا الغمـــدُ لَولاَ نَصلُهُ وحمائلهُ

يَزايلُني مَالي إِذا النَفسُ حَشـرَجَت　　وَأهـــلِي وَكدحي لازمي لاَ أُزاَيلُهُ

إِذاَ كل عند الجُهدِ يَا نَفسُ منــطقِي　　وَعَاينـــتُ عِندَ المَوتِ مَا لاَ أُحاولهُ

ويَغسِلُ ما بالجِلدِ مِن ظَاهرُ الأَذى　　وَلاَ يَغــسِلُ الذَنبَ المخالف غَاسلُه(2)

---

(1) بدر ضيف . "شعر سابق بن عبد الله البربري". دار الوفاء لدنيا الطبع والنشر.2004 الاسكندرية-مصر- ص137

(2) نفســـه ص125

وَمَن تَفلت الأَمراض يَومًا فَإنــَهُ　　سَيوشـــِـكُ يومًا أن تصابَ مقاتلهُ

قَد تفلت الوَحشَ الجــبالُ وربما　　تَقبــــــضت الوَحشي يومًا حبائلهُ

إِذَا العلمُ لم تعملْ به صَار حُجةً　　عليــــكَ ولم تَعذرْ بمَا أنت جَاهلهُ

وَقَد يُنعشُ الذِكرُ القُلوبَ ، وَإنما　　تَكونُ حَيـــــاةَ العُودِ في المَاءِ وَابلهُ

أَرَى الغُصنَ لا ينمي إذا جَف أَصلهُ　　وَلَــيسَ ببـــاق من أبيحت أوائلهُ

فَإن كُنتَ قَد أَبصرتَ هَذَا فَإنــَمَا　　يَصــــدقُ قَول المَرء مَا هُو فَاعلهُ

وَلا يستقيمُ الدَهرُ سَهم لوجــههِ　　بِه مــــــــيلٌ حتى يَقوم مَائلهُ

وَفيكِ إلى الدنيَا اعتراضٌ وإنــَمَا　　تكالُ لـــدَى المِيزانِ مَا أنتَ كَائِلُهُ

فَلاَ تَنتكثْ بَعدَ الهَوى عَن بصيرةٍ　　كَمَا نَكـــثَ الحَبلَ المُضاعفُ فَاتلهُ

وتَطلبُ في الدُنيَا المَنازلَ وَالعُـلاَ　　وَتنـــــسَى نعيمًا دائمًا لا تزايلهُ

كَمن غَرهُ لمعُ السَرابِ بقيــــعةٌ　　فَقـــــصر عَن ورد تَجيش مَناهلهُ

وَقَد خَانت الدُنيَا قُرُونًا تَتابعُــوا　　كَمَا خَـــانَ أَعْلَى البيتِ يومًا أسافلهُ

وَتُصبحُ فِيهَا آمنًا ثُمَ لم تَكـُــــنْ　　لتَــــأْمَنَ في وَادٍ بِه الخَــوفُ نَازلـهُ

وَقَد ختلتنا باللَـطيفِ مه الهــَوَى　　كـَمَا يختــَلُ الوَحشيُ بِالشيءِ خَاتلهُ

رَضينَا بمَا فِيهَا سِفَاهًا وَلَمْ يــَكُـــن　　يَبيعُ سمَـــــينُ اللَحمِ بِالغيثِ آَكلهُ

وَعَاقبةُ اللَذاتِ تَخـْـشَى وَإنــَمَا　　يَكـْــــــدُرُ يَومًا عَاجِلُ الأَمرِ آجِلُهُ

وَإن فَرحتَ بِالمرءِ يَومًا حَـــــلاَئِلُ　　فَلاَ بـُـدَ يَومًا أَنْ تـَــــرِنَ حَلاَئِله

فَكَمْ مِنْ فَتَى قَدْ كَانَ فِي شِرِّةِ الصِّبَا　　فَأَقْـــــصَرَ بَعْدَ الْعَذْلِ عَنْهُ عَوَاذِلُهُ

إِذَا مَا سَمَا حَقٌ إِلـــيكَ وَبَاطِـــلٌ　　عَلَيـــــكَ فَلاَ يَذهبُ بحقِكَ بَاطلهُ

وَقَد يَأملُ الرَاجِي فَيــكْذِبُ ظَنُهُ　　أُمُور ويَلـــقَى الشيءَ ما كَان يَأمَلهُ (1)

---

(1) د. بدر ضيف . "شعر سابق بن عبد الله البربري". دار الوفاء لدنيا الطبع والنشر.2004 الاسكندرية–مصر– ص124

ويقول:

سَبقَ القَــــضَاءُ بِكُلِ مَا هُوَ كَائنُ وَاللهِ يا هَــــــــذَا لَرزقُكَ ضَامِنُ

تَعنِى بِمَا تَكْفِي وَتَتْــــــرُك مَا بِهِ تُـــعْنَى كَأَنَــــــكَ لِلْحَوَادِثِ آمِنُ

أَوَ مَا تَرى الدُنيَا وَمَصْـرعُ أَهْــلِهَا فَاعْـــــمَلْ لِيــومٍ فِراقُهَا يَا خَائِنُ

وَاعْلَم بِأنَكَ لاَ أَبَا لَــكَ فِي الذِي أَصْبـــحتَ تَجمعهُ لِغيرِكَ خَازنُ

يَا عَامِرُ الدُنيَا أَتعـــــــــمرُ منزلاً لَمْ يَـــــــبْقَ فِيه مَعَ المنيةِ سَاكِنُ

المَوتُ شَيءٌ أَنْتَ تَـــــعْلَمُ أنهُ حَـــــقٌ وَأَنْتَ بِذكرِهِ مُتهَـــاونُ

إِنَ المنيــــــةُ لاَ تُؤامِر مَن أَتَتْ فِي نَفسِـــــــــــهِ يَومًا ولاَ تَستأْذِنُ(1)

**ويقول:**

الصَـــــمتُ أَزينُ بِالفَـتَى مِنَ مَنــــطِقٍ فِي غَيرِ حِينِهِ

وَالصِدقُ أَجملُ بِالفَــــتَى فِي الـــقَولِ عِندِي مِن يمينه

وَعَلَى الفَــــتَى بِوقَــارِهِ سِمَــــــةٌ تَلُوحُ عَلَى جبينهِ

فَمَنِ الذِي يخــــفِي عَلي إِذا نَظَـــــرْت إلى قَــرينهِ

رُبَ امرئٍ متــــــــيقِنٍ غَلَــب َالشَقَاءُ عَلَى يَقينهِ

فَأزَالَهُ عَنِ رأيــــــــهِ فَـــــابْتَاع دُنْــــيَاه بِدِينهِ(2)

(1) بدر ضيف . "شعر سابق بن عبد الله البربري". دار الوفاء لدنيا الطبع والنشر.2004 الاسكندرية-مصر- ص132،131

(2) نفســـه 134، 135

## 2- الإمام أفلح بن عبد الوهّاب (-240هـ)

هو ثالث أمراء الدولة الرستمية بتيهرت بالجزائر، يُشهد له بالعدل والورع والتقوى .

يقول في العلم:

العلمُ أبقى لأهلِ العلمِ آثارَا　　يُريكَ أشخاصُهم زوجًا و أبكارَا
حيٌ وإنْ ماتَ ذُو عِلمٍ ،وذُو ورعٍ　　مَا مَاتَ عبدٌ قضى منهُ أوطَارَا
العلمُ درٌ لهُ فضلٌ ولا أحدٌ　　في النّاسِ يدري لِذاكَ الدرِ مقدارَا
للعلمِ فضلٌ على الأعمالِ قاطبَةً　　عنِ النبيّ رَوَينَا فيهِ أخْبارَا
يقولُ طالبُ علمٍ باتَ ليلتهِ　　في العلمِ أعظمُ عند الله أخطارَا
منْ عابدٍ سنةٍ لله مجتهدًا　　صامَ النّهارَ وأحْيَ اللّيلَ أسهارَا
أشدُدْ إلى العلمِ رحلا فوقَ راحلةٍ　　وَصِلْ إلى العلمِ في الآفاقِ أسفارَا
واصبرْ على دُلجِ الأغساق مُعْتَسفًا　　مهامه الأرض أحزانًا وأقطارَا
حتىّ تزور رجالاً في رَحلهم　　فضلاً فأكْرِمْ بأهلِ العلمِ زوارَا
وألطُفْ بمن أنتَ منه العِلم مقتبسٌ　　جَدِّد له كل يومٍ منكَ أبرارَا
ولا تكنْ جامعًا للصّحفِ تخُونُها　　كالعِّيرِ يَحمِلُ بينَ العِّيرِ أسفارَا
نِعْم الفّضيلة نِعْم الذّخيرة تورثه　　لنفسك اليّومّ إنْ أحْسَنتَ أثَارَا
و اِجْعلهُ للهِ لا تَجعلهُ مَفخرَةً　　ولا تُرائي بهِ بدوًا ، وأحضارَا
تَعسّفا لكلِ مُراء غيرَ مقتصدٍ　　و قدْ تقلّد أثَامًا ، وأوزارَا
يصْطادُ بعلمِ أموالِ العبّاد كما　　يَصطادُ مقتنصُ بالبّازأطيارَا
ولا تُداهِن إذا مَا قلتَ مسألةً　　أضرّرت بالدّين إنْ داهنتَ إضْرارًا
وكنْ بربِّك لا بالنّاس مُعتصما　　كفَى بربّك رزّاقَا وغَفَّارَا
خيْرُ العّباد عِبَادُ الله إن لهُ　　لُطفًا خفيّا يَرُدُّ العّسرَ أيسَارَا
سبُحانَه صَمَدٌ لاَ شيءَ يشبهُهُ　　أقْرَرْتُ للهِ بالتّوحيدِ إقْرَارًا(1)

---

(1) العربي دحو ، الأدب العربي في المغرب العربي ، من النشأة إلى الدولة الفاطمية – دار الكتاب العربي للطباعة و النشر – القبة ، الجزائر .2007 ص 261

**-3- أبو الأحوص أحمد بن عبد الله (-284):**

سكن سوسة وهو من أصحاب سحنون مكفوف البصر ، قال من ( الهزج):

أَبَو أنْ يرقدُوا اللّيل     فَهُــمْ لله قُـــوّامٌ

أبَوا أنْ يفطرُوا الدّهرَ     فَـهُمْ لله صُـــوّامٌ

أبَوا أنْ يخدِموا الدُّنيا     فهُم للهِ خُـــدّامٌ (1)

**4-حمديـــس القطـــّان(-289):**

هو أحمد بن محمد الأشعري عامر بني الأغلب له هذه الأبيات عند ما أشاروا عليه بإحضار الطبيب عند مرضه .

بِيَدِ اللهِ دَوَائِـــي     الـّذي يَعْـــلَمُ دَائِـي

إنـّما أظلِمُ نفسِـي     بإتـّباعِــي لِهَــوائِي

كلّما دَاوَيتُ نفسِـي     غَلبَ الـداّءُ دَوائـِي (2)

**5- عمر بن يوسف بن عمروس (-290)**

هو أبو حفص بن عيسى أصله من إشبيلية و لكنه أقام في إفريقية حتّى توفي بسوسة قال :

أيَا نفسُ قدْ أثقلْتِنِي بذُنُـــوبي     أيــا نفسُ كُفــّي عن هواك وتـوبِي

كيف التصابي بعدما ذهب الصّبـا     وقــدْ ملّ مقرا في عتـابِ مَشِيـــبِي (3)

**6- مجبر بن سفيان(-285)**: قال

لعـلّ الّذِي نَجى منَ الجبّ يوسُفا     و فرّج عـن أيـوبَ إذْ مسّـــه الضّـــرُ

و خَلّصَ إبراهيمَ من نـارِ قومِـهِ     و أعلَى عصَـا مُوسـى فذّل لهُ السّـحْرُ

يصيرْ أهلُ الأسْرِ في طولِ أسرِهِمْ     علـى معضِـلاتِ الأسْرِ ، لا سلمَ الأسْرُ(4)

**7-أبو جعفر أحمد بن أبي سلمان داود الصوّاف (-291هـ)**: قال من (المتقارب)

سألْبِـسْ للصّبرِ ثوباً جميـــلاً     وأفتُـــلُ للصّبـرِ حبلاً طويــلاَ(5)

---

(1) العربي دحو .الشعر المغربي من الفتح الإسلامي إلى نهاية الإمـــارات ص177، المالكي رياض النفوس ج1 ص 483 أو 528

(2) معالم الايمان ج2 ص 205 ، العربي دحو .، الأدب الأدب العربي في المغرب العربي ص 239 ، رياض النفوس ج1 ص 534

(3)العربي دحو. الادب العربي في المغرب العربي ص:239

(4) المغرب العربي: تاريخه و ثقافته : رابح بونار ، ص 119-120 ، د.محمد مرتاض . التجربة الصوفية عند شعراء المغرب العربي في الخمسية الهجرية الثانية .

(5) العربي دحو. الادب العربي في المغرب العربي ص:250

وأَصبـِرْ بالرّغـــمِ لا بالرّضـــَا وأُخلّـــــصُ نَفســي قليــلاً قليـــلاَ (1)

وقال من(الكامل ) :

يَا لـذّةً قَصُرتْ وطالَ بـَــلاؤُها عنـدَ التذكـُرِ في الزّمــــانِ الأولِ

لَمّا تذكَـــرَها قـال نَـدامَــــــــة من بعـدِها يا لـيتني لــــمْ أفعَـلِ (2)

وقال أيضا من الطويل :

أرى البَّرق من نحو العذيب تَوقَـــدا تغيـــبُ طـورًا لمعــه ، و تَـــردّدَا

أفقْ أيّها الباكِـي المسائِـل منـــزلا تشتَّـت َمنــــــه أهلُـه فتبــــدّدَا

كفى عَجبا أنـَا جهلنـاه ما خـَــــلا ملاعب ولـــدان و نؤيـا و مُوقِــــدَا

ألفتْ بـه غيـْداء إذا هـي ناهــدٌ و إنْ كنتُ مرمـــوقَ الزيادةِ أمــــردَا

و كنتُ قريبا إذا دَعَتني ابــنَ عَـمّها فلمّــا دَعَتني عمّهــا كنتُ مُبعَـــــدَا

و كلُّ نساءِ الحـيّ يَهويـْـن طلــعَتِي لَيَالي كانَ الشَّعــر أرْجـل ، أسْـــودَا

فلمّا اكتسيت الشَّيبَ صِرت ُإلى النُّهى و أصلَحتُ من شَأني الـذي كانَ مُفسدَا

لبستُ به ثوبَ الوّقــارِ ، و كلّمَــا بليـتُ ، و أبليتُ الثِّيَـاب تَجَــــدَدَا

جـَزى اللهُ طـولَ العُمْـر خيــــــرًا فإنه حَدَاني إلى التّقوى و دَلَّ وأَرْشَـدَا

و لّمـا نَحـَا عُمري ثَمانينَ حجـــــةً وأيقنـتُ أنـّـي قد قَرَبْتُ من المـَّــدَى

تركتُ تكاليــفَ الحيــاةِ لأهلــهَـا و جانبتُـها طوعـًا مُجانبتِي الـــــرَّدَى

رأيتُ حَليـــمَ القّومِ فيهـم مُقــدِمـًا و منْ نَالَ علمًا نالَ جاهًا و سُـــــؤْددَا!!

أَرَاني بحَمدِ الفي المَـال زاهــــــدًا و في شَــرفِ الدّنيا ، و في العِزّ أزْهــدَا

تخليـتُ مـن دُنيـايَ إلاّ ثلاثــــــةَ دفاتـر من علـمٍ ، و بيتـًا و مســجِدَا

غيت ُبهـــا عن كـل شيءٍ حويتُــهُ و كنتُ بها أعفـَى ، و أقنَـى ، و أسْعدَا

و قـدم ذمّ قـومٍ ما فعلتُ جهالــــةً فعُـــدوا مع الجهَّـال في الجَّهــلِ أحمـدَا

ولو فَهِمُوا رأيِ ، و أمرِي لأبْصـروا و قالوا : رَأى رأيًا سديـــدًا مُســـدّدَا(3)

---

(1) العربي دحو. الادب العربي في المغرب العربي ص:250

(2) المرجع االسابق ص 251.

(3) نفســه ، ص 194

ألم تَـرى أنّ الدّهـرَ و أوقَ أهـلُـه　　　همُومًا ، و أن العَّيشَ صـارَ مُنكَّـــدَا!!

فمَـا حـلّ يـومٌ فيـه إلاّ بفـــجعَةٍ　　　و أنت لآخـرى فيـه منتــظـرٌ غــدَا

و ما فرحـةٌ إلاّ ستصبـح تَرحـــــة　　　و ما صاحبٌ إلاّ سيصبـــحُ مُفـــردَا

و كـمْ قدّر رأيَنا من عزيزٍ مشــرفٍ　　　يبيتُ مُقـراه في القّبــــابِ ممهّــدَا

فجَتْهُ المَنايا و هو في حيـنِ غفلــةٍ　　　فأضحىَ ذليلاً في التّرابِ مُـــوسّدَا(1)

وقال أيضا الطويل :

و لّما صَحـا عمري ثمـــــانينَ حجةً　　　هــجرت ُ تكاليفَ الحيـاةِ لــمّا فجـَا

و لاقيتُ أترابِـي فأحـــدبُ ماشيـًا　　　و آخرَ مكفوفـًا ، و آخـــــرَ أعرجَـا

تمنيتُ طولَ العمــــرِ أحيَا مـؤدبَــا　　　و أسلكُ فـي التّعليم للعِّلم منهَجـَا

و خالـطَ عيني العشــــا بعدَ حـدّةٍ　　　و صارَ لسانــي إذا تكلّم لَجْلَجـــَا

و في أُذني وقْرٌ ، و ظـــــهري به حنَا　　　و ما أبتـــــغي ممّا أنـا فيهِ مَخـرجَا

رأيتَ الذي قد كنتُ فيه لـدى الصِّبى　　　من الشَّيب و التّشييخِ أشْنا و أسمـجَا

و أصْلح أَزماني أو أن زمــــانني　　　لزمتُ العصا من بعد مَشييِي تبـرجَا

وأصبحتُ ممّا كنتُ أبتغي من الغّنَى　　　إلى الزّهــدِ في الدّنيا الدّانيةِ أَحْـوجَا

و حبِستُ نفسي بين بيتي و مسجِدي　　　و قد صرتُ مثل النّسر أهوى التعَرُّجَا

كأنّي بهـم قدْ أعلنوا بَعدي البُكـا　　　إذا أنا صرِتُ فـي المــــدارجِ مُدرجـَا

و في حين يقضيني،و في قول بعضهم　　　لبعض : توفي التشيّخ ،و انقطعَ الرّجَا

فيـا خيـرٌ مرغوبٌ إليـه لراغـــبٍ　　　و يا خيرٌ من يلجأ ُإليه لمنْ لَـــجَـا

كمَا لم تضيعنِي ربِّ، منذ خلقتنـــي　　　قِنِي في معـــــادي حرَّ نارٍ تأجّجــَا(2)

و له أيضا من الوافر :

تفهَم يَـا حبِيب، هديـت قيلـــــي　　　تنَـــــــال بفهمِـه خيـرًا كثيــرَا

سَمِعْتك تذكـُر الشّعـراء طـــرًا　　　و تُنشـــد قـَولهــــــم جمًّـا غفيـرَا(3)

---

(1) العربي دحو .الشعر المغربي من الفتح الإسلامي إلى نهاية الإمـــارات ص 195

(2) المرجع السابق ، ص 196-198

(3)نفســـه ص197

و ليسَ مُـؤلف قــولاً حكيمـــــًا كآخر قائــــلاً : إفْكَـــــــا و زُورَا

و يَرجـفُ قولـه لينــالَ دنيَــــــا إذا ما نالهَــــا نَـال الغُـــــرورَا

فـلا تُشغَـل بقـولٍ غيــر قيــلـي فمَـــا في النَّفـع كُـان لـهُ نظيرَا

فَدَعْ عنــك المذاهبَ و اِتبعنِــــي متـــابعــةً تجـــدْ خيــرًا كثيــرَا

فقيـه النّـاسِ سحنُــون تجِــــدني لأكثــرَ فِقهـــِـه بصَــرًا بصيــرَا

و في فِقْه الفقيــهِ أبــي سعيــد وجــدتُ الحـــــقّ مُتّضحـًا مُنيــرَا

و في تعليـــمِه علمـًا عليمـــًا و فـــي تأْدِيبــهِ ستْــرا ستيــــرَا

لزمتُ فنـاءَهُ عشــــــرين عامـًا أُغاديــــِ و أغشَـاه هجيـــــــرَا

و كنتُ مُؤدِّبـا نفسي لنفسِـــي علـــى نفسٍ أجنّبهــا النّكـيـرَا

فقلتُ من العلومِ لطولِ عــمري و إمضائـــــي و تَجربتي الدّهـورَا

وحُزتُ من السّلامةِ ما كَفَانـــي وَوَقَانِـــي ، و بلَغنـي السُّـرورَا

و لْم ألبس لذُّل الفقـْـــــر ثوبا و لم أكُ في الغِنـــى بطرًا فَخُـــورَا

و لم أجزَعْ ، و للأيّام صِـــــرفٌ يعودُ عسيرهَــــا سهـلاً يسيــرَا

و لم أفْرح لأنّ لهـا انقـلابـًــا يُعيد يســيرهـا صَعـــبًا عسيــرَا

و إنّي و إنْ توالــى فجــعها لجَـــــلِدًا.......... صبُــــورَا

و لا أنا و إنْ نابَت نائبةٌ خضُوعا و لا متضـــعِفًا جزعًا ضجُـورَا

و إنْ أودعْت سرّاً كنــتُ حـرِزًا و لم أخبــرْ بـذاكَ أخـًا وَزيــــرَا

إذا كانَ الفَتى عنـِّي غنــيـًا فلســـــتُ إليـه محتاجـًا فقيــرَا

أواصلـُه إذْ يبغِـي وِصَــالـي وأمنَحُـه – إذا قطـــع- الدّبـورَا

و ليسَ مـن الجَّميـل يرى كبير يُتَابع مدارا حدثـًـــا صغيــرَا

أرى الدُّنيــا تغيرُهـا اللّيـالي و أيّامًا مـــــؤلفــةً شهــــورَا

أرى بِمـا يَجيئ بـكلّ خيـــرٍ و يومًا بالحــــــوادثِ مُسـتطيـرَا

كَذَا أحْوَالُ دهرِكِ، حـالُ أمــنٍ و حــــالُ تجزعُ البَطَلَ الجَّسُــورَا

و كمْ مَلِكٍ عظيـمٍ ذي اختْيــالِ أَعَدَّ خـزائنًا بنــــــى قُصــورَا(1)

(1) العربي دحو . الشعر المغربي من الفتح الإسلامي إلى نهاية الإمـــارات ص 196-198

وكانَ مَدَاه ذَا خطرٍ عظيـــمٍ فصـــــارَ مُؤجلاً أجــلاً قَصيـــرَا
ومِنْ ذاكَ التـملّك و التَّعـالي و سكَنَ قَصْرَه سَكَنَ الحَقيـــرَا
وأُضْجِعَ فـي التُّرَاب بلا مهادٍ يضيقُ اللَّحد منجــدِلاً غفيـــرَا
وكمْ من طالبٍ للمـالِ يسعـى و يركبُ في مَطَالِبــه البُحُــورَا!؟!
فصَار يَوَدُّ أنْ لو كـان أضحَـى على تفريــقِ ما حَــوى قديـرَا
وعاد يَوَدُّ أن لو كـان أمسَــى وليسَ بمــالِك منــــه ُنقيــرَا
وقدْ حبسَ اللّسـان فلاَ كــلامٌ و قد سمِعَ الصّيــاحَ المُستطيـرَا
فإمّـا مُؤمنٌ يَرجــــو خلاصــًا و إمَّـا كافـــرٌ يصلـي سَعيـرَا
فويلٌ للشّقـــــي إذا تَــــردّى و صَـارَ إلى التِي ساءَتْ مَصِيرَا
إلى نَـــارٍ تلظيـــهـا شَـــديدُ و تُزفِر في تَغطيــــهــا زَفِيرَا
و طُوبى للسّعيـــد إذْ حَبَــــــاه إله ُالعَرش في الفـردوسِ حُورَا
و صار شرابُــه من سَلْسَبِـــيل و أنهـــــارَ مُفجـرةً خُمــورَا
أراني و قدْ كبِرت ورقّ عظـمي و صِـــــرت مُخامرَ ضرًا ضريرَا
كأنّي بالبّكـــــاءِ على فـــاشِ و قد حَـــمَلُوا بجثّتِــي السّريرَا
إلى دارِ البّلي حمــــلاً سريعـــًا و ينصــرفُون عن قبْري نُفورَا
و خَلونِي بأعمَـــالي فَرُوحـــي على الحــالاتِ تنتظرُ النُّشورَا
أجِرْنِي من عذابِك و أعْفُ عنّي و كنْ لي منكَ يَـا أملي مُجيرَا
فقدْ كَبِــرتُ ورقّ عظمــــــي لجـأتُ إلى فنائِك مُستجيـــــرَا
و إنـّي لم أزلْ أرجُــــــــو عفوًا لأنّـــك لم تـــزَلْ ربّـًا غفُـورَا
دُعِيتُ معـلمًا إذ صرتُ شيخـًا و أيامُ الشّبــيبــةِ كنتُ بـــورَا
لئِـنْ كــــان المَّشيبُ أتى نَذيرًا فإنّـي ســـوفَ أدعـــوهُ بَشيـرَا
فأهْـلاً بالمَّشِيبِ لنَـا لباسًــــا وقـــارًا نَسْتزيـدُ لـــه وقـارَا
و جِزتُ بتسعةٍ و سبعينَ عامًــا وقـد ضَمنتُ أصـحابِي القُّبـورَا (1)

(1) نفســـه ص198

و صِرتُ كراكِعٍ يمشِي دبيبـــا وأصبَحَ خاسئًا بصــري حسيـرَا

و ألقى الدَّهرُ فـي أُذُنِي وَقْـــرَا وفي بَدَنِي ،و في بَطْـــنِي فتُورَا

و في فِقْه الفَّقيـه أبـي سعيــدٍ رأي ُالحــــــقِّ متضحًا مُنيـرَا

لزمتُ فنـاءَه عشرينَ عامًـــا أغاديهِ ، و أغْشَـــــاه ُ هَجيـرَا (1)

## 8- عيسى بن مسكين(-291هـ)

هو عيسى بن منصور بن محمد الإفريقي من تلاميذ سحنون، كان قاضيا .

قال في الكبر :

لَّمــا كبُرت ُ أَتَتْــني كل ّداهـــــيةٍ مِنْ كلِّ ما كـانَ منِّي زائِــداً نُقْصــَا

أُصافح ُالأرضَ إنْ رمْتُ القيامَ وإنْ مشيــتُ تصحبنِي ذاتَ اليُمنَى عَصَا(2)

وله أيضا عن ألمه:

أصـابَ الدّهــرُ عظـمَ ســاقٍ بــه كـــــــــنتُ مشّـاءً جليـــدًا

إلى الفّقهــاء أنقلهــا وأطْــوي بهـــا للحّاجــة البّلــدَ البَّعيـدَا

إذا رِجْــل ُالفتى يومًـا أُصيبـتْ وطــــالَ سِقـامُـه أَلِــفَ القعُـودَا

وصارَ لبيتـه جَلِـَسًـا وأمسَـى مِــــــن الإخوان مُنفـرِدًا وحيـدًا (3)

وله في الشبــــاب :

لعمـري يا شبـابِي لـو وجدتـُــكَ بما مَلَــكـت يميـــنَ لارْتَجعْـتُـكَ

ولو جَـعَـلــتْ لي الدّنيا ثوابًـــا وما فيهَـــا عليـكَ لَمَا وَهَـبْـتُـكَ

ونـُحتـُكَ وانتحبْـتٌ عليـكَ دهْـرًا فلم تغـنِ النّياحـَةُ حيث نُـحتـُك َ(4)

## 9- محمد زرزر الفارسي (-291هـ) :

هو أبوعبد الله من طلبة سحنون كان حافظا للغريب بصيرا بالعربية (5) قال:

---

(1) العربي دحو . الشعر المغربي من الفتح الإسلامي إلى نهاية الإمـــــارات ص 196-198

(2) العربي دحو .الشعر المغربي من الفتح الإسلامي إلى نهاية الإمـــارات ص175

(3) نفسه

(4) نفسه

(5) رابح بونار "المغرب العربي ناريخه و ثقافته "ص 116.

تهتّك السّتر عن ذي الغَيّ و الفند — وحَصْحَصَ الحقّ بعد الغيّ و اللّدد
و أيقنَ المشركُ الدّاعِي له وَلـدُ — بأنّه ُالله لم يُولدِ ولم يَلِدِ
لا موتٌ يدركه ،لا شيءٌ يشبهُهُ — يبلى الأياد ولا يَبلى على الأبَدِ
ويحُ بنُ آدمَ منٍ عاصٍ لخالقِه — ومنْ مصرٍ على الآثامِ معتقدِ (1)

10- أبو عقال ابن غليون(-290هـ) :

عاصر أخته مهرية ، و هذه برزت في أواسط القرن الثالث الهجري بتونس يقول من الكامل :

عقدتُ عليك مُكْمِلاتَ خواطري — عقدُ الرّجاء فألزمتِني حُقوقَا
إنّ الزَّمان عدا عليّ فزادني — علمًا بأنَّك سيدي تحقيقَا
ما نالنِي ضرٌ بوجه مسَاءةً — إلاّ وجدتُ به إليك طريقَا
حسبي بأنّك عالِمٌ بمصالِحِي — إن كنتَ مأمُونا عليّ شفيقَا
فامْضِ القَّضَاء على الرِّضى منّي به — أنّي رأيتك في البِّلاد رَفيقَا (1)

و قال المتقارب :

أيَا منْ يرى الرّشد في غيّهِ — و يخبِط في الدّاجياتِ القَتَادَا
تَجَافُ بِنفسكَ عَن حتفِها — وَ خُذْ لأَمانِكَ منكَ القِيَادَا
أَجِبْ دَاعِيَ الله لا تُعصِه — فقدْ جادَ بالنّصحِ جهْرًا و نَادَى
و لا تُلْهِ بالْمُوبقَات التِي — أبادتْ بوائِقُها من تَمادَى
و أقفَرَتُ الرّبعَ منْ أهلِهِ — وَ أبَقْتُ حلُوفَ النَّدامَى فَرَادَى
و شتَّتُ الشَّمْلَ بعد إئتِلافٍ — فلم تَبقى للرّائدين ارتِيَادَا
بلوتُ الزَّمانَ و دسّتُ البِلادَ — و نافستُ في كل شئٍ عِنَادَا
شربتُ المدامَ و سُسْتُ القيَّانَ — و رُضْتُ الجيَّادَ ، ورُعتُ الشِّدادَا
أَصيدُ الغَزَالَ و أم الرِّئَال — بطرفٍ أراه ُيجيدُ الطَّرادَا
و صَعلكتُ في البّر و البّحر دهْرًا — أُخلِّفُ أهلِي عليَّ جِدادَا
أَسومُ البِّعادَ، و أهْوى اللِّذاذَ — و أُظهرُ في الأرضِ منّي الفَّسادَا(3)

(1) رابح بونار المغرب العربي ناريخه و ثقافته ص 116. معالم الايمان ج2 ص 247.

(2) المرجع السابق ، ص 200

(3) نفسه ، ص 202.

أروحُ علـــــــى هــــذَا و ذَاك أُديمُ السهـادَ ، و أَجْفُوا المِهــادَا

إلى أنْ تنَـاهَتْ حدودُ القضــاءِ و أنْفَــذَ سُلطانَـه مُـــا أرادَا

فَجَلَـى مِـن القلْبِ إظلامُــه و أنْوَرَ مـا كـانَ منـه سَوَادَا

فألزَّمْتُ نفسِـي مَدَى صــبْرِها و خالَفْتُهَــا فـي هَوَاهَـا عِنادَا

و بايَنْتُ مَــا كنتُ ألْهُــو بـه فأمسَى وأصبحَ عندِي سُهــادَا

فأضْحَى المُلُوكُ ، و أهْلُ النَّعيمِ أقلَّ البريّـــَةِ عنـدِي العـدادَا

و أَسْقَطْتُ لومِي عنِ العَالِيــنَ فمَنْ شــاءَ وَدّ و مَنْ شاءَ عَادَى

فمَنْ دامَ دمتُ لــهُ في الوَّفـاءِ و زَايَدْتُـهُ أبَــــدًا مَا اسْتزَادَا

و منْ تَاهَ تُهْتُ بِـمنْ لاَ يُــذِلْ بِهِ منْ أَعَــــزَّ وَ لاَ مَنْ أَسَادَا

فلمْ أَرَ عيشًا كعيشِ القَنُـوعِ ولَمْ أرَ مِثـــلَ التقِّي لِي مُرَادَا(1)

و له أيضا :

لاَحَ المَّشيبُ بِلمَتِــــي فَنَعَـانِـي و نَفَى الصِّبا عنِّي ، و ذَمَّ عنَانِي

و نَائَتْ خُطُوبُ الحادِثات بأسْرتي فبقَيْت مُنفردًا مِـنْ الأقْــرَانِ

فَلَئِنْ مَضَى صَدْرُ الزَّمَان بِصَفْوِهِ فالأخْذُ منْ لسِيـــدِي المَنَـانِ

و لأقطعَنَّ علائِقِــي منْ غيرِي حتّى أحُـلَ ساحـةَ الميـدَانِ

و لأنْفِيَنَّ مَطامِعِي ، و مَلايِسِـي و لأمنعنَّ مـنَ الكَّلامِ لسَانــيِ

و لأهْجُرَنَّ أحبَّتِي ، و مَعَــارِفِـي و لأقْطَعَنَّ عصَابـةَ المُجَـــانِ

و لأبْكِيَنَّ على الصِّبا و لَمَا مَضَى مِنْ غُرَّتِي في سَـالِف الأزمَـانِ

فَلَعَلَّ مَنْ شَمَـلَ العِّبَـادَ بفضْلِـه يُحْيِ الفُّؤادَ بكثـرَةِ الأَشْجَـانِ

يَا مَنْ إليهِ حسنُ ظنّـي قَادَنــي أنتَ المؤّملُ عندَ كـــلِّ أَوَانِ

فَامِنَنَّ عليَّ بما أؤْمِلُ منكَ يَــا مُعْطِي الجَّميلِ ومُسدي الإحسانِ (2)

و له كذلك من (الطويل):

(1) نفسه ص202

(2) نفسه ص203.

مُناي َو تَسوِيفي بِنَفســـي أذلّهـا و أُعملُهـا فيما علَيهـــا بِمَاهَـا

تَميلُ إلى حــظٍّ القُّـوتِ دارسٍ بحظٍّ منَ الدَّارِ التِي لا أنقضاهَـا

كأنّي للدّنيـــا رهيـنٌ بخدعـةٍ تخالفني يومًـا و يبقَــى وَبَالُهــَا

و ناشِئةُ اللَّيل البَّهيـمِ يَقُومُهَــا رِجالٌ أضَاعتْ فَرشَهَـا و حِجَالَهَا

سَوَامِـرُ أسدالُ الظَّلامِ ضَوَامِـرُ يِنيلِ مِنَ الأقْتَـارِ مِنهَـا مِثالَهَــا

و لاذَتْ بِمَوْلاها بَصائرُ فِكرِهَـا فَأنْعَشَهَا رُوحُ الحَّيَـاةِ و َعَالَــــهَا

فَلَمّا رَأَى مَـنْ آثَـرتُ يِحُبِّهَــــا دَوَامُ الأَسى مِنهَا عليهَـا رَثىَ لهَـا

فَعَفَى مرَاقيهَا و أوصَى سُهُولُهـَـا وَ حطّت عليه بِالوّجودِ و حالُهـَـا

نَعيمُ ذَوي الألباب، بُرهانُ صدقِهِم و لِي حالـَة ٌلَمْ يَنْعـم الله بَالـهـــا

كأنّي وَ نَفْس بين حربٍ و هـُدنـةٍ إذا سـاعَدَتني في السّهادِ بَدَاهـَـا

إذَا ذادها للوّرد حَادي وعِيدُهــــا أشـَــار إليها ضـدّهُ فَـأَزَاهــــــا

تُخَالفُنِي في كــلِّ أمرٍ أريـــــدُه و تَقْطعُ مِـن باليَميــن شَمَالهــــَا

فمَنْ لي بنفسٍ لا تَزالُ غَويَــــةً تساعِـدُ شيطانــًا يُريدُ ضَلالهـــَا

فَلو كَانَ لي التّخييرُفي بَدءِ خَلقتِي تَعَوّدْتُ مـن نفسِي فلم أرَ حَالهــَا

و كنتُ كَمَنْ لم يُبدِعْ الله خَلْقَــهُ فـلاَ علّة آسى عليهَــا و لاَ لـــهَا

ولو تَكنتُ فِي الدّارينِ حرًا مدلّلاً لنَغَصَ ذِكرُ المّوتِ عنـدي دَلالهـــَا

فلاَ كانتْ الدّنيا، و لاَ كنتُ قَبْلها فَمالِ ، و مَا للعيشِ فيهَا، و مَالهَـا(1)

و قال من (الوافر):

قَريـنَ الحُّـزْن ذُو هَـمٍّ يجُــــولُ أخـو سَهـرٍ إذا نَـامَ الغَفـــــولُ

دَؤومُ الكَــدِّ أَوَاهُ إذا مَــــــــا تَذَكّرَ مــا تَوَعَّدَه الجّليـــــــــلُ

عزوفُ النّفسِ عن شَهــَــواتِ دارٍ تميلُ لَها القُلوبُ و مَا تميــــــــلُ!

قريرُ العّيــنِ بالإخــــوانِ ، صَبٌّ غزيرَ الدّمــعِ بَســـــــام وصُول

سخِيَّ الكَـفِّ ليس بهــــا لديـهِ مِنَ الدّنيا، و إنْ جَلَتْ، بَخيـــــلُ!(2)

(1) ، نفسه ص204.

(2) المالكي "الرياض النفوس" ج1 ص 543.

رَحيبُ الصّدرِ ليس لَــــه ادخار ولا أهلٌ ، و لاَ ولَـدٌ يعـــــُولُ

فَعـولٌ ما يَقـــــولُ وكلّ ما أمـرٌ يدل ّعليه فهُـــو لَـه عَمُــــــــولُ

ذكِــيّ النّـــفسِ ذُو عقـْل ولُبٍ صَدوقُ اللّفظِ تفهمْ مَا يقــــــولُ(1)

وقال أيضا من (الطويل ) :

دَعَا مِـنَ الأوطانِ شوق مُبـــرِح فجـادَ عليه دَمْعُه وهـُو قاطــــــــرُ

عليه لِكِتمانِ المَودّةِ شاهـــــــدٌ من الوّجـدِ يبدي ما تَجْنِ الضّمـائرُ

عـزوفٌ عن الآمالِ بين ضُلوعـهِ بيْن الحَشا منْ لوعةِ الحُب بَاتــــرُ

ألاَ فَعَلى الدُّ نيا عَفَـاء يشوبـُـه طَلاقي لها مَـا ساعَدَتنِي البَصَائِــرُ

فإنْ أقبلَــتْ يومًا عليَّ بودِّهـــا فإنِّي لَمَا تولى مِـنَ البِـــــرِّ كافـرُ

لعَمـْرك َما في الدّنيـا شَيءٌ أُريـدُه سِـوى أنّـها نَـزلٌ وأَنيّ مُسَافـرُ(2)

وقال أيضا:

أَبصَــرَ بالقَّلبِ سبيلَ الرّشــــدِ فبـايَـنَ الأَصـلُ معـًا والوَلَـدِ

وَجَـدَّ في اليُّسـرِ إلـى رَبِّـــــــهِ مُشَمِـــراً يطْـلُب ملـك الأَبَــدِ

قد صَـــــارت الد ّنيا بأقطَـارِهـــا عليـــهِ كَالسِّجـــنِ فمنْهَا شَــرِدِ (3)

## 11- بكر بن حماد الِزناتي الِتاهرتي (-295هـ)

هو أنبغ شخصية في الشعر الغنائي بالمغرب (4) وهو يتزعم الحركة الزهدية في عصره (5)

يقول من (البــــسيط):

زُرْنَـا مَنَازِلَ قَومٍ لم يـَزورُونَـــــــا إنـّا لَفِي غَفلَـةٍ عمّـا يُقاسـُـــــونَا

لو ينطقُــونَ لقَالوا:الزّادُ ويْحَكُــم حلَّ الرّحـيل فمَا يرجـُو المُقيمُـونَا(6)

---

(1) المصدر السابق ج1 ص 543.

(2) المصدر السابق ،ص544

(3) ابراهيم الدسوقي ، جاد الرب ، شعر المغرب حتى خلافة المعز ص 156

(4) رابح بونار. المغرب العربي ناريخه و ثقافته ص 120.

(5) محمد الطمار ، تاريخ الأدب الجزائري ص 35

(6) رمضان شاوش ، الدر الوقاد . ص 90 . من شعر البكر بن حماد ، المطبعة العلوية بمستغانم ، 1966 . معالم الايمان ج2 ص 282

المـَّـوتُ أجْحفُ بالدّنيا فخْــرٌ بهـا وفِعْلُنَـا فِعْلَ قَــومٍ لا يَمـُــوتـونَا

فالآنَ فَابْكُـوا فَقَدْ حَقَّ البُّكـاءُ لَكُـمْ فالحامِلُــون لِعرْشِ الله بَاكـُـــونَا

مـَــاذَا عَسى تَنفعُ الدّنيا مَجْمَعُهَــا لَوكَـان جَمـْـعٌ فيها كَنْــزٌ قَــارُونَا(1)

ويقـــول أيضـــا من(الرّجــز):

أحِبُو إلى المّوتِ كمَا يحبُـو الجمـــلُ قد جَــاءَ نِي مَــا ليس لي فِيه حِيّلُ (2)

ويقول متأملا في هذه الدنيا وعن أن الخير يقل فيها من (الطويل)

لَقَدْ جفّت الأقْلامُ بِالخَلقِ كُلّهُـم فمـــنْهُم شَقِيّ خَـائِبٌ و سعيـدُ

تمُرّ اللّيالي بالنّفـــوسِ السّريعـةِ و يُبْـــدي ربِّي خَلقَهُ، و يُعِيـدُ

أرى الخَّيْرَ في الدّنيَا يَقِـلُّ بِكـثرَةٍ و ينقُصُ نُقصًا و الحَديثُ يزيدُ

فلو كانَ خيرًا قُل كَالخَّـــيرِ كلَّـهُ وأحسَبُ أنّ الخَّيرَ منهُ بَعيدٌ(3)

ويقول في السفر من غير زاد من (الوافر):

نَهارٌ مُشـــــرقٌ وَ ظَــلامُ لَيـلٍ أَلَحــــَّا بالبَيَـاضِ و بِالسَّـوادِ

هُمَا هَدْمـًا دائـمٌ عـــمر نـوحٍ ولقمـــــــانَ و شـدّادَ و عَـادٍ

فيَــا بِكرَ بْـنُ حَمَادَ تَعــــجَبْ لِقـــــومٍ سَافَرُوا مِـنْ غيـرِ زَادٍ

تَبِيتُ عَلـى فِراشكَ مُطمـــئنًـا كأنّــــكَ قدْ أَمنتَ مِـــن المِعَادِ

فيَا سُبْحانَ مَنْ أَرسَـــى الرّوَاسيَ وَ أَوتَــدَهَا معَ السّبعِ الشِّدَادِ (4)

ويقول في تفضيل بعض الناس على بعض من( الطويل):

تَبَارَكَ مَنْ سَاسَ الأُمورَ بِعلمِـهِ و ذَلَّ لـهُ أَهلُ السّمـواتِ و الأَرضِ

و مَنْ قَسَمَ الأرزاقَ بينَ عبَـــادِهِ وَ فَضَّلَ بعضُ النَّاسِ فيهَا عَلى بعضٍ

فَمَنْ ظنَّ أنَّ الحِّرصَ فيها يَزيدُه فقُولُوا له : يَزدَادُ في الطُولِ والعَرضِ(5)

---

(1) رمضان شاوش ، الدر الوقاد . ص 90 . من شعر البكر بن حماد ، المطبعة العلوية بمستغانم ، 1966 . معالم الايمان ج2 ص 282

(2) نفسه ، ص 76.

(3) رمضان شاوش ، الدر الوقاد . ص 92

(4) نفسه ، ص 76.

(5) نفسـه ص77

وله في ذكر الموت من (الطويل) أيضا :

لَقدْ جَمَحْتُ نفسِي فَصِدُت وأَعْرَضْتُ وَ قد مَرقَتْ نَفسي فَطَال مُرُوقُهـا

فيَا أَسَفِي مِنْ جُنَحِ لَيْـلِ يَقودُهَـــا وَ ضَوءِ نَهارٍ لاَ يـزَالُ سَيوقُهـــا

إلى مَشْهَدٍ لابُّد لي مِـن شُهُـــودِه وَ مِنْ جرْحٍ للمَّـوتِ سَوف أَذُوقُها

سَتَأْكلُها الدِّيــدَانُ في بَاطِنِ الثَّــرَى وَ يَذْهَبْ عَنْها طَيِّبُهَـا وَ خَلُوقُهَـا

مَوَاطِنٌ للقّصاصِ فيهــا مَظالِـــمٌ تُودَى إلى أَهْـل الحُقـــوقِ حقُوقُها

سَحَابُ المَنَايَـا كـُلّ يـــومٍ مُظـِلَّةٌ فقد هَطَلَتْ حَولـي و لاَحَ بَرُوقُها

وللنّفسِ حَاجـاتٌ تَرُوحُ و تَغتَـــدي و لكنّ أحاديثُ الزَّمَان يَعُـوقُهَـــا

تَجَهَّمْتُ خَمْسًا بعـــدَ سبعِينَ حُجَّـة و دامَ غروبُ الشّمسِ لي وَ طُلُوعُها

وَ أَيدِي المـَنَايَـا كلّ يـومٍ وَ ليلَـة إذا قتقت لا يُستطَـــاعُ رُتـُـوقُهَا

يُصبِح أَقوَامًا علـى حيــــنِ غفلـةٍ و يَأتيكَ فِي حِينِ البَيَاتِ طُرُوقُها(1)

وله في الوقوف بالقبور من (البسيط):

ِقف بالقبورِ فنادا لهــا مَدين بهـــا من أعظمِ بليت فيها و أَجسَـــــاد

قَومٌ تقطّعت الأسبَــاب بَينهـُـــــم مِن الوّصالِ و صَاروا تَحت أَطـوَادِ

رَاحُوا جَميعًا على الأَقدامِ و ابتكَـروا فَلَنْ يَرُوحوا و لنْ يَغدو لَهم غَـادِ

والله لـــو ردّوا و لـو نَطقُـــــوا إذًا لقَالوا : التُقـى من أفضَل الزّادِ

فَبرَزَ القـّومُ و امتـَدّت عساكِرهُــم كَمـَا يُوافُــوا لميقَـاتِ و مِيعَـــاد

مَــا بِالقلوبِ حَيـاة بعدَ غَفلتِهـــا وَ الله سبْحــانَـه منها بِمرصَــــادِ

أيْنَ البّقاء و هـذا المّوتُ يطلُبهـــا هيْهات هيْهات يَا بِكر بنُ حَمَـــادِ

بينَنا نَرى المَرء في لهوٍ و في لـــعبٍ حتّى نراه علـى نَعشٍ و أعــــوَاد

هـذا يُبَـاكر دُنيـَاه مَنْغصـــــةً فيها حَزازَات أحشَاءٍ و أَكبَــــادِ

وكلّنـا وَاقفٌ منها علَـى سَفـــرٍ و كنّا ظَاعـنٌ يَحتدو بهِ الحّــادي

في كــلّ يـومٍ نَرى نعشًا نشيّعُـــه فرائِحُ فـارقِ الأحبَـابِ أوغَـــادٍ(2)

---

(1) نفســـه ص76

(2) نفسه ص 80-82.

المّوتُ يَهدِم ما نبنيـهِ من بَــــــذخٍ فمَا انتظارُك يَا بِكـر بنُ حمــــاد(1)

- **12 سعـــيد بن الحدّاد (-302هـ)**

هو سعيد بن محمد صبيح أبو عثمان بن الحداد ،أخذ عن سحنون يقول:

ويُبصِرُني إذا ذُو المَــال يزهَـــــــى بِما يَحـوِي مِن المَــالِ الجّزيــــــلِ

أراهُ وكَــأنَّ عينيّ لا تَــــــــراه وأُعرِضُ عنه إعْراضُ الملُــــــول(2)

ويقول أيضـــاً من (الطويل ):

رَغبتُ بنفسِي عن دَنـي المَكاسِــــبِ ومَا أعجزَتنِي حيلَـةٌ عن مَطَالِبِـــي

فإنْ لمْ أنَل دنيَــا فقد نلتُ همّـــــة تَنـزُه نفسِي عـن دنِي المَكاسِـــبِ

أبَتْ همّتي إلاّ سُمُــوا إلى العُلـــــى وإنْ طَأْ طَأَ تْنِي حـادثاتُ النَّوائِـــبِ

تَرانِي وفِي صَـدرِي هُمُـومٌ كثــــيرةٌ ضَحُوكاً لأخفِي عَن جليسٍ وصَاحِـبِ(3)

وقال أيضا:

يَمنعـنِي من عيبِ غَيـري الّذي أعلمـــهُ فيَّ مــن الـعَّيــــبِ

عَيبِي لهُم بالظَــنِّ منِّي لهــــم ولسْـتُ مــن عيبِي فِي رِيــــبٍ

إنْ كـانَ عَيبـي غَـاب عنهُــم فقَد أَحصَى ذُنُـوبي عَالِمُ الغَّيْـبِ (4)

وقال أيضا

مازِلتُ من حَادثان الدَّهر مُتعجبـًا حتّى انقَضى عجبِي بعد الثَّلاثمائَـــه

لابَــارِكَ اللهُ فِي عَامٍ وفِي سُنَّــــةٍ كانَـــت لشَرِّ زمَـان كَــان مُخْتبئَــهْ

عَــادَت أسَافِلــهُ طُــراً أُعَاليـــهِ ولاَ أُعَـالِي إلاَّ وهيَ مُنكفِئَـــــــه(5)

وقال أيضا :

كَــمْ عسَاني أعِيـــشُ كم عَسـانِي كمْ عسَـــانِي أبْقى عَلى الحَدثَـــانِ

بَعدَ سَبيعـِيــن حُجّــة وثَمــانٍ قد تَوفَيتُهَــا مــنَ الأَزمَــــانِ

(1) نفسه ص 80-82.

(2) المالكي ، رياض النفوس ج2 ص 98

(3) نفسه ص99

(4)نفسه ص107

(5) نفسه ص110

يَا خَلِيــلي قَد دَنا الْمَــــوتُ منِّي فَابكيَــانِي هديتُمــا وانعيَــانِي (1)

**-13 أبـو جعفر أحمد بن نصر بن زياد الهواري (-307هـ)**(4) قال من ( مجزوء الرمـل):

لا يُعجِبـــكَ يـَا فتَـــــــى حُسْــنُ فَرْشٍ وَمُتَّــكـــــــا

إنَّ للعُــرْسِ فَرحَـــــــــةٌ بَعــدهَا النـــّــُوحُ والْبُكَــــا(2)

**-14 ابن عبد ربـه (-328 هـ)**

هو أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حذير بن عبد الملك بن مروان (3)

من أهل العلم والأدب والشعر صاحب كتاب العقد الفريد . قال في الزهد :

يَا عَاجِزاً لَيـسَ يَعفُو حيـنَ يقْتَـدَر ولا يُقضَى لَـهُ منْ عَيشِهِ وطَــرُ

عَايِـنْ بِقلبِك أنَّ العَيَّـنَ غافلَـــةٌ عنِ الحّقيقــةِ واعلَم أنَّــهَا سَقَــرُ

سَــوداءُ تُسفِـرُ إذَا سَــفِـــــرتْ للظَّاليـــنَ فـلاَ تَبقي ولا تَــذِر

لو لَمْ يكنْ لكَ غيرَ المَــوتِ مَوعظَة لكَــانَ فيهِ عن اللَّــذاتِ مزدَجــر

أنتَ الَمقــولُ لهُ مَا قلتَ مُبتدئــاً هــلْ ابتكــرَتَ لبين أنتَ مُبتَكــر (4)

وقال أيضاً:

ألاَ إنّما الدُّنيا عضّــارة أيكـــــة إذا اخضرَّ منهَا جَانِب جفَّ جَانــبُ

هيَ الدَّارُ ما الآمَـال إلاَّ فَجائعُـــه عليهَـا ولاَ اللَّــذات إلاَّ مَصَائِــبُ

وكَم سخنت بالأمْــسِ عين قَريرَةٌ وقرَّت عيُونٌ دَمعَهَا اليّوم سَاكِـــبُ

فَلا تَكْتَحِل عيْنَـاك فيهَا بِعبــرَةٍ على ذَاهِــبٍ منهَا فإنَّك ذَاهـــبٌ(5)

وما قاله في آخر أيامه :

كـلاني لَّمـا بِي عـَاذِلِي كَفَـانــِـي طَـويْــتُ زمَانِي بُرهَــةً وَطَـــوانِي

بُليتُ وابتَلتنِي اللَّيالِي وكرِّهَــــا وحرفَــان للأيَّــامِ مُعتَمِـــــــــرَانِ(6)

---

(1) نفسه ص111.

(2) العربي دحو. الأدب العربي في المغرب العربي ص 241.

(3) نفسه

(4) بغية الملتمس ج1 ص 193.

(5) نفســـــه.

(6) نفســـــه.

مَالي لاَ أبْلي سَبعيـــنَ حجَّـــةً وَ عشْر أتَـتْ منْ بعــدِهَـا سَنتَــانِ

فلا تَسألانِي عنِ تَبَاريــح َعلــّتِي و دُونِكمَـــا مِنّي الذي تَريَـانِ

إنِّـي بِحمـْـدِ اللهِ راجٍ لفَضلِـــهِ ولِي مِن ضمَـــانِ اللهِ خَير ضمَـانِ

ولســْـت ُأبالِي منْ تَبَاريحَ علّـتِي إذَا كَـان عقلِـي بَاقِـيًا وَ لِسَـانِي

هُما مَا هُما فِي كلِّ حَـالٍ تلِمُّ بِـي فَذَا صَـــارِمي فيها وذاك سنَانِي(1)

وقال أيضاً:

بادرْ إلى التَّوبةِ الخَلصَاء مُجتهـــِدًا والمَّـــوتُ ويْحك لمْ يمدُد لك يَدَا

وارقُبْ منَ اللهِ وَعدًا ليس يُخلِــفُهُ لا بدَّ لله منْ انْـــجَازِ مَا وَعَدَا(2)

وقال أيضا:

مَا قدّر اللــهُ هو الغَّـــالبُ ليــــسَ الذِي يَحسَبُه الحَّاسِبُ

قدْ صَـــدَق الله رَجاء الـوَرى ومَا رَجَـــــــــاءُ عندَه خَائِبُ

وأنْـــزلَ الغَّيث على رَاغِـبٍ رَحمَتُهُ إذَا قَنَــــــــطَ الرَّاغبُ(3)

وقال أيضا في القناعة:

تَجنّب لبَاسَ الخزِّ إنْ كنتَ غَافلاً ولاَ تَخــتَتِمْ يومًا بِفضٍ زَبَرْجَدِ

ولا تتطيّب بالغَّوالي تَعــــطُّرًا وتَسحَب أذْيَال الَّلاءِ الُمَعــضَّدِ

ولا تتخيَّر صيتَ النَّعلِ زَاهِيــًا ولا تَتَصــدر فِي الفِّراشِ الُمَهَّدِ

وكن هملا في الناس أغبر شاعـثا تروح وتغدوا في إزار وبرجـد(4)

## 15- أبو محمد عبد الله بن سعد اللحام (ت 331هـ) :

قال:

أزعجت عن لذّةِ القـُرآنِ يا سَنَدِي و ذَاك لَّما رَكبتُ الذّنبَ باللّــدِ

أتلُـــو القُرآنَ فأسهو عـن عجَائِبِه لشَهوةٍ قطعَت من عُـرَى كَبـدي

فَمَا سَلكتُ طريـقَ النّاعميـــنَ به قد صَار تِذكَارُهُم أحلَى من الشَّهدِ (5)

(1) الضبي " بغية الملتمس" ص 195.

(2) المقري " نفح الطيب " المجلد 4 ص 320.

(3) محمد رضوان الداية " ديوان بن عبد ربه".تحقيق.مؤسسة الرسالة .بيروت- لبنان. 1979 ص30

(4) نفســـه ص48

(5) المالكي ، رياض النفوس ج2 ص 276. وينظر إبراهيم الدسوقي ، جاد الرب "شعر المغرب حتى خلافة المعز" ص181

و طُول أنْسٍ بهم فِي وَقتِ خُلوَتِهـم يَتلونَه دائمًا قربًا من الصَّمَــــدِ

هيْهات يَا نفسُ أن تَحظى بِحالَتِهم و أنتِ مَخدُوعةٌ و الله بالرَّصـــدِ

أهجُرِ بِلادَك و كوني للذّنبِ بَاكيـةً و رَاقِبِي اللهَ فِي الأَلفاظِ و الجسَدِ(1)

16-**أبو الفضل مولى نجم(ت324هـ)**(2) قال :

ألاَ يَا عينُ ويْحكِ فَاسعَدي بسَكبِ الدَّمعِ في ظُلمِ اللَّيالِي

لعَلَّ في العَتَامَةِ أن تَفُوزي بخيرِ الفَّوز فِي تلكَ العَلاَ لي(3)

**17- محمود القطان (-334هـ)**

لا تَطمئِــنْ فإنَّ النَّــاسَ قد حَالُـــــوا واقبِضْ لِسانَك عمَّا قُلتَ وَ قَالُـــوا

و احذَر زَمانَك إذَا أخرْت عن زَمنِي بادِي النَّصيحَة إمَّا ملتَ أو مَالُـــوا

وابْكِ الدِّماءَ على مَا فاتَ من زَمــنٍ فيه الوفاءُ و فيه الدّينُ و المَـــالُ

للهِ أنتَ لقـــدْ غَدرتَ فِـــي زَمَنٍ أَغلَى ألف صائح آداب و أفضَـال

واقتَنِعْ بجلسكَ أنْ تقبَل نَصيحتَـهُ أو تصمتـنَّ فمَـا يَعنِيكَ تَسـأَلُ (4)

**18 - أبو بكر بن سعدون بن مسعود التميمي(ت 344هـ)** قال :

إذَا القُّـــــــوت تأتِــي لكَ و الصِّــــحةُ و الأَمـنُ

و أصبَحتُ أنَـا حـــزن فَـلاَ فَـارقَـــــك الحُّـــــزْنُ(5)

و قال أيضا :

الخَّيرُ أجْمَعُ فِي السّكوتِ وَ فِي مُلاَزمَـــــــةِ البُـــيوتِ

فَـــإذَا تَهَيَـــــأَ دَاوُدَا فَأقتَنِع بأقَّـــــــلِ قـــُوتِ (6)

وقال أيضا:

سِجنُ اللِّسانِ هو السلاَمَة للفَتَى من كُلِّ نَازلةٍ لَهَا استئصـــــالُ

إنَّ اللِّسانَ إذَا حَللْتَ عُقَالـــَـه أَلقَاكَ في شَنْعَاء ليــسَ تُقَـــالُ (7)

---

(1) المالكي، رياض النفوس ج2 ص 276. وينظر إبراهيم الدسوقي، جاد الرب "شعر المغرب حتى خلافة المعز" ص181

(2) نفسه ص 243.

(3) نفسه

(5) المصدر السابق، ص 418، معلم الأيمان.ج3ص53

(6) نفسه

(7) نفسه

**19 – يوسف بن عبد الله القفصي التميمي (ت 432هـ)** قال عن ذم الدهر:

وَمَا الدَّهرُ إلاَّ ليلةٌ بعـدَ يومهـــــا و نَجمٌ تَراه طَالِعًا ثُـمَّ أَفْـــلاَ

و قَرْنٌ جدِيدٌ خَلفَ قَـرنٍ وَدولَـــة تُعَاقِبُ أُخرَى لاَ يَزَلْنَ شَوامِـــلاَ

فلَو صَحّ لِي عَقلِـي بِمَا أنا واصِــفٌ لبِتُّ و جَنبِي لاَ يَمُـلُّ قَــلاقِـلا

ولو صَحّ لي عَقلي لَحِزْتُ خَلائِقــا أبالا ي بِهم الصّالحِينَ الأَفاضِـلاَ

ولَو كنتُ من دَارِي على كُنهِ عِلمِهـا و قد ذُقتْ منِّي اللُّهاةُ حنـَاظِـلاَ

لأَعرَضتُ عنها حينَ أولتْ إسَــاءةً و جازَيتُها بِالصَّــاعِ صَاعًا مكَايلاَ

ولـو أنَّ لِي قَلبًا يَعِـي لتَقطَّعَـْـتت علاَئِق دُنيَـــــايَ فيِتْـنَ زَوَائِـلاَ

ولـو أنَّ لِي سَمعًا قـدِ أَسمعُ الــبلَى للبَّيتِ مِنهُ المُنـــــذِرات العَواذِلاَ

ولـو أنَّ لِي عينًا تَـرى بدَالَــــه لأَجرْتُ بِنحرِي مِن دُمُوعِي جَدَاولا

ولـو أنَّ لِـي نفسًا عليّ عــزِيزَةٌ لكسَبَتُها تلك الكُسُــوب الأمَائِـلا

ولـو أنَّ لِي إلفًا حَميمًا لَحَــاد بِي عنِ الرِّق للدُّنيـا إلـى العَتقِ مَائِلاَ

لـو أنَّ لِي رَأيًا يُعَــاشُ بِمــثلِه تَخَيَّـرتُ أحـوالاً بِــه و مَنَــازلاَ

لـو أنَّ لِي سَعيًا جمِيلاً لَمَال بِـــي إلى الكَدِّ حتّى يترُك الجِّسمَ نَاحِلاً

لو أنَّ لِي أَدنَـى حياءٍ لَهَـــــدنِي ودَاعِي أترَابًا و خدْنا مواصِـــــلاَ

وفقد تقَاة مِن حمِيــمٍ و جِيـــرَة تولُوا فمَا عَاجُوا على الرَّواحِـــلاَ

و فَوالِي أيَّام الحَّيَــــــاة و لم أف و أصبحتُ عنهُم لاَهِي القَّلبِ ذَاهِـلاَ

إذا ذَكرُوا رِيـعَ الفُّـؤَاد لذَكَّرَهُــم وَهيَّجَ أشجَانَــا لَـه وَبَـلايِـــــــلا

و لو لم يَكُن بِالوجهِ مِنِّي صَلابَـةً لَوَقرْتُ شَيبًا بِالغَــادِرِينَ مَاثِــــلاَ

لو أنَّ لِي حِسًّا لأَحسسْتُ لِبلَـى دَبِّيًا بجسـمٍ قدْ أحَـالَ الشّمَائِـــلاَ

و لو أنَّ لِي حَزمًا لأعدَّدتُ جَنــَّةً بها أتُوقى الحادِثَـات النَّـــــوازِلاَ

و ما جنَّــةُ المُستَجن يعدهَـــــا بأَحصَـنِ أركَـان وأزكَى نَوافِـــــلَ

من البِــرِّ إنَّ البرَّ للمرءِ مَعقَــلُ بعيـدٌ منَ الآفَاتِ فَاقَ المَعَا قِــــــلاَ (1)

---

(1) المصدر السابق، ص 278-280.

ومن قوله :

صَافِي الجَّليل مِن العِّبـادِ رجَـــــــالاً		مَدُّوا الهُمومَ و قَصَّرُوا الأَمَــــالاَ

عَرفُوا جـَلالَ مَليكِهم بِحقائِــــــــقَ		فَتحَمَّلـُوا لِجلاَلِـهِ الأَثقَــــالاَ

أَنسَوا به دُون الـوَّرى و تقرَّبـــــــوا		منه فأَخمَلَ ذِكـرَهم إخمَــــــالاَ

مُتَنَعِّمِينَ بذكــره فَبَذِكـــــــــــرِهِ		قَطَعُوا الشُّهورَ و أَفْنوا الأَحـــوالاَ

مُتَعَبِّدِيـنَ لــه تَعَبُّـدَ ذِلَّــــــــــةٍ		مُتَسربِلِينَ منَ التُّقىَ سِرْبـــــالا

صَمت عنِ الفَّحشَاء إنْ مرَّت بِهـــم		يَومًا و إنْ قَالُـــوا فَطابَ مَقَـالاَ

قد أَودَعوا عِلمًا خفيّـًا فاجتَنـــــوا		مِنه ثِمـَـــــارًا تُعجزُ الجُّهَـالاَ

و هُم إذَا مَا اللَّيل أقبَـل أقبَلـــــوا		متجلِّلِينَ منَ الظَّـــــلاَمِ جـَلاَلاَ

يتَسابقُون إلى القِّيـامِ قد امتَطُــــوا		ظَهرَ الظَّلامِ و أنصَـبُوا الأَوصَالاَ

تَكَسَّبُوا الرُّؤُوسَ على الصُّدُورِ وهيَّجُوا		شَجَوا يَقْرُبُ منهُـم الآجَــــالاَ

للهِ دَرُهُــم عِصابَــةَ عِصمَـــــــة		لـو لا هُـم صـــــبَّ العَّذابَ وَبَالاَ

تَحيا القُّلوبُ بذِكرِهِم من مَــوتِها		وإذا رَؤَوا ذكر الإلَـــــــه تَعَالاَ(1)

و قال أيضا :

يِعيشِكَ أَجسَاد أضرّ بِهـا الكَـــــدّ		وطُولُ السـرَى في وَاللَّيلُ مُمْتَدٌ

إذا رَجَعُوا فِيــه الحَّنيــن فَرَقَّقُــــوا		تَجَدَّدَ وَجَدَّ مِنهُم دُونَــه الوّجــدُ

يَنوحونَ إشفَاقــًا و يشجُّــونَ رِقَّــــةً		تَشوَّقُ مَوعُـودٍ إذَا نَجَـزَ الوَّعــــدُ

قِيامًا علــى الأقدَامِ طورًا وتَـــــارةً		يَجرّونَ أقدامًا نَحَا نَضْوَهَا الجُّهــدُ

رُكُوعًا سُجودًا و الأكفُّ شَــــوارِع		خُضُوعًا كمَـا يخذي لسيّدةٍ العَّبــدُ

سُـراةٌ إلى مَأمُولِهِـم ما لَحـــاجِهِم		سِواهُ و لاَ مِـن بعدهَـا لهُـم بَعدُ

إلى منْ إلى مَعرُوفةٍ ينتهِي الُمنـــــى		و منْ نحوِه الآمَال تَسـوءُ و تمَّتـدُ

قد بَذَلُو المَجهودَ فيــه إذ أيْقنُـــوا		بأنَّ ليس يومًا مـنْ مُلاقاتِـه بُـدُّ

و صَانُوا وَجوهًا لم تَخلقْ صفاحهــا		قَبائِحُ أعمَــالٍ عواقِبهَــا نَكَـدُ(2)

---

(1) المصدر السابق ، ص 278-280

(2) المصدر السابق ، ص 280-281.

**20- أبو المعمور محمد بن حمزة الربيعي (-265هـ)** قال من(البسيط):

المّـوتُ لا بــدَّ آتٍ فاستَعدْ لـــــهُ إنَّ اللّبيبَ بذِكـــرِ الَّموت مَشغُولٌ
وكيفَ يَلهُــو بِعيشٍ أو يَلِــذُّ بِـــه منَ التُّـرابِ على عينِهِ مَحمُـــولٌ (1)

**21-أبو الخير العبد * (-348هـ).**

مَـــا الدَّ هــرُ إلاّ ليلـــــــــةً منْ بعــــــدِهَـا يَـومٌ جَـديـدُ
وكِـــلاَ هُمَـا بِكَ فَاعِـــــــلٌ مَا لاَ تُـــــريـدُ ومَـا تـرِيـدُ (2)

**23-أبو القاسم الفزاري(- ؟ ):**

تلفَــعُ في مُفَــارقَتِه القَيْتَـــــــرُ وَقَــوسٌ غُّصنُه اللـّـونُ النَّضــرُ
وليـــس يُؤدِبُ الإنسَـانَ شَـــيءٌ كَتأْديـبِ الحَـــــوَادثَ إذا تَــدُورُ
وإنّ بِبابِك اللَـــــهُمَّ عبــــــدًا منَ الخُـذلان أصبَـــحَ يستَجـِير
دعَــاكَ وقدْ رجَـاك فَصنْهُ معــــًا يُحَـــاذِر ذو الُمــــــراقبَـة الحَـذُور
ولا تُسلِّمـــــــهُ للـدُّنيا فتَهـوَى به منهَــــــا بُطُـونٌ أَو ظُهُــورَا
سَلامتُهـا وإنْ دامَـــتْ سِقامًــــا ونِعْمتُها وإنْ راقَــــــت غُــرُورَ
ومَرعَاهَـــا لرَاعيهَـا وَخيــــــمٌ وكَثرَتـــــــــهـا لمكرهَـا يَسيـرُ
سَتر المَـرء يومًـا ثمّ يغـــــــدُو فَيسلِـــــب مَـا أتَـاح لـهُ الـرورُ
وإنْ واتَتْـــكَ إقبَـالاَ ونِعْـــمَى فعُقبَــــاهَـا الفَّجـائِعُ و القُّبُــورُ
وكلُّ الخَيــرِ فيهَــا مستعَــــار وسَـــــوفَ يُـرَدُّ ذاكَ الُمسْتَعيــرُ
وإنّ عزيــزَهَـا عمّا قليــــلٌ ذليـــــلٌ ، والغنيُّ بهَـا فَقيـــرُ
وكلّ مؤمَــل أمَـل طويــــلٌ وعُمــــــرٌ لـو تَأمَّلَــه قَصيرٌ
وبعدَ الَّموت أهْـــوالُ عظَـامٌ يَشيـبُ لبعضِـها الطِّفلُ الصَّغـيرُ
وتَذهَـلُ كـلُّ مـرضعةٍ لكــربٍ ليــــومٍ فيـهِ شـــرٌّ مُستَطِـــرُ
وبعـدَ الَّـــوتِ للأرواحِ إمَّـــا نعيـــــمٌ في الكّـرامَـةِ أو سَعيـرُ(3)

(1) القاضي عياض ، تراجم أغلبية ص 329.

* المعروف بالتيناتي الأقطع . صوفي من أصحاب الكرامات من أهل المغرب.ينظر رياض النفوس ج2 ص439

(2) المالكي ، رياض النفوس ج2 ص 439

(3) إبراهيم الدسوقي ، جاد الرب ، شعر المغرب حتى خلافة المعز . ص 267 .

**23- بن هانـــــــــي (-362هــ):**هو الحسن بن هاني من أصل عربي نشأ في الأندلس ، ولكنه استقر بعد ذلك بموطن والده المهدية في بلاد المغرب لميله للفاطميين(1).

يقول في ( المتقارب ) :

ألاَ كـلُّ آتٍ قَريـبُ المَــــدى وكـلّ حيـــــــــاةٍ إلى مُنتَـــــهَى

وَمَا غَـرَّ نفس سِـــوى نَفسَهـــا و عُمرُ الفَتى منْ أمَاني الفَتـــــــــى

فَأقْصِـــر في العَيَـــنِ من لفتَـــةٍ وأسْـــــرِع في السّمع مـــن ذَا ولاَ

ولم أرك المَّـرء وهـــو اللّبيـــبُ يَرى مِـــــــلءَ عينَيهِ مَـا لاَ يَـــرى

وليس النّواظِـــرُ إلاّ القلُـــوب و أمّا العيُـــون ففيهَـا العَـــــمى (2)

**24- أبو عبد الله محمد بن أحمد الخيّـاط الواعظ ، المعروف بابن قمرة (-386هـ)***

قــــال :

مَـاذا تقُول وليـسَ عندَك حُجّـة لــــــوفدٍ أتَاك منغّـــصِ اللّـذاتِ ؟

مَـاذا تَقول إذا دُعيـتَ فلمْ تُجِـبْ وإذا سُئلتَ وأنتَ في غَمَـــرَاتِ ؟

مَـاذا تقُول وليـــسَ حُكمُك جائِزاً فيمَـا تُخلِفـــه مـــنَ التَركَات؟

مَـاذا تقُول إذا حلَلــتَ مَحلــّـةً ليس البُغَـــاةُ من أهلِهـــا بثُقَـات؟(3)

**25 - أبو عبد الله محمد الأرشاني المتعبّـــد (-387هـ).** قـــال:

أرضَ بقــوتٍ تعشْ عزيــــزاً سقيَــــــــا لحركـاه قـوتٌ

لم يَـرغبْ الــرّاغبُ المعنـّـى حـــــسبُك فالـرّزقُ لا يمـوتُ

أحسنــتُ ظنّي فطَـــاب عَيشي عِلمـــــاً بأنَّ غــدًا أمـوتُ (4)

**26 - أبو عبد الله محمد بن اسحاق بن القبان (-397هـ):**

المَـوت لابدَّ آتٍ فاستعــدْ لــــهُ إنَّ اللّبيـبَ بذكـرِ الّموتِ مشغولٌ(5)

---

(1) الدكتور عبد الله شريط." تاريخ الثقافة و الأدب في المشرق و المغرب" ، المؤسسة الوطنية للكتاب ط3. الجزائر1983 ص 295 ، 297.

(2)ديوان بن هاني ، ص 27

*ترجمته في معالم الايمان ج 2 ص 108

(3) نفســه

(4) نفســه ص130

(5) نفســه

وكيفَ يلهُــو بِعيشٍ أو يَلَــذُ ّبه من التـّراب على خدَّيـه مجبُول(1)

**27 - أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيـّوب الباجي القاضي(- 474هـ)**

فقيه محدّث إمام متقدم مشهور، أصله من بطليوس ، ثم انتقل إلى باجة الأندلس ثم باجة أخرى بمدينة إفريقية و باجة أخرى ببلاد أصبهان .... (2)

قال في الزّهد :

إذا كنـتُ أعلـمَ علماً يـقـينـًا بأن ّجميــعَ حيــاتِي كسَـاعَـه

فلم لا أكـونُ ضنـينًا بهــــا وأنفقهــا في صَـلاح وطَـــاعه (3)

**28- الرقـيـق القيرواني (- 425 هـ)** : يقول( الطويـــل)

أهـوَن مـا ألقَى وليس بهيـِّــــن بـأنَّ المنايـا للنُّفـوسِ بمـــرصَـدِ

إنـّي وإنْ لم ألقـَـك اليومَ رائـحاً لصَـرْفِ رزاياها لقيتُك في غــدِ

فلا يبعدنـّـك الله ميتــاً بقفـرةٍ مُعَقر خـدٍّ في الثّـرى لـم يوسّـدِ (4)

**29- ابن أبي الرّحـــال (- 425هـ):**

هو علي بن أبي الرجـال الشـيباني يُكَّنىّ أبا الحسن (5) قال في الـزّهد:

أمـن الزّمـانَ زمانـه العقــلُ فاخْـش الإلهَ وحُــدْ عنِ الجـّهـلِ

واعــلمْ بأنَّ في الحِّسـاب غـداً تجزَى بمَــا قـدَّمـتَ من فعــلِ (6)

وقال أيضاً :

وألـزِمُ نفسـي الصّبـرَ أباً لعلّـني أعايـنُ مـا أمّلت قبــل مَمَاتي

ألا إنـّمـا الدّنيا كفـافٌ وصحّـةٌ وأمنُ ثـلاثٌ هـنَّ طيـب حياتِـي(7)

**30-ابن شــــرف (- 460هـ)**: هو من وجوه الأدب الزاهيـّة في القيروان في القرن الخامس .وصاحب مؤلف

---

(1) معالم الايمان ج 3 ص 130

(2) الديباج المذهب . ص 126

(3) الديباج المذهب ص 126. نفح الطيب المجلد 2 ص 74 . بغية الملتمس ج2 ص 14. الخريدة . ج2 ص 557.

(4) الموسوعة الشعرية الإصدار الثالث (قسم الدواوين الشعرية) .

(5) المغرب العربي ، تاريخه و ثقافته ص 302.

(6)المصدر السابق ص302

(7)نفســــــه

أبكار الأفكار(1). يقول:

سَأبقى على الدّنيا بصولةِ مِحرَابِ وإلاّ علـى الأخرى بوصْلَة مِحرابِ

ولا خيرَ في عيشٍ يكونُ قوامـُــه بمحنةِ مكـــــذوبٍ ومَدحـةِ كـذّابِ (2)

## 31-عبد الرحمن أبو القاسم بن محمد الحضرمي المعروف باللبيدي(- 440هـ)

هو من مشاهير علماء إفريقية ومؤلفيها...، توفيّ بالقيروان(3)، قـــال:

أنتَ العَلـيّ أنتَ الخَالـقُ البَـارئُ أنتَ العَّلـيمُ بما تُخفيـه أسْـرَارِي

أنتَ العَّليـمُ بِما في الخّـلق مقـدرة في وسعِ عيشٍ وفي بـؤسٍ وافتقَـارِ

عسَى المليكُ يذود النّفس عن عطبٍ يجلو العَّمـاء بتوفيــقٍ وأنــوارِ (4)

## 32- بكـــار بن داوود المرواني (440هـ -؟)

ثـقْ بالـذي سَـــــــــوّاكَ عَـــدَمٍ فإنّـــــــــكَ من عَـدَمِ

وانظرْ نفسَكَ قبل قـــــرْ عِ السِّـــــــــن من فَـرطِ النـّدَمِ

واحذَرْ وقيتاً من الـــــــوَّرى واصحَبهـُـــــــــم أعمَى وأصَّـــم

قد كنــتُ في ننـه إلـــــــى أنْ لاحَ لي أهــــــــــدَى عِلـم

فاقـتـديــت ُنحـو ضِـــيائِـه حتّى خرجـــــــــتُ من الظــلمِ

لكــنَّ قناديــلَ الهَّـــــوى في نورِ رُشـــــــــدي كالحٌمـمِ (5)

## 33- ابن رشيـــــــق (-463هــ):

هو أبو الحسن بن رشيق المسيلى من مقاطعة الــزّاب الجزائرية (6) قال في القناعة :

يَعطي الفتَى فينَـــال في دعــــــةٍ مـا لـم ينَـلْ بالكَـدِّ والتـّعبِ

فاطلبْ لنفسِـك فضـلَ راحتِـها إذْ ليســت الأشيــاءُ بالقلـبِ (7)

ويقـــول أيضــاً :

---

(1) ع.الله شريط "تاريخ الثقافة في المشرق و المغرب" ص 321.وترجمته كذلك في "المطرب من أشعار أهل المغرب "ص66

(2) موسوعة الشعر الجزائري م2

(3) (4) الديباج المذهب ص 168.

(5) " المغرب في حلى المغرب "ج1 ص418.

(6) رابح بونار ، المغرب العربي تاريخه و ثقافته ص 304

(7) نفســـه

تُنازِعُــني النَّـفسُ على الأمـورِ وليس مـنَ العَّجـز لا أنْشَــطِ

ولكنَّ بمقـدارِ قـُـرب المكـــانِ تكونُ سلامــةُ مـن يسقُـــطِ (1)

## 34- علـــي الحصـــري القيرواني (-488هـ)

قال في الزهد :

دَهــرٌ حوادثُــه شَتّى الأَحاديــــــثِ فاسْمَعْ لما شئتَ عنْ نوحٍ وعن شيث

وسلْ عن ابن التّرابِ البِّكرِ كيفَ هَـوى فأصــبحَـتْ قـوّة فـيه لتنكِيتِ

تَغـــرُّنا دارنـــا الدّنيَـا بزُخــــرفِها ونحن فِي طلـــبٍ للمّــوتِ محثُــوثٍ

ما أتعبَ النّـَاسَ أحياءٌ وأ رواحُــــهُـم موتَى لـو أنَّ رميــماً غـير مبعُوثِ

لهــولُ يـومٍ عصيبٍ لا مَـردَّ لـــــه تراهُـم كفـراشِ فـــــيه مبثُـوثِ

وكأس ثكــل على ريّ شـربت بهـا فَرُحتُ مــنها بتمرِ يـضٍ وتَمريـثِ

قالوا أفِــقْ لعــلا يُؤذيـك قُلتُ لـهُم لا يؤلِـمُ المنتَـشِي عـضّ البراغيـثِ (2)

وقال أيضـــاً: السّــريع

لا أشتَهي الدُّنيـا و لـو أ نّــني متـوّج ُأمـــــــــلك ُ أجـوَازهــَا

حَـل ّ بأجفانِـكَ مَـا راعَني فكـــــيف أستَحسِـن ُ أجوازَهــا(3)

وقال في المتقارب :

إذا رُعـظَ السّـَهم أو عَـظْعَـظَا فسَهـــــــمُ المَنيَّـة لـن يُـرْعِـضَـا

نهيـض العسـي ّ علـى نايِـــلِ ويصـــــمي القـصي ّ وإنْ أجعَـظَـا

تكـذِب هَيهات دعــوَى عَسـى فحسـبُ المُؤمّـــل أن يُـــــوعظَـا

ويفــرَحُ بانَ بحسنَـاتِـــــــه ولو ذُكـر المّــوتُ ما أمْـَـــــــظا

هو المّوت لا بُدّ مـن سَهـمِــه فكيف ادّرَعْـن لـكي يُــدلَـــــظَـا

وكيف جَرَّرنــا طِــوالُ القّـــنـا على كـل ّطـرف ٍ سليـمِ الشَّظـى(4)

---

(1). رابح بونار ، المغرب العربي تاريخه و ثقافته ص 304

(2) الموسوعة الشعرية الإصدار الثالث (قسم الدواوين الشعرية).

(3) نفســـه

(4) نفســـه

وأنّ المنـايـا ليدركَـنَّ مـن وَنَى في الطّـريـقِ ومـن أركَضَا

قَـضَـاءٌ من الله لا عاكِـظاً إذ جَـاءَ يأمَـن أن يَـعكِـظا

تنـاحَ لمن حـظى الحَّتـفَ منـه وليـس بنـافِعـه أن حَـظَـا

فيصـرعُ ضرباً وإن لـم يجَـل ويصـرعُ حربـاً وإن ألَمـظَـا

أيا شَامتـاً بـورودِ الـرّدى سيُـوردكَ الحَّوض من أبهـضَـا

رَمَاني الزّمـانُ إلـى غربـةٍ أُعاشـرُ فيهـا العدى الغَيّـظا

مـع القَـارظيـن بهـا عـدّتِي وأقسـم لا تَـرجِـعُ القَـرَّظـا(1)

وقال أيضاً : (مخلع البسيط)

دينُـك أَعلى العلوق عَلْقـاً إيّـاك بالبّخـسِ أن تبِيـعه

صـراطٌ ذوالعّـرش مستقيـمٌ مَـن يمـشِ فيـه يكـن تَبيعه

واحذرْ مـن الدَّهرِ طارقـات لـم يخل ُ منهـا ذ ُرَى وقبعه

وقائـعُ الدّهـرِ فيّ شتّـى وهـذه سِـرّها وقِيـعَـة (2)

وقال أيضاً (المتقـارب ):

هو الدّهـرُ يـبكي إذا أضحَـكا فمَـالك تَضحـكُ ممّـنْ بَكـى

أيشمُتك اليوم شكوى امـرئٍ لعلّـك تشكـو غـداً مـا شَـكـا

رأيتُ العِـدا هَلَـكـوا فاكتَرَثْـ ـتُ وقلـتُ كـذا أرد المَهْـلَـكا

وما سَـرّني العيـشُ بعـدَ العِدَا إذا المّـوت من فـاتَـه أدركا

إذا ذ ُكـرَ المـوتُ ذا عبـرةٍ وهـم بخيـرِ التقـى أمسَـكا

أَخو العِـزّ متخـذ ليلَـه نهـاراً ومنزلَـه مَنسـكَـا

فشـرٌّ من المّـوت عيـشُ أذل وخيرٌّ مـن الحُـرِّ عبـدٌ زَكـا

خذْ العـُرف وأترك المُنكَـرا ت وانظرْ لتـأخـذِ أو تتـركَـا

ورحْ و اغـْدُ للعّلم دأبـاً ثـرت به العِـزَّ والنَّسـب الأبـركَـا (3)

---

(1) الموسوعة الشعرية الإصدار الثالث (قسم الدواوين الشعرية)

(2) نفسـه

(3) نفسـه.

فما الكَنْــزُ إلاّ هَديُ عالِــمٍ ولا الفقـرُ إلاّ غِنـى أ نــوكَـا

هــو الله فاعتقِـدنّ اليّقيــنَ وخَـلِّ الزَّنـــادقـة الأفــكـا

وسَلْهُـم بمن مَـات أوعاشَ هـل سِــوَى الله سكّـنَ أو حَـرّكَـا

أفِي الله شــكٌ تعَالى اسمـــهُ لقـد خـَاب ذو خبرةٍ شكّكَــا(1)

**35- أبو الصّلت أمية بن عبد العــزيز الدّاني* (-529هـ)**

ذكر صاحب الخريدة في "باب في ذكر عدد من شعراء المغرب من أهل العصر"(2) والذي عاش عشرين سنة في اشبيلية و عشرين سنة في إفريقية وعشرين سنة في مصر (3) قـــال في الإعتبار :

حَسبِي فكَم بَعُدت في الله أشواطِي وطَـال في الغَيِّ إســرَافي وتفريطي

أنفقتُ في اللّهوِ عُمري غيرَ مُزدجِرٍ وجَـدتُ فيه فوقـري غيرَ مُحتــاطِ

علِّي أخلُصَ من بحرِ الذُّ نوبِ وقد غرقتُ فيه على بعدِ من الشّــاطـي

نعم ومالِي ما أرجو رضَـــاك بـه إلاّ اعترافِي بأنّـي المذنبُ الخَـا طي (4)

ويقول أيضا : (الطويـــل)

تضَـايقُنـا الدّنيا ونحـن لها نَهبُ وتوسِعنا حربًا ونحن لهـا حــربُ

وما وَهبَـت إلا استردَّت هِبـاتَهـا وجدوى اللّيالي أن تحققتهـا سُكبُ

تُؤمـل أن يصفو بهـا العيشُ ضلـة وهيْهات أن يصفو لسَاكِنها شَــربُ

إذا سَبِقَــت دار بأهْــلِ مَــودّة رغا بثنائِي الــدَّار بينهُــم سقبُ

ألا إنـّمـا أيَّام الحياةِ بأسرِهـــا مــراحِلٌ تطويــها ونحن بِها رُكـبٌ

مَـا أن أنشَبت كـفّ المَنيـّةِ ظُفرَهـا فَيُنــجي طَبيب من شبـَاهـا وطِــبٌّ

ولا وألــت من صيدِها ذاتَ مخـلبٍ به كلَّ حينٍ من فرائِســهَـا خلــبٌ(5)

(1) المصدر السابق.

* ترجمته في" تحفة القادم" لابن الأبار ص6

(2) خريدة العصر ج2 ص 430

(3) نفح الطيب المجلد 2 ص 105.

(4) (5) خريدة العصر ج2 ص 430.

ولا حيــدَر ذو لبتيــن غضــنفَــر له من قلوبِ الأرضِ في صَدرِه قَلبُ(1)

وقال أيضاً :

سَكنتُكِ يـا دارَ الفَنـاءِ مُصدقــاً بأنّي إلى دارِ البَّقـــاء أَصيــرُ

وأعظمُ ما في الأمر أنيّ صـائــرٌ إلى عادلٍ في الحُكم ليــس يجــورُ

فيَا ليتَ شِعــري كيفَ ألقاهُ بعدهَـا وزادِي قليــلٌ والذُّنــوبُ كثيــرُ

فإن أكُ مجــزِياً بذَنبي فإننـــّي بـِحَــرّ عذابٍ المُذنبيــنَ جديرُ

وإنْ يَـكُ عفوًا ثمّ عيــنٌ رحيمـةٌ فثـــمّ نَعيمٌ دائـمٌ وسُــرورُ (2)

## 36 - بن حيّـــوس (-570هـ)

شاعر المغرب الأقصى(3) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن حيـوس ،قال في القناعة :

ولا تَحــرِص قفـرب فَتَــى مُضَـــاعٍ عنـد مَـا حَـرصَ

وحِــرصُ الطَّائــرِ الوَّاقـــ ـعِ صيــــرَ جَـوّهَ قَفَصَـا (4)

## 37-أبو بكر بن مجـــبر * (-588هـ)

قال في القناعــــة :

ألا مـقت الله سعـــي الحريـصِ فـَمـا جــازَهُ الــذمُّ إلاّ إليـهِ

يُسَـرُّ بمـا في َيـدي غـــيـرِه وينسى السُّرورَ بمـا في يَديــهِ (5)

## 38- أبو الحكم المغربي المريني **(-549)

يقول في الموت:

وللمنـايَـا مواقيــتٌ مُقَـــدَّرةٌ وذاك حُكـمٌ جرى في سالـفِ الأَبَدِ(6)

(1) المصدر السابق ص430

(2)نفح الطيب ج3 ص 297.

(3) ابن دحية الكلبي "المطرب في أشعار المغرب" ص 199.

(4) المصدر نفسه ص199.

* الفهري الذي كان بمراكش وتوفي بها.. ينظر نفح الطيب المجلد 3 ص237.وينظر "بغية الملتمس ج2 ص309

(5) الموسوعة .

** ترجمته في الخريدة ج2 ص488

(5) الخريدة ج 2 ص 493.

(6) ابن الأبار "التكملة لكتاب الصلة "ص 238.

ولم تَزل أسهُــم الأقــدارِ صائبــة ولا سبيــلَ إلى عقــلٍ ولا قـــودِ (1)

قال في محاربة النّــفس:

قــولُ المَّشيبِ يُعـارضنِي ولـــــمْتِي يا نفسُ فازدجِـــري عنِ اللــذَّاتِ

ودَعِـــي الحيَــاةَ لأهلِهَا فجهِّـــزِي يا نفسُ ويــك تجهــز الأمــوَاتِ

فلقد نَصحتُكِ إن قَبلْــتِ نَصيحـَتِي ولقد وعَظْتُــكِ إنْ سَمِعــتِ عِظَاتِي(2)

## 40 - محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن الصغير الأنصاري الخزرجي(569/559هـ)

ويكنى أبا العباس من سراقسطة....نقله أبوه إلى سبته فأقام بها مدّة ....توفي بمراكش (3)

قال في الرجاء والدّعـــاء:

إِلَهِي لكَ المُلْــكُ العظيــمُ حقيـقــةً وما للورَى مهمـا منعــتَ نَصِيــرُ

تَجافــى بنُوا الدّنيـَا مكـانِي فَسَــرّني وما قـــــدرُ مخلـوقٍ جِـــزَاهُ حَقِيـرُ

وقالــوا فقيرٌ وهو عـندِي جَلا لــــهُ نَعَـمْ صَدقُــوا إنّـي إِليـكَ فَقِيـرُ (4)

## 41- عبد الحق بن عبد الرحمن (-581هـ)

يعرف بابن الخرّاط .....نزل بجاية عند الفتنة الواقعة بالأندلس ، عند انقراض الدولة اللّمتونية (5)

قال في الوّعظ :

إنَّ في المّـوتِ والمَعَـاد لَشغــــلاً ادّكـَارًا لـذِي النـُّهـى وبَـلاَغـَـا

فاغتنِــــمْ خُطّتيـــن قبـل المنـايـا صِحـّةَ الجِسم يـا أخي وَ الفرَاغـا(6)

## 42- عبد الرحمن السهيـلي (-581هـ)

هو أبو العفاف أبو زيد عبد الرحمن بن الخطيب ،كان يتســوّغ

بالعفاف ويتبلـّغ بالكفاف حتـّى طلبه صاحب مراكش وأحسن إليه (7) قـال**في الزهد:**

---

(1) الخريدة ج 2 ص 493

(2) المصدر نفســه

(3)الإحاطة في أخبار غرناطة ج1 ص 82 ، الديباج المذهب ص 62.

(4) الإحاطة في أخبار غرناطة ج1 ص 82.

(5) ابن فرحون" الديباج المذهب" ص 193.

(6) نفسه.

(7) المصدر السابق ص 166.

يا مـن يَرى ما في الضّميرِ ويسمَـعِ — أنـتَ المعّـدُ لكـلِّ مـا يتوقّـعُ
يا من يـُرجى للشَّدائـدِ كــلـهـا — يـا من إليهِ المشتَـكَى و المَفـزَعُ
يا من خزائِنُ ملكِه في قَـول كـن — آمـنتُ فإنَّ الخيـرَ عنـدك أجـمَـعُ
مالي سـوى فَقـرِي إليـكَ وسيلَـة — فَبالافتقَـارِ إليـك فَقــرِي أَدْفَــعُ
مالي سِوى قَرعِي لبَابِـكَ حِيلَـة — فلئنْ رُدِدْتُ فـأيُّ بـابٍ أقـرعُ
ومن الذي أَدعُو وأَهتِفُ باسـمِـهِ — إنْ كانَ فَضلُك عن فقيـرِكَ يُمنَـعُ
حَـاشى لَمجـدِكَ أنْ تُقنِطَ عاصيـاً — الفضلُ أجزلُ والمواهـبُ أوسَـعُ (1)

## 43- أبو الفضل جعفر بن شــرف (-530هـ)

هو وَلَدُ أبي عبد الله محمد مصنـّف " أبكار الأفكار" (2)

قــال عند وفاته :

رَحَلْتُ وكنـتُ ما أعـدَدْتُ زادًا — و مـَا قَصّـرتُ عـنْ زادِ المُقيـمِ
فهَـا أنا قد رَحلـتُ بغـيرِ شيءٍ — ولكنّـي نزلتُ علـى كـريـمِ (3)

وقال أيضاً:

لعمرُك ما حَصلتُ علـى خطيـرٍ — مــنَ الدّنيا ولا أدركـتُ شيّـا
وها أنا خـارجٌ منهـا سلبـًا — أقــلــبُ نـادمـاً كلتَـا يـد يّـا
وابكـي ثمَّ أعلـمْ أنّ مَبكَـا — يَ لا يُجـدِي فأمسَـحُ مُقْلتَيَّـا
ولـم أجـزَعْ لهولِ المُوتِ لكـنْ — بَكـيتُ لقلَّـةِ البَـاكي علَيَّا (4)

## 44- عياض بن موسى بن عياض اليحصبي (-544هـ)

القاضي الإمـام المجتهد، يُكنّى أبا الفضل سبتي الدّار، أنـدلسي الأصل.....(5)

قال في طلب الصفح و الاستغفار :

---

(1) الديباج المذهب ص 168 ، الإستقصاء ج1 ص 190 ، وانظر ابن عساكر " أعلام مالقة" ص 251.
(2) المصدر السابق.
(2) الخريدة ج2 ص 601.
(3) نفسه.
(4) نفح الطيب ج3 ص 208
(5) الإحاطة ج4 ص 335

أعُـوذُ بربِّي مـن شَـرِّمَـا يُخَـاف مـن الإنْسِ والجنّـةِ
وأسْـألُـه رَحمَـةً تقـتَضِـي عَـوارِف تُوصَـلُ بِـالجنّـة
فمَـا للخِـلاّنِ مـن نـارِ سِـوى فضلُ رحمَاهُ من جنّةٍ (1)

## 45- أبي مديـن شعيب (-594هـ)

هو الشيخ سيدي بومدين شعيب بن الحسين الأنصاري الأندلسي الشّهير بأبي مدين المغربي (2)

قال في طلب الصفح و الاستغفار:

يا مَن علاَ فَرأى ما في الغيُوب ومـا وتحـت الثَّرى وظلامِ اللَّيلِ مُنسَـدِلُ
أنتَ الغيَّاثُ لمـن ضَاقت مَذاهِبـُه أنتَ الدّليلُ لمن حـارَت به الحِيَّـلُ
إنْ قَصدنَـاكَ والآمَـالُ واثقـةٌ والكـل ّيدعُوكَ مَلهُـوفٌ ومُبتَهِـلُ
فإنْ عَفوتَ فَـذُو فَضلٍ وذُو كَـرمٍ وإنْ سَطَـوت فأنتَ الحـاكمُ العَـدلُ (3)

وقال في التزود بالتقوى وطلب العفو والصفح:

إذا أنَا من زادِ التّقوى كنتُ مُعسِـراً ومن مُوبقَات الإثْمِ أصبحتُ مُوقَّـرَا
دعَـوتُ إلهِي ضَارعـًا مُتحقـراً أيا مَن تعَالى مَجـدُهُ فتَكبَّـرَا
بِعفـوِكَ يـَا ربّي عُبَيـدَكَ لائِـذٌ من السُّخطِ ينجُو بِالرّضى وهو عَائِـدٌ
أمـن بنواصي كلـّنا هـو آخـذ ومـن حكمه ماض على الخلق نافـذ
بناصيتـي خـذ بالهوى أنا شائـع ومـن بإحسـان فجـُودك واسِـع
وعبدك بالغفران والعفوِّ قـانع لك الحكم لا معطي لمـا أنت مـانع
تـدارك عُبيدا لم يـزل وهو هائـم بعهـد الصبّـا اعتلـته الجـرائم
وأنـت الذي تجري لديـك مسائـل إذا قلت كـن كان الذي أنت قائـل
وسامحـه انـه على الذنـب نادم قضـاؤك مقضيٌ وحكمك جـازم
عُبَيْـدك إن لم تكسـه العفـو حائـر غريـق ، وإن أمنـته فهـو آمـن (4)

(1) المصدر السابق ص335

(2) د. محمد مرتاض . من أعلام تلمسان – مقارنة تاريخية – فنية . دار الغرب للنشر و التوزيع – وهران . الجزائر 2004 ص 19.

(2) المرجع نفسه ص 29.

(3) .(4) نفـسه.

| | |
|---|---|
| مساويــه إن ترضى عليه محاســـــن | وأمرك بين الكــاف والنون كائـــن |
| عُبَيْدك يا ربّــي لعفـــوك سائــــل | وليـس لـه إلا رجـاك وسائـــــــل |
| فصُنْ من الظنّ وجهي قد بنى لم أصن | سوى أنني التوحيـد بالشرك لم أخـن |
| ومن يتحلّل عـزّك الدّهـر لم يهـن | سَبَقـتَ و لم تُـسْبـق وكنتَ ولم يكـن |
| فجُدْ لعبـادك العصـاة بعتقهـــم | غداً يوم يحظى الصّادقون بصدقهـم(1) |
| كما جُدْتَ في هذي لكل برزقهـــم | ودبّرت أمـر الخَلق مـن قبل خلقـــهم |
| قطعت زماني في المعاصي مُجاهـداً | فجئتك أبـْغي العفـــوَّ إذْ كنتَ قـادراً |
| علمــكَ مــا يخفى كعلمك ظاهـراً | علـوتَ على السّبع السّمـوات قاهـراً |
| ظننت بربّي خيـر ظـنٍّ ومـــن يظن | جميـلاً بمــــولاه عليــــه به يُمَـنْ |
| يـا ربّي ألبسني لبــاس التّـقــــى | لبسـت رداء الكبريـــــاء ولم يَكُنْ |
| ذكَتْ نارُ خوفي و الخطايا تشبّهـــا | أيهلكـني داء المعاصــــي ورُعبهــا |
| وأنت الــذي لا شكّ عنـدك طبهــا | تقـــــرُ لك الأربابُ أنـّك ربّـهــا |
| وعَدت إله العرش أنـّــك غافـــرٌ | فجُــدْ لي بغفرانٍ فعنـدي كبائــرُ |
| وأنيّ ضعيف عاجـزٌ متصاغـــرٌ | وأنـت كمـا سمّيــت نفسـك قاهـرُ |
| حَمَلــتُ مــن الأوزار عبئاً مثقـلاً | فجئتـــك ربّي مستغيثـاً مـــؤمّـلا |
| فأنت الذي تعفـــو الكثيـر تفضّلا | وأنــت رفعــتَ السّبع في ذروة العُلا |
| فأنـــزل عليّ مـــن رضاك سكينـة | فَنَفــْسِ من الأوزار عَـــادَت حزينةً |
| أمـــن رَفَعَ السّمــا طباقــاً مكينة | وســخّـرتَ فيها الشّمس والبدْر زينـةً |
| فلا تُبقِ لي ضـــــرّاءَ إلاّ محوتَها | أمــن يبصرُ الأشيــاءَ ويسمع صوتَهـا |
| وقدَّرت فيهنّ الحيـــــاة وموتهـــا | وأنـــت بسطــتَ الأرضَ ثمّ دَحوتَهـا |
| فأمِّن عبيداً أم بابك صارخــــــــاً | إذا صـــار إسرافيـلُ في الصّور نافخاً |
| وسخرتَ في الأرضِ الفّجاج رواسخاً | وأرسَــيت فيهـا الرَّاسيات شوامـخـاً |
| أقلْ عَثْرتي وارحَـــم إلهي عَبـرتي | وأحــــيي فُــؤادي باستدامة حُلوتِي |
| فأنت الذي تُحيى البِـــلادَ بخضرةٍ | وأنت الذي أنشـأتَ منها بقـــــدرةٍ(1) |

---

(1).الموسوعة الشعرية الإصدار الثالث (قسم الدواوين الشعرية)

جرمتُ على نفسي بجهلي جرائـــراً ولســـــت أرجِـي غير مَولايَ غافــراً
أمن منحَ الإنســـان فضـــلاً مُفاخراً جعلتَ له عقـــــــلاً وسمعًا وناظراً
أجِرني من أصــــلِ الرّدى وفُروعه أيـا مـن تَلَـــقى آدم فـي وُقـُــوعِه
وثبتَ عليه إذ دعـــا بخُضوعِـــــه وزَوّجته زوجاً مـــن إحدى ضُلوعه
غدوتُ بأثوابِ المعاصي مُسربـــلاً وقلبي بأسقَـــــامِ القســـاوةِ مُبتلـى
فخُذْ بـــدواءِ التّوب ربّ وتفضلا فسُبحانك اللـّهم ذا المّجـد والعـُلا(1)

وقال من الكامل :

فإذا نظـــــرتَ بعينِ عقلِـك لم تجدْ شيئاً سواه على الـذّواتِ مُصـــورا
وإذا طلـــبتَ حقيقـةً مــــن غيـرِه فيذيل جَهـــلُك لا تـــزالُ مُغتَرًا (2)

وقال من البسيط :

ما لـــذّة العّيش إلاّ صُحبـة الفقـرا هم السّلاطينُ والسّاداتُ و اللأُمرَا
فاصحبهُـــــم وتأدب في مجالِســـــهم وخلِّ حظـــّك مهمـا خَلفُــوك وَرَا
واستغنِم الوقتَ واحضردائمًا معـهُم واعلَم بأنَّ الرِّضى يخصُّ من حَضَرا
ولازِم الصَّمتَ إن سُئِلـتَ فَقـُلْ لا عِلمَ عندي وكُـنْ بالجَّهل مُستَـتِرا
ولا تَـرَ العّيـبَ إلاّ فيك مُعتقــدًا عيبًـا بـَدَا بيّنـــًا لكنّـهُ اُستُـتِرَا
وحُطّ رأسَــكَ واستغفِرْ بلا سبب وقـُمْ على قَـدمِ الإنصـافِ مُعتذِرا
وإن بَدَا مِنك عَيبٌ فاعتَرِف وأقِــمْ وَجهَ اعتِذارِك عَمـَّا فِيك مِنك جرَا(3)

وقال من البسيط كذلك:

يا مَن يُغيثُ الوّرى مِن بعدِ ما قَطنُوا اِرحَمْ عُبيداً أكـف الفّقر قد بسطُــوا
واستَنزلُوا جُودك المَعهودُ فاسقِهِـــــم رياً بربِّــهم رضى لم يُثنِه سخـــطُ
وعامـــل الكـّل بالفّضلِ الذي أَلفُوا يا عَـادلاً لا يُرى في حُكمِـه شـــطوا
ناجُـوك واللّيل حَــلاّه بَهـاءُ ســنا كما يحلّى سَــوادُ اللمّةِ الشَّـــمط(4)

---

(1) المصدر السابق .

(2) نفســــه.

(3) نفســــه

فشاربٌ بذنوبِ الذّنبِ غصٌّ به — وآخرون كمَا أخبرتْنا خلطُوا

ومُنعمٌ في لذيذِ العّيشِ وهو يرى — في سلكِ من هوحولَ العّرشِ ينخرِطُ

وملحدٌ يدّعي ربّاً سواك له — حيرانٌ في شَرَكِ الإشرَاكِ يتخبَّطُ

كلٌ ينالُ من المقدُور قِسمتَه — قومٌ ترقُو، وقومٌ في الهَوى سَقطوا

حكمٌ من الله عدلٌ في بريّتِه — فرضَ علينا لهُ التسليمُ مُشْتَرَطُ

ومن تصدَّى لحكمِ اللهِ مُعترضاً — فقد تَصدّى لهُ الخذلانُ والغَلَطُ

وما ذُنوبُ الورَى في جنبِ رحمتِه — وهل يُقاسُ بفيضِ الأبحرِ النقَطُ

فما لنا ملجأ غير الكريمِ ومن — يلقى على الحوضِ هو السّائق الفَرِط

ذاك الرَّسولُ الذي كلّ الأنَّام به — يومُ القيامةِ مسرور ومُغتَبطُ

صليٌّ عليه صلاةً لا تُقادُ لمَا — من اسمُه باسمِه في الذّكرِ مُرتَبِط(1)

## 46 - بن النحوي (ت513 هـ)

هو يوسف بن محمد بن يوسف أبو الفصل بن النحوي ...عكف على طلب العلم في صغره بإفريقية حتى نبغ فيه (2) ومن أشهر آثاره قصيدته "المنفرجة"

قال في الزهد :

أصبحتُ فيمَن لهُم دينٌ بِلا أَدَبٍ — ومَن لهُ أدبُ عارٍ منَ الدّينِ

أصبحتُ فيهِم غَريبَ الشّكلِ مُنفرداً — كبيتِ حسَّانَ في ديوانِ سَحنونِ (3)

ويعنى بذلك هذا البيت :

وهَانَ سُرَاة بَنِي لُؤَيٍ — حريقٌ بالبُويرَة مُستَطِرُ(4)

وقال في الدّعاء والشكوى :

لبستُ ثوبَ الرّجاءِ والنّاسُ قد رَقَدُوا — وقُمتُ أَشكُو إلى مَولايَ ما أَجِد (5)

(1) المصدر السابق.

(2) رابح بونار . "المغرب العربي تاريخه و ثقافته" ص 269 . وينظر كذلك "معجم مشاهير المغاربة" د/عمران و فريق من الأساتذة -منشورات دحلب – الجزائر 2007 . ص 471.

(3) المرجع نفسه ص 271

(4) المرجع نفسه

(5) المرجع نفسه

أشكُو إليكَ أموراً أنتَ تعلمُـــها مَالي على حملِها صبرٌ ولا جَلدُ
وقلتُ يا سيّدي يا مُنتهى أمَـــلِي يا مَن عليهِ بكشفِ الضرِّ أعتَمِدُ
وقد مَدَدَتُ يديَّ للضرِّ مُشتَـكياً إليكَ يا خيرَ من مُدَّتْ إليهِ يَـدُ(1)

## 47- عبد الحق الاشبيــــــلي (- 581هـ)

هو أبو محمد عبد الحقّ بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حسني بن سعيد بن إبراهيم الأزدي الأشبيــلي ، رحل إلى بجاية ....(2)

قال في الموت :

إنّ في المّوتِ والميعادِ لشُغــلا و أذكار لِـذي النُّـهى وبَــلاغَا
فاغتنِمْ خطّتينِ قبلَ المَــنايَــا صحّةُ الجسمِ يا أخي والفَراغَـا(3)

وقال أيضــًا:

قالوا صِفْ المّوتَ يا هذا وشِدَّتَهُ فقلــتُ وامتدَّ منّي عندها الصّوتُ
يكفيكُم منه أنّ النـّاسَ لو وَصَفوا أَمـــراً يُرَوِّعُهم قالـوا هو المّوت(4)

وقال أيضا في القناعة والاستعداد للرحيل:

وآكلا كل الـــــذي يشتهي كأنــــــه في أكله ثور
وناهضا إن تدع داعــي الهوى كأنــــــه من حفة طير
إن كؤوس الموت بين الـورى دائــرة قد جسها السير
وقد تيقنـــــت وإن أبطأت أن ســـيأتيك بها الدور
ومــــن بك في سيره حائر بالله مـــا في سيرها جور(5)

وقال في الموت:

يا آمنا ساحة لا يذعـــــــر بين يديك الفـــزع الأكبر(6)

---

(1) رابح بونار . " المغرب العربي تاريخه و ثقافته" ص 271.
(2) ينظر عنوان الدراية للغبريني ص 73 ، بغية الملتمس ج2 ص 134
(3) نفح الطيب المجلد 4 ص 328 ، الديباج المذهب ص 193.
(4) الغبريني، عنوان الدراية ص 84-85
(5) موسوعة الشعر الجزائري م 1 ص96
(6) نفســه

والمرء منصوب له حتفــــــه | له أنه من عمه يبصــــــــــر
هذه النفس لها حاجـــــــــة | والعمر عن تحصيلها يقـــصر
وكلما تزجر عن مطلـــــب | كانت به أهيـــم إذ تزجـــــر
وربما ألقت معاذيـــــــرة | لو أنـــــــــها بويحها تـعذر
ونــــــاظر لها ناظـــــــــر | لو أنــــــــها تنظر إذ ينظـــر
ورائد المـــــــوت لها طلعة | يبصرها الأكمـــه والمـــبصر
وروعة المـــــــوت لها سكرة | ومثـــــلها من روعــة يسكـــر
وبين أطـــباق الثرى منـــزل | ينزله الأعظــــــــم والأحقر
يترك به ذو الفخر فخـــــــر | وصاحب الكـــــبر به يصغر
قد ملأت أرجالـــــؤه روعة | نكيرة المعروف والمنكــــــــر(1)

## 48- أبو الأصبع عبد العزيــز بن علي (-559هـ)

المعروف بابن الطحّان الاشبيـــلي (2)

قال في الدنيا:

دَعِ الدُّنيا لعـــَـاشِقها | سيُصْبِح عن رشائِقِهـــا
وعَادِ النّفسَ مصطبـــراً | ونكِّب عن خـــلائِقِـها
هَلاكُ المرءِ أن يُضـــحّي | مُجِــدّاً في عَلائِقِـــهـا
وذُوا التَّقوى يُذلـّلهـــا | فَيَسْـــلَم من بَوَائِـقِها (3)

## 49- إبراهيم بن خلف بن محمد بن الحبيب بن عبد الله بن عمر القرشي العامري (-572هـ)

قال في الزهد:

ثَمانينَ مع ستٍّ عَمّرتُ وليـــتني | أرقتُ دُمـوعِي بالبُكا على ذَنـــبِي
فالدَّمعُ في مَحو الخطيئَةِ نعمَـــةٌ | إذْ هـاجَ من قلبٍ مُنيبٍ إلى الـــرّبِ(4)

(1)موسوعة الشعر الجزائري م1ص96
(2) نفح الطيب ج2 ص 634
(3) نفســه.
(4) الإحاطة ج1 ص 223.

فيا سامعَ الأصواتِ رُحماكَ أَرتَجي — فَهَبْنِي انسكابَ الدَّمعِ من رقّةِ القلبِ

وزَكِّ الذي تُدريهِ منّي شيمَـتـه — تَعلق بالمظلومِ في شـدِّهِ الـــرّكـبِ

وزكِّ مقامي في العُقود واكتُـبها — لوَجهِك لمْ أطلبْ ثَـواباً على الكتبِ

ولا تَحرمِني أَجرَ ما كنـتُ فاعلاً — فإنّكَ ذو الأفضـالِ والمَنِّ والوَ هَـبِ

ولا تُخزِني يومَ الحسـابِ وهَـوْلِه — إذا جئتُ مذعُوراً من الهَولِ والرّعبِ (1)

## 50- بن زهـر الحفـيد (-595هـ)

قال في القبور والموت :

تأمّل بفضلِك يا واقِـفاً — ولاحِـظ مكاناً دفعنا إليـهِ

تـُرابُ الضّريحِ عـلى صَفحتِي — كـأنّي لم أمشِ يوماً عليهِ

أُداوي الأنامَ حـذَارَ المنُـونِ — فهَـا أنا قد صِرتُ رَهناً لـديهِ (2)

## 51- الأمير أبو الربيع سليمان بن عبد المؤمـن(-604هـ)

قال في الزهد:

إذا ما ذُكِرت الموت فاضَتْ مَدامِعي — على كلِّ ما فرَّطتُ فيضَ السَّحائِبِ

وأذكر يومَ الحشرِ إن جِـئتَ غدا — وذَنبِي معي والذّنبُ أخبَثُ صَاحبِ

ولكِن أرجي اللهَ في كلِ حَـالةٍ — وأخشَى بمَا قَدّمتُ سوءَ العَواقِـبِ

فيا خيرَ من يُدّعى لكلِّ مـلمةٍ — وأكرمَ مَـن يُرجَـى لنيلِ الرَّغائِبِ

أَقِل عَثرتي إن أتيتُك تَائِـباً — وليسَ مُقيمٌ في الذُّنـوبِ كتَائِبِ (3)

وقال من البسيط:

يا نَفسُ حَسبُكِ ما فَرَّطتِ فازدَجِري — عنِ الذُّنـوبِ فإنَّ القَبرَ مَثـواكِ

خافِي الإلـهَ لِما قَدَّمـتِ منْ زلَـلٍ — واعصِي هَواكِ فـإنَّ اللهَ يرعَـاكِ

إنَّ الهَـوى قلّمَا تجدِي هَـوَادتَه — وهو الذي عن سَبيلِ الرُّشدِ أَقصَاكِ(4)

---

(1) الإحاطة ج1 ص 223.

(2) الموسوعة

(3) نفسـه

(4) نفسـه

لِشدِّ ما تَعلمِــينَ الفَّــرقَ بَينهُما ... ما كانَ أحرَاكِ بالأجــــدَى وَأولاك
إلى ما تلهِيــنَ عـن قولِي مُغالطةً ... وتوقِنـينَ بأنـّــــــِي غيــرَ أفــَّاكِ
أصْغِي إلى مَا في الأرضِ من أحـدٍ ... ألقى إليه صَـــريحَ النـُّصحِ إلاكِ
تُوبـي إلـــى اللهِ إنّ اللهَ يَقبَلُهـــا ... واشْقي بِجُهدك في تحسينِ عُقبـاكِ(1)

وقال أيضاً:

يا نائماً ليلـةَ العّمـرِ ينْصَـر مُ ... مُستغرقاً في الكَرى يلهُو بهِ الحلـمُ
كم ذا تَنامُ وأقوامٌ قد اكتحَـــلوا ... كُحلَ السُّهادِ أطارَ الخوفُ نومَهُـــمُ
بَاتُوا لربِّهم يَدعُـونَه شُفعـــــاً ... دُموعهُم من شديدِ السّوقِ تنسجِـمُ
باعُوا الحياةَ التي ليست بدائِمـةٍ ... لا مَوتَ فيها لقد فَازُوا وقد غنِمُـوا
واستنفَذُوا جُهدَهم فيما يخلصِهم ... فليُهنهم مَـــــا هَمُـو فيهِ ومـالهُـم
فاعملْ لأخراكَ ما ترجُو النَّجاةَ به ... ولتَغنَمِ العَــمرَ أنَّ العّمـرَ يُغتنَـــمُ
وارغبْ إلى اللهِ في الغُّفرانِ مُجتهداً ... هذا الصّـباحُ بَـدَا و اللّيلُ مُنسجِـمُ
وصَلِّ ِصلاةً على خيرِ الوَّرى حسبا ... مُحمّد خيـــرُ من سَـارت به قَـدمُ
صَلـَّـــى الإلهُ عليه كلّمَا شَرقَـت ... شمسٌ ومَـا أعقبَ أنْـــوَارها الظلمُ (2)

وقال أيضاً:

يا رَاقـــــدًا ملءَ عَينيهِ يهدِّئــه ... لين الفِـــراشِ وعينُ اللهِ تَرصُدُ ُه
لو كنتَ تعلمْ فوزَ الغانمين غـدًا ... يا راقـــدًا ليله مـــا كنتَ تَرقُـدهُ
وكيفَ ترقُد ليـــلاً أو تَلـذُّ بـه ... وأنتَ تجهلْ ما يــــــأتِي بِه غَـدُهُ
مهِّد لجَنبِك في التَّقوى بِخَشيتِــه ... فليسَ شيءٌ سوى التّقوى تُمهِّدُهُ
أليسَ تَرحلْ عن حال وتتركُهـا ... فَاجْنِ لنفسِــــكَ منها مَـا تزوّدُهُ
فسوفَ تجزِي بما قَدمتَ من عملٍ ... وزارِع الخَّـــيرِ في الدُّنيا سَيحصَدُهُ
يا رُبَّ راقدٍ نومَ حشوِ مَضجَعـهُ ... شَـــوكُ القـّتادِ ولكن لا يَسهدُهُ(3)

---

(1) المصدر السابق.
(2) نفســـــه.
(3) نفســـــه.

أغْـفَى على غيرِ وعدٍ من ملبهه     مع الصّـــباحِ ويومَ الحَّشرِ مَوعِدُهُ
يومُ النّـــدامةِ لو تُغنِي نَدامتُهُ     مبيـــــضُ المـوتِ فيه أو مسودُهُ
المّرءُ من كثرةِ التسآلِ مُشتـــغلٌ     بقيمةِ هَـــوْلِ ما يلقى ويعقِـدُهُ
حتّى يقولَ طويلُ العّمرِ وافِـــرهُ     يا ليتَه كـــانَ ذاك اليَّوم مَولِدُهُ
قد كانَ أحمدٌ عُمرَ المـــــرءِ أطولُهُ     فاليّومَ أقصــــرُ عمرَ المّرءِ أحمَدُهُ (1)

وقال أيضًا:

يا غافلاً عن ذِكرِ مَـــــــولاهُ     وذاهــــــلاً عن شكـرِ نُعمَـاهُ
ورَاتعــــــــاً في غيـّهِ لا هِيـاً     قد كــــــحِّلـت بالنَّـومِ عينَـاه
كم تَصحَب الغــــفلةَ عن ذِكْرِهِ     وكـــــــم يُـراعِيـكَ وتنسَـاهُ
يا عَجَبـــــاً تكثِـرُ عِصْيَانَـه     وتــــــدّعِـي أنَّـك تخشَـاهُ
فعُدْ عـــــن ذِكْرِ الصِّبا جانبـاً     وارْجُ الـــــذي تأمَــل رحماهُ
ربِّ إذا ما شِئــــت أن تهتدِي     لقـــــدرِه فاقْـرأ هُـو اللـهُ (2)

## 52- علي بن عبد الله النميري الشُشتري (-608هـ)

هو أمير المتجرّدين أبو الحسن من أهل ششتر ... وذكره أبو العباس الغبريني قاضي بجاية في كتابه المسمّى "عنوان الدراية فيمن عرف في المائة السابعة بمدينة بجاية "(3)

قال في الزهد:

لقد تُهتُ عجباً بالتّجردِ والفقرِ     فلم أندرِجْ تحتَ الزّمانِ ولا الدَّهـرِ
وجاءت لقلبِي نفحةٌ قدسيّـــةٌ     فغبتُ بها عن عالمِ الخلقِ والأمـرِ
طويتُ بِساطَ الكّونِ والطيّ نشرهُ     وما القّصدُ إلاّ التـّركُ للطيِّ والنّشرِ(4)

## 53. أبو حفص السلمي* (-604)

---

(1) نفســه.

(2) نفســه.

(3) الإحاطة ج4 ص 220.

(4) نفسـه

* كان من أهل الفتيا في مدينة فاس ..ينظر" نفح الطيب " المجلد 3 . ص209 .وينظر " أزهار الرياض" ج2 ص361

العِـــلْمُ يَكْسُو الحُلَلَ الفَاخِرَة وَالعِـلْمُ يُحْيِي الأَعْظُمَ النَاخِرَة
كَمْ ذَنْبٍ أَصْـــبَحَ رَأْسًا بِهِ وَ مـــــُذْنِبٍ أَبْحُرُه زَاخِرَة
مَا شَرَفُ النـــسبةِ إلا التّقى أيـــنَ تهيمُ الأنفسُ الفَاخرة
ما يطلـــبُ العزَّ بغيرِ التّقى تَرجـــعُ عنهُ نفسُهُ دَاخِرة
أعرضْ عن الدّنيا تَــكن سيّدًا بل ملِكـــًا فيها وفِي الآخِرة (1)

وقال : (الوافر)

ولا تنســـبْ إلى كبر فهذا أبــوك التّربُ يُخفِضك انـتِسابا
ولا تصحبْ أخًا كـــبر وقدم على النّفـسِ الأعادي والصُحَّابا
ولا تحبْ محـــاباةَ تَمَدُحٍ كفى بالّمـــرءِ حـــوبا أن يُحابا
جادِر أن ترى في القّـــوم رأسـًا ولا تـــنسى الذّنوبَ وكن ذنّابا
ترابًا كن هنا فعســـاكَ أن لا تـــمنى أن تكونَ غدًا تُرابَا(2)

قال: (المتقارب)

من لم يَبِت و البـين يصدَع قلبهُ لم يدرِ كيـــفَ تُفَتتْ الأكبـادَ(3)

و قال :

بقلبِك يا غافلاً فانـــظرْ وعيـــنُيك غمضهُما تَبَصُر
إذا أرسلَ الـطَّرف هـامَ الفُؤادُ وبـعـض المرائي عمى البَصر
وآفة قـــلبِ الفتى عينه فإن ترعَى قلبَـك لا تنظُرِ (4)

و قال (مخلع البسيط):

يا رَاكضًا في طـــلابِ دُنيا ليـــس لمن تَصدعْ انتِعـاشُ
تنحَ يـا عُرضـــةً لرامٍ أســـهمُه بالرّدَى تُراشُ
لم تخـــشَ نـارًا هوى لظاها لمـــن له نَحوهَا انحِيـاشُ(5)

---

(1) المقري التلمساني "أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض " ج2 ص373
(2) الموسوعة الشعرية الإصدار الثالث (قسم الدواوين الشعرية)
(3) نفســه
(4) المقري التلمساني "أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض " ج2 ص360
(5) نفســه ص366

أعـــذر منـــك الفّراشُ حـالا — علــــمتُ ما يَجهلُ الفراشُ(1)

وقال من (المديد) :

أيّها المـــــــــغتَرُّ بالزّمـنِ — في هـــــــواه خالعُ الرسَّنِ
حبّك الدّنيـــا وزينـــتَها — فتـــــــــنَةٌ عمتكَ بالفِتنِ
ظلّـــت والحالاتُ شاهـــدةً — عـــــاكفًا منها على وشنِ
فاهــــجُرها إنّ زينتَـــهــا — زيــــــنةٌ شانَت ولم تَزِنِ
خَدَعتكَ إنّهـا قُبــــحَت — باطـــــــنًا في ظاهرٍ حسـنِ
ولتقدمْ ما تـــــــسرُّ به — قبل طــولِ الـــبَّثِ والحـزنِ
فكـــأنَّ أخـــرَاكَ ما بَرِحَت — وكأنَّ دُنيـــــــاك لـم تَكُنِ(2)

قال في الزهد :

و كمْ رامُـــوا الفرار من الرَّزَايا — ولَــــــكِنْ أينَ مِنْ أجلِ فِرارِ
تدار علَيهم حــــــمر المَنَايَا — يِكَـــأْسِ فيهِ عقر وَ لاَ عقـَارِ
إذا مَا اللَـــيْثُ أَصْبَحَ فِي مَحَلِ — فَمَـــا لِطَرِيدة فيـــــهِ فرارِ (3)

## 54.أبو العباس الجراوي* (-609هـ)

كَانَت مَـــحَلُ أُنَاسٍ قَبلَنَا فَخَلوا — عَـــنْهَا وَ آثَارِهِم فيهَا مُقيمَاتِ
تالله لَوْ عَلِـــمَت مِقْدَارُ وَارِثِهَا — هِبت إليْـــكَ رباها والقرَارَاتِ(3)

## 55.بن جبير (-614هـ)

قال في القناعة :

إيَاكَ والشُهْـــرَة فِي مَلْبَـسِ — وَالْبِسْ مِنَ الأَثْوَابِ أَسْمَـــالِهَا
تَوَاضُـــعُ الإنسَانِ فِي نَفسِهِ — أَشرَفُ للنفْـــسِ وَأَسْمَى لَهَا(4)

(1) المقري التلمساني "أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض " ج2 ص366
(2) نفسه ص360
(3) نفســـه.
* شاعر وأديب، أصله من تادلة بين مراكش وفاس( له مساجلات مع أبي حفص المذكور...ينظر " أزهار الرياض " ج2 ص365)
(4) نفح الطيب المجلد 2ص485.

و قال أيضا في الدنيا وغفلة الإنسان : " البسيط"

عَجِبتُ للمَرءِ فِي دُنيَــاهُ تُطعمُهُ فِي العَيشِ وَ الأَجَلُ المَحْتُومِ يَقْطَعُهُ
يُمْسِي وَ يُصبِحُ فِي عَشْـوَاءِ يَخبُطُهَا أَعْمَى البَصِـيرَةِ و الآمال تَخْدَعُهُ
يَغْتَرُ بِالدَهر مَسْرُورًا بِصُـحْبتهِ وَقَدْ تَيَقــن أَن الدَهْرَ يَـصْرَعُهُ
و يَجمعُ المَالُ حِرصًا لاَ يُفَــارِقُهُ وقــد درى أنه للغَــيْرِ يَجْمَعُهُ
تَرَاهُ يشْــفِقُ من تضييع درهـمه وليــس يشفق من دين يضيعه
و أسوأ النــاس تدبيرا لعاقبته من أنـفق العمر فيها ليس ينفعه(1)

و قال أيضا :

صبرت على غدر الزمــان وحقده وشــاب لي السم الزعاف بشـهده
وجربت إخوان الزمــان فلم أجد صـديقا جميل الغيب في حال بـعده
وكم صاحب عاشــرته و ألفته فمـــا دام لي على حسن عهده
وكم غرني تحســين ظني به فلم يضيء لي على طول اقتراحي لزندة
وأعرب من عنقاء في الدهر مغرب أخــو ثقة يسقـيك صافي وده
وشاهدت في الأسـفار كل عجيبة فلم أر من قد نال جـــدا بجده
فكن ذا اقتصاد في أمورك كـلها فأحسن أحوال الـفتى حسن قصده
وما يحرم الإنســان رزقا لعجزه كما لا يــنال الرزق يوما لكــده
حظوظ الفتى من شــقوة وسعادة جرت بقــضاء لا سبيل لــرده (2)

وقال أيضا في الدعاء :

وقل رب هــب رحمة في غد لعــبد سيــما العصاة أيسم
جرى في ميــادين عصيانه مســيئا ودان بكفر النعم
فيا رب صفــحك عما جنى ويا رب عــفوك عما اجترم(3)

---

(1) المصدر السابق.
(2) نفح الطيب المجلد 2 ص 485.
(3) نفسه ص 490.

**56.سهل بن محمد بن مالك الأزدي** (-636 ) يكنى أبا الحسن(1) و له وفادة على مراكش(2)

قال في الزهد:

نهـــــــارك في بحر السفاهة تسبح وليـــلك عن قوم الرفاهة تصبح

و في لفـظك الدعوى و ليس إزاءها من العمل الزاكي دليل مصحـح

إذا لم توافـــــــق قولة منك فعلة ففي كل جزء من حديثك تفضح

تنح عن الغـــابات لست من أهلها طريق الهوينا في سلوكك أوضح

إذا كنت في ســــن النهى غير صالح ففـــي أي سن بعد ذلك تصلح ؟(3)

57.أحمد بن يزيد بن عبد الرحمن بن أحمد بن مخلد بن أحمد بقي بن يزيد الأموي (-537) قاضي قضاة المغرب من أهل قرطبة يكنى أبا القاسم (4).

قال في الزهد في الدنيا:

ألا إنما الدنيا كـــــراح عنيفة أراد مديـــروها بها جلب الأنس

فلما أداروا أثارت حـــــقودهم فعاد الذي رامو من الأنس بالعكس (5)

58.عمر بن اليدوخ أبو جعفر القلعي (-576). :

كان خبيرا بمعرفة الأدوية و له كتب منها: حواش على كتاب القانون لابن سينا (6)

قال في الموت:

يَا رَب سَهِلْ لِي الخَيْرَات أفعــلها مَعَ الأَنَام بِمَوْجُودِي وَ إِمْكَانِي

فَالقَبْرُ بَابُ إِلَى دَارِ البَقَاءِ فَمَــنْ لِلْخَيْرِ يَغْرِسُ أَثْمَارًا عَنِ الجَانِي

وَ خَيْرُ أَنَسٍ الفَتَى تَقْوَى تُصَاحِبُهُ وَ الخَيْرِ يَفْعَلُهُ مَعَ كُلِ إِنْسَانِ (7)

59.أبو الحسن على بن محمد بن شعيب الأشوني(-537)نزيل الجزائر و كان نحويا لغويا أدبيا حافظا تاريخيا (8)

---

(1) الديباج المذهب ص 134 ، الإحاطة ج 4 ص 281.

(2) الإحاطة ج 4 ص 281.

(3) الديباج ص 134 ، الإحاطة ج4 ص 281

(4) التكملة لكتاب الصلة ص 141.

(5) نفسه .

(6) رابح بونار ،" المغرب العربي تاريخه و ثقافته" ص 278.

(7) المرجع السابق ص332

(8) نفســـــه

قال في الزهد :

فَمَا الفَوْزُ إلاَ بِصَفْوِ الضَمِـــيرِ وَ دِيـــنٌ مَتِينٌ وَ تَرْكِ المَنَاهِي

وَتَقْوَى القُلُوبِ وَ رَفْضِ الذُنُوبِ وَ دَفْعِ العُيُوبِ حَـذَارِ النَوَاهِي (1)

و قال في القناعة :

لاَ تَسْأَلْ النَـــاسَ حُبُ خَرْدَلَةٍ وَسَــلْ إلاَهًا يَرَاكَ مِنْ طيـنٍ

فَرْزُقُهُ لِلْعِبَـــادِ ذُو سِـعَـةٍ لَيْـــسَ بِفَانٍ وَ لاَ بِمَمْنُـونٍ(2)

و قال في الإفراز بالدنب و طلب الصفح :

لاَ قُوَةٍ لِي يَا رَبُ فَانْتَصِـــرْ وَ لاَ بَـرَاءَةً مِنْ ذَنْبِـــي فَأَعْتَـذِر

فَإِنْ تُعَاقِبْ فَإِنِي مُذْنِبٌ نَطـف وَ إِنْ صَفَحْتَ فَمِنْكَ الصَفْحُ يُنْتَظَر

أَنْتَ العَظِيمُ فَإِنْ لَمْ تَعْف مُقْتَدِرًا عَــنِ العَظِيمِ فَمِنْ يَعْفُو وَ يَقْتَدِر (3)

60 .أبو مروان عبد الملك بن زيادة الله الطبني (-427)

هو محدث شاعر أديب (4) و ذكر صاحب المطمح أنه محص ما قاله في صباه من غزل بما بما ينافيه من زهد (5):

قال في الزهد :

يَا قَادِر لَيْسَ يَعْفُو حينَ يُقْتَـدِر مَاذَا الذِي بَعْدَ شَيْبِ الرَأْسِ تُنْتَظَر

عَايِنْ بِقَلْبِكَ إن العَيْـــنَ غَافِلَـةٌ عَلَى الحَقِيقَةِ وَ اعْلَم أَنهَـا سَقَرٌ

سَوْدَاءُ تُزْفِرُ مِنْ غَيْظِ إذَا سَعِرَت لِلْظَالِمِـينَ فَلاَ تَبْقَى وَ لاَ تَـذَرُ

لَوْ لَمْ يَكُنْ لَكَ غَيْرَ المَوْتِ مَوْعِظَةٌ لَكَــانَ فيهِ عَنِ اللَذَاتِ مُزْدَجِرُ

أَنْتَ المَقُولُ لَهُ مَا قُلْت مُبْـتَدِئًـا هَلاَ ابْتَـكَرْتَ لبين أَنْتَ مُبْتَكِرُ (6)

---

(1) رابح بونار ، المغرب العربي تاريخه و ثقافته ص 278.

(2) المرجع السابق ص 332.

(3) نفسه

(4) ابن خاقان ، "مطمح الأنفس" ص268

(5) نفسه ص 265.

(6) نفسه ص 284.

## 61 .بن حمد يس الصقلي (-527هـ)

هو أبو محمد عبد الجبار بن أبي بكر بن محمد بن حمديس الأزدي السرقوسي الصقلي ، نزيل إفريقية حين صاحب الأعراب في شمال إفريقية والصحراء سنة 471هـ ، و ذهب إلى الأندلس ثم عاد إلى إفريقية فتردد على بجاية و بونة ...(1)

قال في الزهد :

يَا ذُنُوبِي ثَقلْتِ وَ اللهِ ظَهْـــرِي ... بَانَ عُذْرِي فَكَـــيْفَ يَقْبَلُ عُـذْرِي؟
كُلَمَا تبت سَاعَــة عــدت أُخْرَى ... لِضرُوبِ مِنْ سُـوءِ فِعْلِي وَ هَجْرِي
ثَقُلَتْ خُطْوَتِـي وَ فــودي تفرى ... غيهب اللَيْل فيـــهِ عَنِ نُورِ فَـجْرِ
دَبَ مَوْتُ السُكُونِ فِي حَرَكَاتِـي ... وَ خَبَا فِي رَمَادِهِ حُمْـــــــرُ جَمْـرِي
وَ أَنَا حَيْثُ سِرْتُ آكُـلُ رِزْقِـي ... غيْرَ أَنَ الزَمَانَ أَكَـــــلَ عُمْـرِي
كُلَمَا مَرَ مِنْــهُ وَقْــــــتَ يرِبْحٍ ... مِنْ حَيَاتِـي وَجَدْتُ فِي الرِبْـحِ خُسْرِي
يَا رَفِيقَا بِعَبْــدِهِ وَ مُحيـــطـًــا ... عِلْمَهُ بِاخْتِـلاَفِ سِــــرِي وَ جَهْرِي
مل قَلْبِي إِلَــى صَلاَحُ فَسَــادِي ... مِنْهُ وَ اجْبِرْ بِرَأْفَةِ مِنْـــــكَ كَسْرِي
وَأَجِرْنِي مِمَــــا جَنَاهُ لِســـَانِي ... وَ تَنَاجَت بِهِ وَ سَـــاوِسَ فِكْرِي (2)

62. محي الدين بن عربي (-640): هو المتصوف الشهير ، دخل بجاية في رمضان سنة (597هـ)(3)، قال في الصبر على العبادات:

مَا فَازَ بِالتـَـوْبَــةِ إِلاَ الــــذِي ... قَدْ تَـــــابَ قُدُمـًا وَ الوَرَى نَوْمُ
فَمَـــــنْ يَتُبْ أَدْرِكْ مَطْلُوبَـــهُ ... مِنْ تَوْبَــــــةِ النَـاسِ وَ لاَ يَعْلَمُ (4)

و قال أيضا في القناعة :

لاَ تَحْسَـــبْ المَالَ مَا تَرَاهُ ... مِنْ عَجْـــــسَدِ مَشْـرِق لَرَاءِ(5)

(1) رابح بونار "المغرب العربي تاريخه و ثقافته " ص 265.

(2) عبد العزيز عتيق ."الأدب العربي في الأندلس" - دار النهضة العربية للطباعة و النشر - بيروت- ص -ب 749 سنة 1976 ص 224

(3) "نفح الطيب" المجلد 2 ص174

(4) نفسه ص 175.

(5) نفسه ص171

بَلْ هُوَ مَا كُـــنْتَ يَا بُنَي بِهِ غَـــنِيًا عَنِ السَـــوَاءِ
فَـكُنْ يِرَبِ الـــعُلاَ غَنِيًا وَ عَـــامِلَ الخَـلْقِ بِالوَفَاءِ (1)

63.أبو العباس الفضل بن نصر الباهي بن الرايس (-344):

كان فقيها يميل إلى المذهب الشافعي ....سكن سوسة ثم القيروان ....(2)

قال :

مَاذَا تُرِيكَ حَوَادِث الأَزْمَـــــــانِ وَ صُرُوفِهَا وَ طَوَارِقِ الحَدَثَانِ
وَ الجَارِيَاتِ السَبْعِ فِي الفُلْكِ الذِي يَجْرِي بِتَقْدِيرِ العَظِيمِ الشَانِ
مِنْ خَفْضِ أَعْلاَمٍ وَرَفْعِ مَعَـاشِرِ وَزَوَالِ سُلْطَانٍ إِلَى سُلْـطَانِ(3)

64.القاضي أبو العباس ابن الغماز البلنسي (ت693هـ) نزيل إفريقية (4) قال :

هُوَ المَوْتُ فَاحْذَرِ أَنْ يَجِيئَكَ بَغْتَةً وَ أَنْتَ عَلَى سُوءٍ مِنْ الفِعْلِ عَاكِف
وَإِيَاكَ أَنْ تَمْضِي مِنَ الدَهْرِ سَاعَةً وَ لاَ لَحْظَةً إلاَ وَ قَلْبِكَ وَاجِـف
فَبَادِرْ بِأَعْمَالِ يُسْرِكَ أَنْ تَـــرَى إِذَا طُوِيَتْ يَوْمِ الحِسَابِ الصَحَائِف
وَ لاَ تَيْأَسَنَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَــهُ لِرَبِ العِبَادِ بِالعِبَـــادِ لَطَائِف (5)

وقال أيضا:

أَمَا آنَ لِلْنفْـسِ أَنْ تَخْـشَعَـا أَمَـــا آنَ لِلْقَلْبِ أَنْ يُقْلِعَـــا
أَلَيْسَ الثَمَانِينَ قَـدْ أَقْـــبَلْتِ فَـلَمْ تُبْقِي فِي لَـذَةٍ مَطْمَعَـا
تَقْضِي الزَمَـانَ فَوَا حَسْــرَتِي لَمـــا فَاتَ مِنْهُ وَ مَا ضَيَعَـــا
تَقْضِي الزَمَـــانَ وَ لاَ مَطْمَع لِمَا قَـــدْ مَضَى مِنْهُ أَنْ يَرْجِعَا (6)

---

(1) المصدر السابق ص 181.

(2) الدباغ." معالم الإيمان" ج3 ص 55.

(3) نفســه.

(4)" نفح الطيب" المجلد 4 ص321.

(5) نفســه.

(6) نفســه المجلد4 ص 316.

## 65- ويقول دراس بن اسماعيل الملقب بأبي ميمونة (357هـ)

غَفوتُ وحَادي المَوت في إثري يحدُو وَإن لم أرُح مَيتا فَلاَ بدَ أن أغــــدُو
أَرى العُمر قَد وَلى ولم أبلــغ المُنىَ ولَيسَ مَعي زادٌ وفي سَــفري بعدُ
أَنعم جِـــــسمِي بِاللباس وَلينهِ ولَيسَ لجسمِي من قمِيصٍ البلا بدُ
كَأني به قَد مدَ في بَـــرزخِ البلاَ وَمِن فـــــوقِه ردمُ وَمن تحتِهِ لحدُ
وقَد ذهبتْ مني المحاسِـــن وامحتْ ولْم يبقَى فَوقَ العَظم لَحمٌ ولا جِلدُ
فكَيف إذا بالنَار يا رَبِ قـــرُبتْ وَناركَ لا يَقوى لها الحَجَر الصَلَدُ
عَـــسَى غَافرَ الزلاَت يَغفرُ زلتيِ فَقدْ يغفرُ المولىَ إذا أَذنـــبُ العَبدُ(1)

**66.أبو العلاء بن قاسم القيسي (-.؟)**

قال في التوكل على الله في طلب الرزق :

يَا وَاقِف البَابِ فِي رِزْقٍ يؤمَلَهُ لاَ تَقْنَـــطَنَ فَإنَ اللهَ فَاتِحُهُ
إنْ قَدرَ الله رِزْقًا أَنْتَ طَـالِبُهُ لاَ تَيْأَسَـــنَ فَإنَ الله مَانِحُهُ (2)

66.أبو حفص عمر بن حسن (-603)

قال في الزهد :

سَيَلْقَى العَبْدَ مَا كَسَـبَتْ يَدَاهُ وَ يَقرَأُ فِي الصَـــحِيفَةِ مَا جَنَاهُ
وَ يَسْـــأَل عَنِ ذُنُوبِ سَالِفَاتٍ فَيَبْــقَى حَائِرًا فِــيمَا دَهَــاهُ
فَيَاذَا الجَـاهِلُ مَالِكُ وَ التَمَادِي وَ نَارُ اللــهِ تَحْـرِقُ مَنْ عَصَاهُ
فَــعُولُ فِي الأُمُورِ عَلَى كَرِيمِ تُوحَــدُ فِي الجَلاَلَةِ فِي عُلاَهُ
وَأَمُلُ عَـــــفْوَهُ و افزَعْ إلَيْــهِ وَلَيْسَ يَخِيبُ مَخْلُوقٍ رَجَاهُ (3)

**67- حماد بن علي الملقب بالبين *(-.؟) قال في القناعة :**

---

(1) أحمد بن القاضي المكناسي ، "جذوة الاقتباس "ج196/1

(2) نفح الطيب م4ص321

(3) الخريدةج2ص389

* هو حماد بن علي، الملقب بالبين :شاعر جزائري، من أهل المائة السادسة للهجرة، كان حيا قبل سنة 561 من "معجم أعلام الجزائر" ج2 ص52

اقْتَنِعْ وَ اقْنَــع بِرزْقِ الــلهِ تَنَالهُ يِلُطْـفٍ لَعَلَ اليُسْرَ يَذْهَبُ بِالعُسْرِ

وَ أَطْرِق إِطْرَاقَ البِغَاثِ لَدَى الصَقْر كَأَنْ لَمْ يَكُنْ إِذْ ذَلِكَ مِنْهُ عَلَى ذِكْرِ(1)

68.أبو بر المغيلي (-.؟)*

قال :

تبين فَقَــدْ وَضَحَ المُعَلِـــمُ وَ بَـــانَ لَكَ الأَمْـرُ لَوْ تَفْهَـم

هُوَ الدَهْرُ لَسْـــتَ لَهُ آمِـنًا وَ لاَ أَنْــتَ مِنْ صَـرْفِهِ تَـسْلَم

وَ إِنْ أَخْطَــأَتْكَ لَهُ أَسْهُـــم أَصَــابَتْكَ بَعْـــدَ لَهُ أَسْــهُم

لَيَالِيكَ تَدْنِي إِلَــيْكَ الـرَدَى دَوَائِـــبِ فِي ذَاكَ مَا تَسْــأَم

فَأَيْنَ المُـلُــوكُ وَ أَشيَـاعُهُـم وَ دُنْيَـاهُم أَدْبَــرَت عَــنْهُــم

فَهَذِي القُبُورُ عَمَرَت بِهِـم وَ تِلْكَ القُصُورُ خَلَت مِنْهُم (2)

69.أبوالحجاج يوسف المنصفي (-.؟) الأنصاري البلنسي (3) زاهد مشور سكن سبتة . وقال عنه صاحب "المغرب في حلى المغرب" أدركه والدي (4).

قال في الزهد:

قَالَتْ لِي النَفْسُ أَتَاكَ الــرَدَى وَ أَنْتَ فِي بَحْرِ الخَطَايَا مُقِيم

هَلاَ اتَخَذَتَ الزَادِ قُلْتَ اقْصُرِي هَلْ يَحْمِلِ الزَادَ لِدَارِ الكَرِيم(5)

## 70.أبوعبد الله بن محمد بن فرج الجياني (-.365هـ)

**قال في الزهد :**

تَدَارَكَتْ مِنَ خَطَئِي نَادِمًـــا أَأَرْجُو كَسْوِى خَالِقِي رَاحِمًا (6)

---

(1) المصدر نفسه ص 429 ، "الجزائر في التاريخ ، العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني" ج3 ص 253.

*عاش في القرن الرابع الهجري. ينظر " جذوة المقتبس " ص392

(2) بن سعيد المغربي ، " المغرب في حلي المغرب " ج1 ص188

(3) " نفح الطيب" المجلد 4 ص 332.

(4) المصدر السابق ص 332 ، "المغرب في حلي المغرب"ج2 ص 354.

(5) المصدر السابق ج2 ص354

(6) الضبي "بغية الملتمس" ج2ص59

فَلاَ رَفَعْتُ صَرْعَتِي أَنْ رَفَعْـ تُ يَدِي إِلَى غَيْرَ مَوْلاَهُمَـا

أَمُوتُ وَ أَشْكُو إِلَى مَنْ يَمُـــ وتُ بِمَاذَا أَكْفُـر هَذَا بِمَـا(1)

71.**الفقيه خطاب التلمساني** (-.؟): هو أبو الحسن الخطاب بن أحمد بن عدي بن الخطاب بن خليفة بن عبد الله بن أبي الوليد ، كان إماما فاضلا (2) من أهل المغرب و له في الزهد و محاربة النفس :

حَرَامٌ عَلَى نَفْسِــي لَذَاذَة عَيْشِهَا إِلَى أَنْ تَقَر النَفْسَ عَيْنًا بِمَا تَدْرِي

بِعِلْمٍ يُزَكِي النَفْسَ عِنْدَ مَلِيكِهَــا وَ تُؤْنِسُهُمَا أَنْوَارُهُ فِي دُجَى القَبْرِ

وَ يَحْشُرُ إِنْ أَضْحَى الأَنَام بِظِلِهَا لِوَاءَ عُلُومٍ يَوْمَ يُدْعَى إِلَى الحَشْرِ

فَإِنْ نِلْت مَا أَملته أَبَت فَائِـــزًا وَ إِلاَ فَنفْسِي قَدْ أَقَمْت بِهَا عُذْرِي (3)

72.**أبو عبدالله الحميدي** (-488.هـ)

هو أبو عبد الله محمد بن الفتوح بن عبد الله الأزدي صاحب" جذوة المقتبس في أخبار علماء الأندلس".

قال في الزهد :

طَرِيقِ الزُهْدِ أَفْضَـل مَا طَرِيق وَتَــقْوَى اللـــــه تَالِيَة الحُقُـوقِ

فَثِقْ بِاللهِ يَكْفيـكَ وَاسْتَعِنْــه يَعْنِكَ وَ دَعِ بِنِـــيَاتِ الطَرِيقِ(4)

قال في العلم :

مَنْ لَمْ يَكُنْ العِلْمُ عِنْـدَ فَنَائِـهِ أرج فَـــــإن بَقَائَـهُ كَفَنَائِــهِ

بِالعِلْمِ يَحْيَ المَرْءُ طُولَ حَيَاتِهِ فَإِذَا اِنْقَـــضَ أَحْيَاهُ حُسْنَ ثَنَائِهِ (5)

**73.إبراهيم بن سلم الإفريقي الوراق**(-.؟.)* يكنى أبا إسحاق قدم قرطبة وكان شيخا صالحا (6)

قال في الزهد :

(1) المصدر السابق.

(2) "الخريدة "ج2 ص 697

(3) نفســه.

(4) نفح الطيب المجلد4ص332

(5)نفســـــه

* كان معاصرا لأبي بكر مجاهد الإلبيري. الذي ذكر صاحب النفح أنه توفي في سنة 366هـ ينظر " نفح الطيب" المجلد 2 ص630

(6) التكملة لكتاب الصلة ص221.

تَزِيدُ عَنِ الإِقْـلاَلِ نَفْسِـــي نَزَاهَةً وَ تَأْنَسُ بِالبَلْوَى وَ تَقْوَى مَعَ الفَقْرِ

فَمَنْ كَانَ يَخْشَى صَرْفَ دَهْرٍ فَإِنني أَمِنْتُ بِفَضْلِ اللهِ مِنَ نَوبِ الدَهْرِ(1)

**74.يونس بن عبد الله بن محمد بن مغيث. أبو الوليد** (-429.)

هو قاضي الجماعة بقرطبة ، يعرف بابن الصفار من أعيان أهل العلم .. كان زاهدا فاضلا (2) قال :

فَرَرْتُ إليْكَ مِن ظُلْمِي لِنَفْسِـــي وَ أَوْحَشَنِي العِبَـــاد فَأَنتَ أُنسِـــي

رِضَاكَ هُوَ المُنَى و بكَ افتِخَارِي وَ ذِكْرَاكَ فِي الدُجَى قَمَرِي وَ شَمْسِي

قَصَدْتُ إليْــكَ مُنْقَطِعًــا غَرِيبًا لتـُؤْنِسَ وَحْـدَتِي فِي قَـعْرِ رَمْسِـي

و للْعُظْمَى مِنْ الحَاجَـاتِ عِنْدِي قصَدَتْ و أَنْتَ تَعْلَمُ سِـــرَ نَفْسِـي (3)

**75.أبو محمد الحجازي** (-365هـ ) :

يعرف باسم الأريولي ، فقيه مشهور ، عالم ، زاهد (4) قال الحميدي صاحب الجذوة بأنه هو إسماعيل بن أحمد الحجازي وأنه أخذ عن مشايخ القيروان*. قال في الزهد :

ألاَ أَيهَـــا العَاتِب المُعْـــتَدِي وَ مَنْ لَمْ يَـــــزَلْ فِي الغي أَوْدد

مَسَاعِيكَ يَكْتُبُهَا الكَـــــاتِبَان فَبِيض كِتَـــــايـكَ أَوْ سُـود(5)

**76.علي بن القاسم بن عشرة القاضي أبو الحسن** (502هـ): فقيه عالم ، أديب بليغ جده عشرة علي هشام المؤيد ، مجاهدا في حملة من أمراء المغرب (6) و من قوله في الزهد:

تَـــغَيرَ حَالِي وَ حَالَتْ صِفَاتِي وَذَلِـــكَ أَجْمَع مِنْ سَـــيِئَاتِي

و مَا كُـنْت أَخشَاه قِيلَ المَمـــَات فَـــهَا أَنَا أَبْصَرْتُهُ فِي حَـــيَاتِي (7)

و قال أيضا في الاعتبار :

---

(1) نفسـه.

(2)" بغية الملتمس" ج2 ص 314.

(3) نفسـه.

(4) نفســه ص 319.

* ينظر بن بشكوال. "الصلة في تاريخ أئمة الأندلس" ص198

(5) بغية الملتمس ج2ص319

(6) نفســـه ص171 وينظر " نفح الطيب" المجلد 3 ص 612.

(7) نفسـه.

أَلاَ رَحِمَ اللَــه عَبْـدًا أَحَــبَ وَ أَحْيَا الفُؤَادَ بِدَمْــعِ هَمُول
تَضَاءَلَ فِي نَفْسِــهِ فَاسْتَـــرَا حَ و أَلْقَى عَلَيْهِ رِدَاءِ الخُـمُولِ
وَ أَطْلَعَ مِنْ شَمْــس أَفْكــَاره إِياب السَــلاَمَة قَبْلَ الأُفُولِ
فَقُلْ للَـــذِي عَابَ أَفْعَـــالُهُ سَتَدْرِي الحَــقِيقَة عَمَا قَلِيلِ(1)

و قال أيضا في كثرة الذنوب و الوعيد و الموت :

إلَى كَمْ ذَا التَمَادِي فِي المَعَاصِي أمَا تَخْشَى هيات مِنَ القِصَاصِ
ذُنُوبُــكَ كُل يَـوْم فِي ازْدِيَـادٍ تُسَرُ بهَا وَ عمرها فِي انْتِقَاصِ
تَمَنى النَفْس يَوْمًا بَعْـدَ يَـوْم وَ مَا بَعد المُنْيَةِ مِن مَنَـــاصِ
أَتَعْصِي الله خَالِـقَ كُل شَيء و أَنْتَ نشر نَفْسِكَ غَيْرَ عَاصِ
تباكر ســوءة و تَظَل تَبْغِــي قرى و حُمَى وَ تَطْمَعُ فِي الخَلاَصِ
سَتَعْلَمُ مَا أَقُولُ وَسَوْفَ تَجْـزِي بِفِعْـلِكَ يَـوْم يـؤخذ بِالنَوَاصِ (2)

وقال أيضا في الاعتبار :

كَتَبْتكَ يَا كِتَابِي وَ عِلْـمُ قَلْبِي يَدُلُ عَلَى بَقَـائِكَ وَ انقِلاَبِـي
إلَى رَبٍ رَحِـيمٍ مَـنْ يُرِدْ هُ يَفز بِاليُسْرِ فِي يَوْمِ الحِسَابِ (3)

---

(1) نفســه ص 181.

(2) بغية الملتمس" ج2 ص 182.

(3) نفســه ص 181.

77- **يقول أبو بكر المرادي** ـ توفي بمدينة أزكي بصحراء المغرب ، وهو قاض بها سنة (ت489هـ)

عِلمِي بِقُبحِ المَعاصِي حين أَركَبُهَا يَقضِي بِأني محمُولٌ عَلَى القَدَرِ
لَو كُنْتُ أَملِكُ نَفْسِي أو أصدقهَا مَا كُنتُ أَطْرَحُهَا في لجةِ الغمرِ
كُلفْتُ فعلاً وَلم أقدرْ عَلـيهِ ولم أكُن لأفعل أفعالا بلا قـدر
وَكانَ في عَدلٍ ربي أَن يـُعذِبنِي فَلم أُشاركهُ في نَفعٍ وَلاَ ضَرَرِ
إِن شَاءَ نَعَمني أو شَاء عَـذَبنِي أو شَاءَ صَورنِي في أقبحِ الصُورِ
يا رَب عفوك عن ذنبٍ قَضيت به عَدلاً عَلَي فَهبْ لي صَـفحَ مُقتدِرِ(1)

**78- بن الجنان الأنصاري** : الذي انتقل إلى سبتة ثم إلى بجاية وتوفي بها سنة650هـ يقول في التأمل:

الغيثُ في الغيب لا يدري به أحدٌ إلاَ الإلهَ الَذي يمني به السُحبَـا
سُبحانُه وتَعالَى لا نُحـيطُ بمَا أَخفَاه علماً ولا نَدري بمَا حَجَبَا
لوجهه الحَمد لا نُحصي الثناءَ لَه ولا نُطـيقُ له شُكراً كَمَا وَجَبَا
أحيَا البـلاَدَ وأرواهَا برحـمته فَاهتزَ هامـدَها من بَهجةٍ وَرَبَا
ولَم يدعُ من قُنوط في النُفوس ولاَ يَأسَ ولا خَيبَ الرَاجيه مَا طَلَبَا
فَضلاً من الله أَولاَنَا الجـميلَ بـه فَانظـر لآثار رُحمَـاهُ تَرى عَجَبَا(2)

و يقول :

لله أبعثُ رغـبتي مُتيقناً ألا يُخـيّبُ راغـبٌ للّه
لله ترتفعُ المطالبُ كلُّـها أنجـحْ بمطـلبِ طـالب للّه
لله جودٌ لا تغيضـُ بحـارُه لا جـودَ إلاّ ما انتمـى للّه
لله فضلٌ في الوجود أفاضـه كـم نعـمةٍ وتفَـضُّلٍ للّه
لله في أيدي الأنام مـواهب فجميـعُ ما مـلك الورى للّه(3)

---

(1) أزهار الرياض ج3ص186

(2)يوسف عطا الله "شعراء المغرب والأندلس"- دار النشر والتوزيع – عمان-الأردن.-2007 ص57

(3) نفسـه ص59

لله ما أوفى وأوفـــــــرَ منة ... في كـــــــــل شـيءٍ منـةٌ لله

لله فينا رحمةٌ مبثـــــــوثةٌ ... نحيـــــي بها وبرأفَـــــةٍ لله

لله ألطافٌ تعاظم شأنُهـــــا ... تخـــفى ويَظهــــرَ سرها لله

لله في أحكــامهِ وقــضــائه ... حــــكمٌ فسلِّـــــم أمرَها لله

لله عاقبةُ الأمــــورِ فمـالنا ... علــــمٌ بأمـــرِ راجـــــعٍ لله

لله نحنُ فما يشاءُ فحقُّـــــنا ... فيه انــــــقيادٌ بالـــــرضا لله

لله ملكُ رِقابــنا فجميعُـــنا ... طـــــوعاً وكـــــــرهاً أعبُدٌ لله

لله أسلـــمتْ الوجوه تذلّـلاً ... أســــلمتُ وجــــهي خاضعاً لله

لله آوي في المـــــخاوفِ إنّه ... ما ضـــــاع عــــبدٌ قد أوى لله

لله أبسُــطُ راحــتيَّ تعرضـاً ... لنـــــواله وتضــــــــــرُّعاً لله

لله أســألُ من خـزائن فضله ... ما رُدّ قبـــــلي ســــــائلٌ لله

لله أدعو باضــــــطرارٍ إنّـه ... ليــــجيبُ مضـــــطراً دَعَا لله

لله عـــــــفوٌ واسعٌ وتــجاوزٌ ... يرجـــــــــوه مثلي عاصـياً لله

لله وســــــلتُ النبيِّ محمداً ... أكــــــــــرمْ بتلك وسيلةً لله

لله ما أجـــدى تشـــفُّعُ مذنبٍ ... مُـــــــــــــتشفعٍ بمحمدٍ لله(1)

## 78- عبد المؤمن بن موسى المديوني (746هـ)

جاءت سُعادُ بـــوَصل بَعدَمَـا ذَهَبَـا ... عَصَى الشَبَابَ ولاَحَ الشَيـبُ والتَهَبَـا

واحدَودَبَ الظُهرُ من سَقَم ومن كبَـر ... واعوَجَ عَصبي الَذي قَد كَـــانَ مُنتَصبَا

وصرتُ أَمشي الهُوينَا بَعدَمَا ضَعـُفَت ... منى القوَى واستَردَ الدَهرُ مَا وَهَبَـــا

لاَ أَستطيعُ نُهُوضَـا قَد وَهَى بَـــدني ... تَمَكَنَ السـَقَمُ من جسمي فَصَارَ هَبَـا

تَظُنُ أَني عَلَى العَهد القَديـم وَلَـم ... تَعلَم بأني هَجَرتُ اللَهـوَ وَ الطَـرَبَـا

وَجانَبتْ نَفسي العَقَـل الذَميـمَ فَـلاَ ... أَرَى نَديمَـــا إلى مَن قَد هَفَـــا وَصَبَا

---

(1) نفســــه ص59

(2) بوزياني الدراجي " أدباء وشعراء من تلمسان" دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع . الجزائر 2011 – ج4 ص18

وَلاَ أنَا ثُمَ الـَذي يَرضَى بمَنقصَـــة ولاَ أُصيخُ لقَـــول يُحـدثُ اللَعــبَـا
إذَا تَذَكَـرتُ أيامي الَـتي سَلـــَفَـت تَـبَـادَر الدَمــــعُ من عَيـني مَن سَكـبَا
أَفنَيتُهَـا عَاصيَـا للَـه مُجتــَـرئَـا وَلَم أَخف شَـــاهدًا عَلَى مَـــن تَعبَا
كَم بتُ فيهَا عَلى العصيَان مُعتكـفًا مُضيعًا من حُقـوق اللَـــه ما وَجَبَـا
وَصَدَني عن سَبيل الخَير دُون خف قَريـنُ سـُوء إذَا غَالبتُـــــــه غَلَبَـا
كَيفَ اصطبَاري إذَا مَا النَار جيءَ بها وَالخَلقُ في قَنط والـرَبُ قَد غَضــَبَـا
وقيلَ يا أيها العَاصي نسيـتُ ولَـم يَنسَ الرَفيقَان ما خَاطَـا ومَا كَـــتَبَـا
إقـرَأ كتَابك وانظُــر ما جَنيتَ بـه اليــــومَ أجزَى الوَرَى كلا بمَـا كَسَبَـا
مَا حيلتي ما جَوابـــي عندَ ذاك ومَـا يَكُـون عذري ومني العَــقلُ قد سَلبَا
لَكنـني برســول اللَـه مُعتصـــم من جَـــاء بالنُور والبُرهـان مُنتخبَـا
بَدر تطلع في السَمـاء حــــلّ فـلا غَيـمٌ يغيبــــــُـه ، فَصَـارَ مُحتَجبَـا(1)

79- **إبراهيم بن محمد بن علي التازي** (ت866هـ):

إن شئتَ عيشًا هَنيا واتبــاعُ هُدَى فَاسمع هُــــديتَ وَكُن بالله مُعتَضدَا
شُرورَ نَفسكَ بَاعدهَا تُصَب رُشدَا فَمـــــــن يُطع رَبَهُ والمُصطَفَى رُشدَا
دُنيَاكَ دَارُ غُرور حُبهَا سَــــفــهُ رَأسُ الخَــــطايَا فَمن يُغرم بهَا بعدَا
والغيظُ مسعرُ شرٌ مَا استطعتَ فلاَ تغضب بذَاكَ حكيمُ الرُسل قد عَهدَا
سَلاَمَةُ الصَدر مَن خَير الخلاَل فَمن أَتـَـى بقَلــــــب سَليم رَبهُ سَعَدَا
والحقدُ طَبع ذَميمٌ عُد عَنهُ وَعـُـذ بالله رَبُ العُلَى من شـــر مَن حَقَدَا
وجَنب الحَسَدَ المَذمُومَ صَاحبـــَـهُ مَا ريــيءَ قَطُ حَســُودٌ سَاد أو مجدَا
نعوذ بالله من عَيش الحَسـُودَ فَمَا يُمسي ويُصــبح إلا سَاخطا كَـمدَا
عَادي مَواهبَ ذي الفَضل العَظيمَ فَعَادَاهُ السُــرُورُ فَمَهمُومَا يَرَى أَبَدَا
والمكر لا تأته عقباه خاســـ لــؤم وشئوم على أصــحابه البعدَا(2)

(1) المرجع السابق ص19

(2) المرجع نفســه ص70

وغَادر الغَدر فَالغَدار مُفتضـــحٌ ... يَـــومَ التَنَادي وَحَاذر من به عَـــهَدَا
رَذيلَةٌ لليَهود البُهت تَـــعرف لاَ ... للمُـــسلمينَ الكرَامَ الأَنفس السُعَدَا
والكبر أَكبَر خَرق والتَواضُـعُ من ... شمَـــائل العُـــــقَلاَء السَادة الصعَدَا
فَمَن تَواضُع رَقَاه الإلَـــــــه ومَن ... تَكبُر اتَضَـــــــعَ اسمَع واتبَع الرشدَا
أَخي كُن لكتَاب الله مُتبــــــــعًا ... وَسُنَةَ الُمصـــــطَفَى والقَادَة الرشـــدَا
وبالجماعة طُولُ العُمر مُتَصـــــــلاً ... وافصل أَخَا الزيغ والزم وصل من رشدَا
وللإمَام أَطع واسمع رشـــدت ولاَ ... تَخُنـهُ وانصَح لَه إن غـَابَ أو شَـــهدَا
وانصَح لكُل حَنيف مَا حـييتَ كَذَا ... أَوصَى الذي للصـرَاط الُمستقيم هُـــدَى
والعَدلُ أَوصَى به العَدلُ العَليُ فَكُن ... عَــــدلاً يحـــــبُكَ مَن لم يَتخذ وَلَدَا
والجُورُ خُســـــرٌ دَمَارٌ حَسرَةٌ نَـــدَمٌ ... والله بالنَـــــصر للمَظلُوم قَد وَعَـــدَا
والبَغيُ عَاجلَة فَاعلَــم عُقُوبَـــــتَه ... فَاحذَره لا سَــــبَدَا يَبقَي ولا لبـــدَا
والصبر شيمة أعلى الرسل منـزلة ... فَكـُــــن صَبُورًا وَعَود نَفسَكَ الجَلَدَا
ولا تَكـُـــن جَزعًا فالخير أجمــعه ... مفتــــاحه الصبر والمـولى به عَهَــدَا
وَالشُكر مَـوهبَةٌ عُظمَى ومَــنقَــبَةٌ ... عَلَى مَحــــجته الشَيـطَان قَد قَعَــدَا
وقَيد الأوهاب الأُلَي وإلَى المَــزيـد ... نَهـــــجٌ قَويـــمٌ خَابَ من جَحــدَا
فَكُن شُكُورًا عَلَى الأَحوَال أَجمعها ... تَفـُــــز وَتَغنَم وتُرغم أَنفَ مَن مَرَدَا
والبُخلُ أَدوَأُ دَاء وَالسَخَاءُ رضَـــى ... والقَصدُ عَدلٌ فَمَا عَالَ الَذي اقتَصَدَا
لاَ تُنكر الذُلَ إن أَصبَحتَ ذا طَمَعٌ ... وَالرزقُ لَيـــــسَ بحرص فَاترك الكَبَدَا
واقنَع بقسمَة رَب النَاس وَارضَ بهَا ... وَكُن شَــــكُورا لما أَســدَى يزدكَ يَدَا
عَليكَ بالصدق فَالكَذابُ مُتَـــــهَمٌ ... وَالميـــــــنُ عَارٌ وفـــقت فاتق الفندا
وَالصدقُ يَهدي إلى دَار السَلام كَذَا ... قَالَ الصَـــدُوقُ الذي بالسُؤدُد انفرَدَا
وذُو النَميمَة بالتَعذيبِ عُوقِـــبَ في ... ضَــريحه ِفي حَديثِ الُمصـطَفَى وَرْدًا
والغَيبةُ اللهُ في القُرآنِ قبَحَـــــــهَا ... بُعــــــدًا لمن عَنِ سَبيلِ اللهِ قَد بَعدَا(1)

(1) المرجع السابق ص71

وَالصَمْتُ حُكْمُ نَجَاةٍ وَالكَــلامُ رَدى فَاخْشَ اللِسَانَ وَكُنْ فِي الصَمْتِ مُجْتَهِدًا

إلا بِذكرٍ وَعِلْمٌ نَافِــــــعٌ وَبِمَا يَعْنيكَ فَانْطِقْ وَسَلْ مِنْ رَبِك السُدُدَا

وَالذِكْرُ أَفضَلُ أَعْمَالِ العِبَادِ وَمَنشُورِ الــولاَيــَةِ سَيْــفُ الصَفْوَةِ الزُهْدَا

يُدَافِعُ الله آفات تَيَـــــــــمُهُم بِــهِ وَيَنْقــِـمُ مَمَـــنْ ضرهم قَصَدَا

فَاذْكُر إلهَكَ فِي سِرٍ وَفِي عَــــلَنٍ فِي جَمْعٍ أَوْخَالِيَـــا واسْتَحْضِرْ الخُلْدَا

وبِالصَلاَةِ عَلَى الُمخْتَار كُنْ لَهَـجَا تَعِشْ سَعِيدًا وَتَرْضَ الوَاحِدَ الصَمَدَا

ولاَ تَراء فَرَبُ الخَـــــلْقِ مُنْفِردٌ بِالخَـــــلَقِ وَالأَمْرُ فَاعْبُدْ رَبَكَ الأَحَدَا

وَلَيسَ لِلْعَبْدِ دُونَ اللهِ مُلْتَحَـــدٌ وَلَيْــــــسَ يَملكُ ضُرًا ولاَ رَشَدَا

وَالجَهْلُ وَيكٌ ظَلامٌ ذِلَةٌ وَعَمَــى وَالعِــــــلْمُ نُورٌ مُنِيرٌ عِزَةٌ وَهُدَى

مَنْ لَمْ يَكُنْ عَالِمًا أَوْ ذَا تَعَـلُمٍ أَوْ أَخَا اسْتِـــمَاعٍ فَعَنِ نَهْجِ الهُدَى لحَدَا

وَالفَخْرُ بِالعِلْمِ فِي الإِسْلاَمِ يَعْرِفُ لاَ بِجَــاهٍ أَوْ بِثَـــــــرَاءٍ أَوْ أَبٍ فَقَدا

وَ قَدْرُ كُلُ امْرِىءٍ مَا كَانَ يحُـْسِنُهُ قَالَ الإِمَــامُ عَـــلِي وَالعِنَادُ رَدَى

وَأَكْرَمُ النَاسِ أَتقاهُم نَبِـــيُهُم صَــدِيقهُم صَالَحُوهُم زُمْرَةَ الشُهَدَا

وَخِيرَةُ الخَلْقِ مِنْ أَجْلِهِ خـُـلِقُوا مُحَمَـــــــدٌ خَيرُ مَحْمُودٍ وَمَنْ حَمِدًا

مَنْ خَصَهُ بِلِوَاءِ الحَمْدُ حَـــامِدُه وَبالمَـــــقَامِ القيامي الذِي حَمَـــدَا

وَيَومُ حَشْرِ الوَرَى لِلْفَصْلِ يُرْشِدُه إلىَ مَحــَــامِدٌ لم يرشد لها أَحَـدَا

وَكَثرةُ الحَمْدِ من أوصافِ أُمَــتِه في اليُسرِ وَالعُسرِ فِي الكُتُبِ العُلَى وَجَدَا

صَلَى الحَمِيدُ عَلَى المحمود أحمدِ مَا بِالحَـــــمْدِ أَفْصَح حماد وَمَا سَجَدَا

لله عبد شُــكُورٍ حَامد وَعَـــلَى قُــربَاه وَالصُحْبِ أَعْلَى الأُمَةِ الحامدا

وَالتَـابعينَ وَحِزبُ الله أَجمــعُهم وَالحَــــــمْدُ لله حمدا دَائِماً أَبَدًا(1)

** ويقول **ابن خميس التلمساني (708هـ)**

فيما أورده له القاضي عياض في " أزهار الرياض" :

أَنـبتَ وَلَكِنْ بَعدَ طُولِ عِتَـــابِ وَفَــــــــرْطِ لجاجٍ ضاع فيه شَبَابي(2)

---

(1) نفســه ص71، 72

(2) المرجع السابق ج2 ص410

وَمَا زِلتُ وَالعُلَيَا تغني غريـــمها أُعَـــــــلِلُ نَفْـــسِي دَائِماً بمتابِ
وَهَيهَات مِنْ بَعدِ الشَبَابِ وَشَرخِهِ يَلِـــذُ طَعَامِي أَوْ يَسُـــوغُ شَرَابِي
خُدعتُ بِهَذَا العَيشِ قَبلَ بَلائِـهِ كَـــمَا يخدعُ الصَادي بِلمــعِ سَرابِ
تَقُولُ هُو الشَهدُ المَشُورُ جَهَالَــةً وَمَـــــا هُو إلاّ السُم شَيبٌ بِصابِ
وَمَا صَاحِبُ الدُنيَا كَبكرٍ وتغلــبٍ ولاَ كَـــكُليبٍ رىء فَحل ضَــرابِ
إذا كَعتِ الأَبْطَالُ عنها تَقدمُــوا أَعَـــــاريبُ غِراءُ فِي مُتونِ عِرابِ
وَإنْ نَابَ خَطبُ أو تَفَاقُمُ مُعْــلق تَلْقَاه مِنهـــــــــمُ كُلَ اصيد نابِ
تَرَاءتِ لجالسٍ مخيِـــــلةُ فُرصَـــةٍ تَأتَتِ لَـــــــــهُ فِي جيئَةٍ وَذَهَابِ
فَجَاءَ بِهَا شَوهَاء تُنــــذِرُ قَومَـــهَا بِتشيـــــــيدِ أَرحَامٍ وَهَدمٍ قبابِ
وكان رغاء السقب في قوم صــالح حديثــــــــاً فأنساه رغاء سَرابِ
فَمَا سَمع الآذان فِي عرصــــتهم سِوى نَوحِ ثَكلى أو نَعيبُ غرابِ
وَسَل عُروةَ الرَحَالُ عَن صِدقِ بَأسِهِ وَعَن بيتــــهِ في جَعفَرَ بنُ كـلابِ
وَكَانَت عَلَى الأَملاَكِ مِنــهُ وفـادةٌ إِذَا آب مِنـــــــهَا آب خَير مَــآبِ
بِجير الحيين قيس وخنــــــــف بِفَضْـــــلِ يَسَارِ أو بِفَضْلِ خطابِ
زَعَامَـــة مَرجُو النَوال مــــؤل وَعَـــــزْمَةِ مَسْمُوعِ الدُعَاءِ مجيبِ
فَمُرَ يَزْجِيهَا حَواســـر ظلــــعاً بِمَـــــا حَمَلُوها مِن مِنَى وَرِغابِ
إلى فَدكٍ والموتُ أقـــرب غايــــةً وَهَـــــذَا المنى يَأتِي بِكُلِ عجابِ
تبرض صَفْو العَيشِ حَتى اسْتَسْفَه فداف له البــــرض فشــب حبابِ
فَأَصْــبَح فِي تِلْكَ المَعَــاطِف نهزةً لِنَهـــبِ ضِبَاعٍ أو لِنَهْشِ ذِئَابِ
وَمَا سمه عِنْـــدَ النِضَالِ بِأهـــــزِ وَلاَ سَيـــــْفِهِ عِنْدَ المصـاع بِنَابي
وَلَكِنَهَا الدُنيَا تَكِرُ عَلَى الفَــتَى وَإِنْ كَـانَ مِنْــــهَا فِي أَعَز نِصَابِ
وَعَادتها أَلاَ تَوسُــطَ عِـــــنْدَهَا فَإِمَا سَـــــــمَاء أو تخوم تُرَابِ
فَلاَ تَرجُ مِن دُنيَاكَ وُداً وَإِنْ يَـــكُنْ فَمَا هُوَ إِلاّ مِــــــثل ظِلِ سَحَابِ

(1) نفســـه ص410، 411

وَمِثَال الحَزم كُلِ الحَزمِ إلاّ اجْتنَابها فَأشْقَى الوَرَى مِن تَصْطَفِي وَتَحَابِي

أَبيتُ لَهَا مَا دَامَ شَخصِي أن تَــرَى تَمـــــر بِـــــبَابِي أو تَطور جَنَابي

فَكَم عَطَــلت من أربع وملاعــبٍ وَكَم فَرحَتٍ من أُسْــرةٍ وَصِــحَابِ

وَكَم عفرت حَاسِـــرٍ ومُدْجَـــــجٍ وَكَم أثكلت مِن مُــعصرٍ وَكِعابِ

إِلَيكُم بَني الدُنيَا نَصِــيحَةً مُشْفِقٍ عَلَيْـــــكُم بِصبرٍ بِالأُمُور نِقَابِ

طَويلُ مِــرَاسِ الدَهْرِ جَزل مَماحك عَريضُ مَجَـــالِ الهَمِ حِلسُ رِكَابِ

تَأَتت لَهُ الأَوهَـــامُ أَدهَم سَابقاً وَغُصتِ بِهِ الأَيَامِ أَشْـــهَبٍ كَابِي

ولَا تَحْسَبُوا أَنِي عَلَى الدَهرِ عَاتِبٌ فَأَعـــظَمُ مَا بِي مِنهُ أَيسَرُ مَا بِي

ومَا أَسَـــفِي إلاّ شَــبَاب خَلَعْتُهُ وَشَيــْبٌ أَبَى إلاّ نُصُولِ خِضَابِ

وَعُمْرٌ مَضَــى لَمْ أُحَل مِنهُ بَطائِلٍ سِوَى مَا حَـــلاَ مِن لَوعَةٍ وَتَصَابي

لَيَالِي شَيْــطَانِي عَلَى الغَي قادرٌ وَأَعــــذَبُ مَا عِندِي أَليمٌ عَــذَابِ

عَكَسْـنَا قَضَايَانَا عَلَى حُكْمٍ عَادنَا وَمَا عَـــكْسهَا عِندَ النُهَى بِصَوَابِ

عَلىَ المُصْطَفَى المُخْتَار أَزْكَى تحيتي فَتِــــلْكَ التي أعتد يَومَ حِسابي

فَتِلْكَ عَـــتَادِي أَو ثَنَاء أَصُــوغُهُ كَدر سَـــــحَابِ أو كدر سخابِ(1)

ويقول **عبد الرحمان الثعالبي(ت875هـ)** من الطويل:

وإن امرئ أدنى بسعين حـــــــجة جـــدير بأن يستعين معد جهازه

وأن لا تهز القلب منه حـــوادث ولكــــن يرى للباقيات اهتزاز

وإن سمع المصغي إليه لصــــــدره أزيزا لصوت القدر يبدي ابتزازه

فما بعد هذا العمر ينتظر الــــذي يعمره في الـــــدهر إلا اغترازه

وليس بدار الذل يرضى أخو حجى ولكـــن يرى أن بالعزيز اعتزازه(2)

وقال من المتقارب:

تمر اللَيالِي بنفســـي ومالِــي فَيا قَوم مَالِي عَن المَوتِ سَالِي(3)

---

(1) نفســه ص411

(2) موسوعة الشعر الجزائري م 1 ص326

(3) نفســـــه

نَهَاري جِدالٌ وليــلِي انْجِدالٌ وحولي رجال على مثل حالي
يَبيعونَ رُشدًا صحــيحًا بغيٍ فبؤسًا وسُحقاً لهم مِن رِجَالِ
قَطعتُ لعمري سَاعات عُمري يــزيدٍ وعَمْرو وقِيلٍ وقَـالِ
فيا صَاح مَهلاً أسالك جَهلاً وأتبع غيا سبيــل الضلالِ
أفي المَوتِ ريبٌ أيجمل عيبٌ لمن لاَحَ شيبٌ له في القتذال
شَبَابي يفرّ وشيْبِي يــكرّ وما إنْ تمخْــجر المَنُون ببالي
طريقي طويلٌ وزادي قليــل وحمْلي ثقيل فكيْف اْحتيالــي
أرى عظيم ذنْبي فيَشْتَدّ كربي ولكنّ ربّي عظيــم النّوال
فيا ذا الجلال ويا ذا الجمال ويا ذا المَعالي عليْكَ اتّكــالي
فَكُن عند ضنّي ولا تُسلّمْنـي ولا تَخْذلني بسُــوء فعالي
فأنت الرّجاءُ ومنّا الدّعَــاءُ ومنْكَ العَطاء فَهَبْ لي سُؤالي(1)

ويقول **لسان الدين بن الخطيب (ت776 هـ)** :

يَمضِي الزمَانُ فَكل فإنَّ ذاهــبُ إلاّ جميل الذِكــرِ فَهو البَاقِي
لم يَبقَ مِن إيوانِ كِسرى بعدَ ذَا كَ الحفلِ إلاّ الذِكرَ في الأوراقِ
هَل كَان للسَفَاحِ والمْنصُـور وال مَهدِي من ذكـرِ الإطْــلاَقِ
أو للرَشيدِ وللأمين وصَــونِه لَولاه ُشباه يـَـرَاعة الوَراقِ
رَجَع التُرابِ إلى التُرابِ بما اقتضَت في كُل خَلقٍ حكــمةُ الخلاقِ
إلاّ الثَناء الخالِد العَطرِ الشَــذا يهدي حديث مَكــارمَ الأخلاقِ(2)

وقال :

مَا أوبقَ الأَنفُسَ إلا الأَمَــلُ وهُو غُرورٌ مَا عَليهِ عَمــلُ
يفرضُ الشَخصُ وَهْمــًا مَاَله حَالُ ولاَ ماضٍ ولا مستــقبلُ(3)

---

(1) نفســه ص327

(2) نفح الطيب م6 ص203، أزهار الرياض ج2ص200

(3) نفسـه ص321

مَا فَوق وجه الأرضِ نفــسٌ حيةٌ إلا قَد انقضَ عليـــهَا الأجَلُ
لَو أنهُم مِن غَيرهَا قَد كَــونُوا لامتلأ السَــهْلُ بهم والجَبلُ
مَأثمٌ إلا لفَــمٍ قد هيئــــتْ للمَـوتِ وهو الآكِلُ المُستعْجَلُ
وَالوَعدُ حَقٌ، والــوَرى فِي غَفلةٍ قَد خَدعُوا بعَاجِلٍ وضَــلَلُوا
أينَ ذَوُو الرَاحَاتِ رَاحت حَسرَة إذْ جَنبُوا إلى الثَرَى وانْتقَــلُوا
لم تَدفعْ الأَحبَابُ عنهُم غَير أَنْ بَكَـوا على فِراقِهم وَأعْـوَلُوا
الله فِي نفسِـــك أولَى من له ادخَـــرتَ نُصحًا وعتَاباً يقبلُ
لاَ تَترُكَــــنَهَا فِي عَمَى وحيرةٍ عَن هَولِ مَا بين يَديهاَ يعـقلُ
حَقِر لها الفَــاني وحَـــــاولْ زُهـدهَا فِيه، وشَوقهَا لما يستقبلُ
وقُد إلى الله بِها مضــــــطرةً حَتى تَرى السَير عَليها يَسـهُلُ
هَذا الفَناءُ والـــبَقاءُ يعدهُ والله ـ عن حكـمتهِ ـ لا يسـألُ
يَا قُرة العَين ويَا حســـرَتَها يَوم يوفَ النَاسُ مَا قَد عَمِلُوا(1)

وقال في الاغترار بالدنيا:

خُذ مِن حَياتِكَ للمَمَات الآتِي وَبدَارٍ مَا دَامَ الــزَمانُ مُواتٍ
لا تَغتَر، فهو السَرابُ بَقيعةٌ قَد خَدعَ المــاضِي بِه والآتِي
يا مَن يُؤملُ وَاعِظًا ومذكِرًا يَومًا لينــقِذَهُ من الغَفَلاتِ
هَلاَ اعتبرتَ ويَالهاَ من عبرةٍ بمداخـــنِ الآباءِ والأُمهاتِ
قِفْ بالبَقيعِ ونَادِ في عَرصَاتِه فَلَكــم بِها من جيرةٍ ولداتِ
دَرجُوا ولستَ بخالدٍ من بعدهِم مُتــميزٌ عَنهم بوصفِ حياةِ
والله مَا استهالتْ حيًا صَارخًا إلاَ وأنتَ تعدُ في الأمواتِ
لا فوتَ من دَركِ الحِمامِ لِهاربٍ وَالنَاسُ مَرعىَ مَعركِ الآفاتِ
آسِفًا عَاينًا معشَر الأَمواتِ، لاَ ننفكُ عن شُغل بِهاكَ وهَاتِ(2)

---

(1) نفســـه ص322

(2) نفســـه ص324

كَيفَ الحَيَاةُ لدَارجٍ مُتكَلفٍ سِنةَ الكَرى بمدَافنِ الحياتِ

وَيغُرنَا لمعُ السَرابِ فَنغْتَدِى في غَفْلة ِعن هادمِ اللذاتِ

والله مَا نَصحَ امرءًا من غيهِ وَالحقُ ليسَ بخافتِ المشكَاةِ(1)

وقال في الموت:

أنَا لله وأنَا لهُ ما أشغـ ـلَ الإنسانُ عن شَأنـــــهِ

يَرتاحُ للأثوابِ يزهَى بِهَا وَالخيطُ معـــْزولٌ لأكفَانِهِ

ويخزِنُ الغَلسُ لِورَاثِــــهِ مُستنفدًا مَبلغَ إمكانهِ

قوَضَ عن الفَاني رحالَ أمــ ـرى، مد إليهِ كفَ عِرفانِهِ

مَا ثَمَ إلاَ موقِــــفٌ رَاهِنٌ قَد وُكِل العَدلُ بميزانِهِ

مُفرطٌ يَشــــــقَى بِتفريطِهِ وَمحسِنٌ يجزِي بإحسَانِــهِ(2)

**وله في الموعظة:**

إذاَ لم أَنحُ يَومًا عَلىَ نَفْسِي الـتِي بحرَائها أَحْبَبت كُلَ حَبيبٍ

وقَد صَحَحَ عِندِي أَن غَاديةَ الرَدى تَدُبُ لهَا والله كُلَ دَبيـــبٍ

فَمنْ ذَا الذِي يَبكِي عَليهَا بِأدْمُعِي إذَا كُنتَ مَوصُوفًا بِرأْيِ لَبيبٍ(3)

**وقال في الموت:**

فَلَو أَنا إذا مِتـــــنَاَ تَركنَا لَكَانَ المَوتُ رَاحةَ كُلَ حَيٍ

وَلَكنَا إِذاَ مِتْــــــنَا بَعَثنَاَ وَنَسْألُ بَعدَه عَن كُل شَيٍ(4)

و يقول أبو بكر ابن المنخل (560هـ) في الشيب ، وهو الذي انتقل إلى إفريقيا عند قيام دولة الموحدين، من الكامل :

إِنْ يَنقَلِبُ لَيلُ الشَبَابِ نَهَارًا فَلَقد ْأَجد بنَا المشيبُ عِيارًا(5)

---

(1) نفســـه

(2) نفســـه ص326

(3) نفســه

(4) نفســه

(5) يوسف عطا الله " شعراء العرب -المغرب والأندلس" ص85

فَوددْتُ أن اللَيلَ أَصبحَ حَاضرًا ... عِندِي وَأنَ الصُبحَ كَان ضِمَارَا

كُنَا نَرَى أَن المَشيبَ جَـــلالةٌ ... حَتى لبسنَاهُ فَـــكَان بَوارَا

قَالُوا وَقَارُ قُلتُ وَاوُ أُقحمَت ... مَا تُبصِـــرُ الحَسنَاءُ إِلاَ قَارَا(1)

وقال **ابن شبرين الجذامي السبتي** (747هـ) في التذكر والاعتبار :

ظَعنَ الصِبا ومن المحولِ قُفُولهُ ... إن كُنتَ بَاكيهِ فتــلكَ طُلُولهُ

قِف عِندهَا خيلَ الدموعِ ورجلهَا ... وأندبِ شبَابا شَط عنكَ رحيلُهُ

رَعيَا لجيـــرَاني وَللظِلِ الذِي ... قَد كَانَ يَجمعنَا هناك ظَليلُهُ

هَـــذِي دِيارهُم فَـمثلُهم بِهَا ... إن المتيمِ شَـــــأنُهُ تمثيلهُ

وَإندُب أخلّاءَ المُصــافاة الأُلَى ... فَلربّما نَدب الخَليـــلَ خَليلُهُ

عَهدٌ أُحِيلَت حالُهُ فَاليَـــوم لا ... مَعقولُه مِنّا وَلا مَنـــقولُهُ

أَشجاك مُجتمَعٌ عَفَـت آيات ... وَتعاورته شَـــمالُه وَقَبولهُ

قَد كُنت تَصغُر عَن سِني فِتيانه ... فَاليَوم تَصغر عَن سِنيك كهُولُهُ

وَلقَلّما تَبقى الرُسوم فَويحَ مَن ... ألهـــاه مِن هَذا المتاع قَليلُهُ

لا يَأمَنَن ذُو مُهـــلة فَكَأن بِهِ ... قَد يَمّـــمت دار المَقام حُمُولهُ

ما كانَ ماضي العَيش إلّا خَطرةً ... خَطَرت وَوَقتاً قَد تَتابع جِيلهُ

أَسَفاً عَلى زَمَن كَريم عَهدُهُ ... وَلّت غَضارته وَغابَ سَبيلهُ

ضَيّعتَ فِي طَلَب الفُضول بُكورَه ... لَكن نَدمتَ وَقَد أَتاكَ أَصيلهُ

دَع عَنكَ تِذكارَ الصِبا إنّ الصِبا ... رَسمٌ يَهِيج لَكَ الغَرام مَحِيلُهُ

يا مفرقاً نَزَل المَشيـــبُ بِهِ اِتّئد ... فَالحرّ لا يـــوذى لَدَيهِ نَزيلُهُ

لَم يَعتمد شَيبٌ مَحــلّة لِمّة ... سَـــوداءَ إلّا وَالحمامُ زَمِيلهُ

قَد كانَ أُنسي في الشباب فصدّني ... وأَبى عليَّ وصــاله ووصولهُ

فَعليكَ يا أُنسي تَحيّةُ مُقـــصِر ... طاحَت عَلى اللذّات مِنكَ ذُحولهُ(2)

---

(1) نفســـه

(2) نفســـه ص153

حَسبي إذا رمت الأنيس مُؤنسٌ مِن رَبّنا سُبــــحانه تَنزيلُهُ

تَبدو الحَقائق لي إذا رَتّلتـــــهُ يا حَبّذاه وَحَبّـــــــذا تَرتيلهُ

يَبلى الزَمان وَما يَزال مُـــجَدّداً لا نَصــــــّه يَبلى وَلا تَأويلهُ

أَعظم بِهِ لِلمُؤمـــنين مفصّلاً فَرقَ الضَلال مِن الهُدى تَفصيلُهُ

نالَ الهُدى وَالبِــــرّ حاملُه كَما نالَ الكَرامَة وَالعُلى مَحمولُهُ

أَدّى أَمانَتَه أَمين ناصــــــحٌ في السِدرة العَلياء طابَ مَقيلُهُ

وَوَعاه عَنهُ مُصطَفى مُتَخــيّر صحّـــت رِسالته وَصُدّق قِيلُهُ

فَلَشدّ ما قَد أَحســَنا في أَمرِهِ هَذا محمّـــــــده وَذا جِبريلُهُ

لِلقانتـــــــين بِهِ زَئيرٌ كُلّما مُدّت مِن اللَيل البَهيم سُدولُهُ

كَم تَحتَ هَذا اللَيل مِن مُتَملمِلِ مُتملّق خَرَق الحِـجاب عَويلُهُ

مِن كُلّ مَن راقَت أسرّة وَجههِ وَحَـــلا لَهُ بَينَ الأَنام خُمولهُ

ذي مَشية هون وَبُـــرد مُنهج وَعَلى المَقامات العلى تَعويلُهُ

رَفَضَ الوجود وَلَم يُبال بِرزقه لِمَ لا وَمَـــــولاه الغَنيّ كَفيلهُ

لِلّه مِنهُ في الدجُنّـــــة وَقفة هبّ النَســـيم لَها فَرَقّ بَليلُهُ

فَإِذا الصَباح بَدا طَوى مَنشوره صَـــــوناً لِسرّ وَالجَهول يُزيلُهُ

يا حاضِراً عِندي وَلَيسَ بِجائز إِدراكه إِنّ العُيـــــون تُحيلُهُ

يا غائِباً عَن ناظِريّ وَلَم يَغِب إِحســـــانُهُ عَنّي وَلا تَنويلهُ

يا واحِداً حَقّاً وَلَيسَ بِممكنٍ تَشبـــــيهُهُ كَلّا وَلا تَخييلهُ

أَنا ذَلِكَ العَبدُ الظَلوم لِنَفسهِ زَلّـــــت بِهِ قَدَم وَأَنتَ مُقِيلُهُ(1)

ويقول **التلاسي محمد بن أبي جمعة التلمساني**-كان حيا ما بين - 760هـ و 767هـ - في الخوف من الشيب:

أَصبحَ رَأْسِي مِن الشَوائِبِ وهُـــوَ مِن الجَانبين شَائِبْ

يَا لهفَ نَفسِـــــي عَلى زَمانِ كُنت لِثوبِ الشَبابِ سَاحِبْ(2)

(1) نفســـه

(2) بوزياني الدراجي " أدباء وشعراء من تلمسان" ج4ص39

أرفُل في حلة التَــــصَابِي بينَ حَبيـــبٍ وبَينَ صَاحِبْ
حَتَى بَدَا الشَيـــبُ في قَذالِ بَادرتُه بِالسَـــوادِ خَاضِبْ
أَستُرُه كُل حِيـــــنٍ حَتىَ عَمَ مِن الــرَأْسِ كُل جَانِبْ
وَأقبَلَ مِنه لي جُيُــــوشٌ سِهامُها للصِـــباَ صَوائِبْ
فَصالَ شَيبِي عَلــى شبَابِي صَولَـــةَ ذِي نجـدَةٍ مُحاربْ
وَسَل فِي العَارضِينَ سَيفًا أَضحَى بِه للشَبابُ ضَاربْ
مَا زالَ يَسْطوُ عَلــيهِ حَتَى ظَــلَ لما قَد دَهاهُ هَـــارِبْ
وَقدْ مضَى مَعهدُ التَصَابِي وَأقبَلَ الشَيــبُ في كَتَائِبْ
واحدَودبَ الظهرُ واعترانِي مَا ذادَ عن وُصْلِي الكَواعِبْ
ومَلنِي الصَاحِبُ المُصافِي وَالعُرسُ والأهْــلُ وَالأقارِبْ
هَذا و نفسِي لكل شيءٍ ممَــا يشيقُ الفــتَى تراقبْ
مِن قبحِ قولٍ و سوءِ فعلٍ وتركِ حــــقٍ عليَ وَاجبْ
فَقلتُ يَا نفســِي ليسَ أَن تنَظري الآنَ في العَواقبْ
وَلتستَـعدِي لهــولِ يومٍ تَشيبُ من بعضِه الدَوائِبْ
يَومًا يكــــونُ فيهِ الإلهُ عَلَــى جميعِ العُصاةِ غَاضِبْ
يا نَفسُ بادر دَع التَـأني فَعيشُكَ عَن قَريـــبٍ ذَاهبْ
ارجِع لمَــولاكَ بانكسَارٍ ولترسَــل الأَدمُعُ السَواكبْ
وقُل أَيا مَالــكِي و يَا مَن إلــيهِ كُل الأَنامِ آئـــبْ
يا رَبِ إني أَسـَأتُ جَهلاً يا رَب إنـِـــي أتيتُ تائبْ
يا غَافر الذَنبِ والخطاياَ حَاشَــــاكَ أَني أُرد خائبْ
ياَ رَب يسِــر ولَا تعسرْ يا رَب سَــــامِح ولا تُعاقبْ
إِنِي تَوسَـلتُ ياَ إلاهِي بسيدِ العَـــجم و الأَعارِبْ
وَخَـــاتِم الأنبياءِ طُـــرًا وَ خيرِ مَــاشٍ وخير رَاكبْ(1)

(1) المرجع السابق ص40

الَهاشمي الــــذِي به قَد سَمَــــا قَصي وَسَاد غَالبْ(1)

وقال في ذكر الموت:

كَأسُ الحِــــمَامِ على الأنَام تَدورُ مَا أن لها إلا القضاَء مُــــديرُ
وَكذَا الليــــالِي لا وَفاءَ لعهدهِا إن أَقسطْتَ يومَا فَسَوفَ تجورُ
كَم شتت من جمَـــعُ شمل لم يكنْ يخشَى الشتاتَ وكُلُ ذاَ مشهُور
إِن أضْحكَت في يَومِها أبكتْ غَدا فَالخير مِنـــــهَا إن أتاك غُرورٌ (2)

ويقول في الوعظ:

تَرى هَل يُردُ الصِبا بِالوسائلِ فَدمعِي مُذ بَاَن هامٍ وَسَائلْ
وَهَلْ لِزماَنٍ مَضَى رَجــــعَة كَعدِي به أتُرى الدَهر فاعلْ
بَدا الشيَبُ في مِفـرقِي قَادمًا فَقَال السُلو أَنا عنْكَ راحلْ
فَهَا أَنا أبْكِي لفقد الشَباب وَعَصرُ التَصاَبي بُكاءُ الثَواكلْ
وليسَ البكاءُ على فقـــدهِ ولكِن لتضييعِ عُمري بَاطلْ
مضى ضائعا في عسَى لعلَ وحتَى وسوفَ اعتذار المماطلْ
أُطاوعُ نفـــسي في غَيــــهَا وَأمسي عَن الرُشدِ لاهٍ وغَافلْ
فَـيا ويحَ نفسـي كَم ذاَ تُرى تُطيعُ الغُواة وتَعــصِي العَواذِلْ
وَكَمْذا اغْترارٌ بِطـولِ البَـقَا ولم يَتبــقَ من العــمْرِ طَـائلْ
فَمن منصفِي لمن أشـــتكِي ودهرِي غَدا لي حَـــربا مُقاتلْ
وهَل مِن دواءٍ وهَل من شِفاء وَلستُ لشيءٍ من النُصحِ قَابلْ
شَكوتُ إليكَ إلهِي عَلَ وعسَى تمنُ وتسمحُ بالتَـوبِ عاجلْ
وَتصفحُ عن زَلــــتِي أنني أَتيــــــتُ بَابك ذليلاً سَائلْ
فَمَا لي سِــواكَ وأنتَ الإلهُ الذي لاَ تخيبُ لديهِ الوسائلْ (3)

وفال في ذم الشيب والكبر:

---

(1) نفســــه ص40
(2) نفســـه 40، 41
(3) نفســـه ص41

أَأَصبُو ورأسي بالمشيبِ غَدا حالِ    وَحالِ لذاكَ الشيبُ لما بَدا حَالي
وَكيْفَ لمثلي بالتَصـــابِي وبِالهَوى    وَهَل للتَصابِي أن يمرُ على بَالِي
وَعني شبابِي قد تَولى وقد مَضَى    فَقَلـــبِي منــه لاَ هنيءُ ولا سَالِي
عَلا مِفرقِي جَيشُ المشيبِ فها أنَا    جَديدُ شبــــَابي مُذ ألمَ به بَالِي
نَفائسُ أنفاسِ الشبابِ قد انقَضَتْ    ومَا لِي من بَعد الشبــيبةِ مِن مَالِ
ونَاد لِســـانَ الحَال شَمر إلى مَتىَ    تَرى غيرَ نَاسٍ للتَصَابي وَلا قَالِي
فَحرمت سُلوانِي وحُزني أبحتهُ    وَقُلتُ لنفسِي قَد دَنا عَنكِ تِرحَالِي
فَجِدي بحزْمٍ فِي نجَاتك وانْظُري    يعزم لما فِيه الصَلاحُ لأحْوَالِــي(1)

ويقول **محمد بن يوسف القيسي الثغري** عاش ما بين 760هـ و 796هـ:

أَقصِــر فَإن نَذير الشَيــْب وَافَانيِ    وَأنكرتْني الغَوانِي بَعـْدَ عِرفَان
وَقدْ تماديتُ فِي غَي بِلاَ رُشْـــــدٍ    وَالنفسُ تَأمُرنِي وَالشيبُ ينهَانِي
وَقلتُ للنَفسِ إذ طَالـــتْ بَطَالتُها    مَهلاً ألَم يَان أَن تَخْـشَى ألم يَانِ
كَمْ مِن خُطى قَد خَطوت فِي الخَطَايا    ولَم تُراقبي الله في سِـرٍ وإعْلانِ
فَلا تغرنكَ الدنيا بِزخــْـــــرُفهَا    فَيا نَدامَة مَن يَغتَر بِالفَــــانِي
وَاسْلك سبيلاً إلى التقوَى لتَقوى به    عَلى السُلوكِ لجنَات رِضْــوانِ(2)

ويقول في ذم الدنيا:

المَرءُ فِي الدُنيا رَهينُ خطـــوبِ    وَالدهرُ أفصحُ من خِطابِ خَطيبٍ
مَن صَاحب الدُنيا لم تَـــزلْ    تَأتيهِ بالمـــــكْروهِ فِي المحبُوبِ
ومُؤملُ الأيامِ ليــسَ بحاصلِ    إلاَ عَلى أملِ بهَــــا مَكذوبِ
دُنيا مِثلَ الحُلم مِن تجريــبٍ    وَلغايةٍ مجــــــهُولةٍ تجرِي بِي(3)

(1) نفســـه ص58
(2) نفســه ص168
(3) نفســه ص169

ويقول **ابن خطاب عبد الله بن داوود الغافقي** الذي استوطن تلمسان (ت636هـ):من كتاب "

| | |
|---|---|
| اقْنعْ بمَا أوتيــتَه تَنــلْ الغِنى | وَإذا دَهتكَ ملمةٌ فَتــَـــــصَـبَـرِ |
| وَاعْلمْ بأن الرزقَ مقسُومٌ فَلَوْ | رُمْـــــنَا زيادَةَ ذَرةٍ لم نَقـْــــــدِرِ |
| الله أرْحمُ بالعبادِ فلا تَسـَـــلْ | أَحَدًا تَعِشْ عَيش الكِرامِ وتؤجَرِ |
| وَإذاَ سَخِطتَ لحال بُؤسِكَ مَرة | وَرَأيتَ نفسكَ قَدْ عَوتْ فَلْتَبْصِرِ |
| وَانْظُرْ إلى مَن كَان دُونَك تَذكر | لِعَظيمِ نعــــمتِه عليكَ وتَشْكُرِ (1) |

ويقول إبراهيم الطويحين الساحلي (ت747هـ) كان بمراكش وتوفي في مالي:

| | |
|---|---|
| مَتى يَقصِـــدُ المَرءُ في غَيرهِ | إذاَ كَــانَ فِي نَفسِهِ يسرِفُ |
| أَرَى النفـسُ إن بَلغت غَايةٌ | سَمتْ بعدَ ذَلكَ تَستشْـرِفُ |
| وَكَيــــــَف تُسَرُ بيوم يمرُ | وَمِن عُمرهَا أبدًا يَغْــرِفُ |
| وَلاَ بد لِلْجنبِ مِن وَجبـةٍ | إلى ملحدٍ نَابهُ يَصـــــرِفُ |
| ومَنْ كـَــــانَ مُستيقِناً أَنهُ | إلَى ربهِ الرَجعُ والمَصــرَفُ |
| فَما حَالَهُ عِندَ وَضعِ الكِتَابِ | أَينكِـــــــرُ مَا فيهِ أمْ يَعرفُ(2) |

وفال في القناعة:

| | |
|---|---|
| إياكَ والإِســفَاف لِلأَطمَاعِ | قنَاعَةُ المَــــــرءِ مِنَ الإقنَاعِ |
| فِي مَا ادّعَى مِن كَرَمِ الطِّبَاعِ | وَعَافَ مِن يِذْلةِ الانتِــجَاعِ |
| تاللّهِ مَا الإِصْرَارُ كَالإِقـْلاَعِ | انْخَفضَ الوَهْدُ عَنِ اليَفَاعِ |
| عَاريةُ العُمْرِ إلَى ارْتِـجَاعِ | وَصِــلةُ الحَبلِ إلَى انْقطاعِ |
| وَاهاً لأسماعِ يِلاَ استِـماعِ | وَأنفسٍ تَرضَى بِالانخدَاعِ |
| دَعِ الوَفَا وَجدّ في الزمَاعِ | إنّ الفِطامَ عَقبَ الرَضَاعِ (3) |

وفي ذم الدنيا:

---

(1) " أدباء وشعراء من تلمسان "ج3 ص293

(2) يوسف عطا الله " شعراء العرب –المغرب والأندلس "دار الأهلية للطبع- عمان –الأردن.2007-ص40

(3) نفســـه

**يقول ابن الآبار البلنسي وهو** محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي أبو عبد الله. من أعيان المؤرخين، واستقر بتونس. فقربه صاحب تونس السلطان أبو زكريا. يقول في ذم الدنيا:

أُفٍّ لِدنيَـــا لم يَزلْ أبناؤُها　　يتَقاتلونَ على جَناهَـــا التَافهِ

سَفَهوا نُفُوسهُم عَليهَا ضلّةً　　فجميعهُم من ســافهٍ ومسافِهِ

كُلٌّ عَلى أَعراضِها متهالكٌ　　إن لم يشافه بالقبيـــح يُشَافِهِ

واللّهُ في تنزيـــلِه قَد ذمّهَا　　فَاقرأ كِتاباً ليـــسَ بِالمتشَابهِ

عَنّا به مِنْ منزلِ عبث البلَى　　فيه وحَـــــلَّ بخامِلٍ وبنَابِهِ

وعَليكَ أَكرَمُ حِليةٍ وَأجلُّهَا　　لَيسَ الضَحُوكُ السِنِ مثل الجَابِهِ(1)

وقال في الوعظ:

يَا لاهياً عَن رُشدِه سَاهياً　　حَتى مَتى الغَفلةُ والسَهوُ

أراكَ لهن الشيب حدّ الرَدى　　وشِيمَــتَاكَ الهَزلُ وَاللَهْوُ

لَو رَاعكَ القبرُ وظَلمَاؤهُ　　مَا راقكَ البيتُ ولاَ البَهْوُ

تَواضُـــعُ المرءِ له عِزّةٌ　　قَعساءُ والذلُ هُو الزَهْوُ

أَمنتَ أن تمنىَ بِعصفِ الرَدى　　كَأنّـــمَا زعزَعَهُ رهوُ(2)

وقال في الوعظ كذلك:

نَصحتُكَ لا تبع رشداً بغيٍّ　　ويِع طَلبَ الرِضى بالرُشْدِ غيّا

وليّ الشيبُ بالإقلاعِ ظُلمٌ　　فَكَمْ ذاَ تَتْبَـعُ التَسويفَ ليّا

أَلم ترَ مَا يسُوم النَاسَ نشراً　　مِن الآمَـال كَيف يغالُ طيّا

إذا فَاء الفَتَى لنهَاه يـَـوماً　　رَأى الأعـْــمار للآجالِ فيّا

يبيدُ الخلقَ من شيخٍ وشرخٍ　　وَهل تَركَ الرَدى في الحَي حيّا

محَت قَيساً وليلاهُ الليــالي　　وغَال المـَـوتُ غيلاناً وميّا

مَرامُ الفوز في دُنيــاك دَانٍ　　بمَا ترجُـــوه مِن رَيٍّ وريّا(3)

---

(1) من موسوعة الشعر العربي.

(2) نفســه

(3) نفســه

وخَير الزَاد تَقــوى اللَّهِ حَقا فَلاَ تعدِل بِتَـــقوْى اللّهِ شيّا(1)

ويقول في التذكير والوعظ كذلك:

وَيحَ ابنُ آدم غرّتهُ سَـــلامَتُه فَباتَ يُغرى بِإعراسٍ وتَعريسِ

كأَنّ رحلته يَومــًـا وَمأتَمُهُ لا َيأتيان بِتـــوريدٍ وَتَوريسِ

يُبلى بكرّ الجديدين القَشيبِ كَما يَنهَدُّ ما كَان مَرصُوصاً بِتأسِيسِ

وَالدَهرُ لَيــسَ بِناجٍ مِن حِبالَتِهِ صعوٌ بوكرٍ ولاَ ليثٌ بعِرّيسِ

تَطاولَ الناسُ في البنيان يَا عَجبا أَما تقاصَر قِدمًا عَرشَ بلقيسِ

إنَّ الصِعاَبَ وَإن أَعيت رياضتُها مِن المَنايَا لتــدويخٍ وتخييسِ

هَذي قسيّ اللَيالي غَيرُ صَائنةٍ سِهَامها عَن أَخِي حَبو وتقريسِ

مِن اسْتضَاءَ بِنور الحَقّ مُهتَدياً لم يَخشَ ظُلمَة إبطَالٍ وتَلبيسِ

لاَ بدّ مِن وحدة فِي الرَمسِ مُوحشةٍ إن لم تُقدمْ لها أَعــمَال تَأنيسِ

فَانظرْ لِنفسِكَ ما أنظرت مزدلفاً للّـــــه تحظ وتنفيسِ(2)

ويقول **أبو حمو موسى الثاني بن يوسف** 791هـ من:

هَوينَا الظِبــا وَأَلِــفْنَا الظِبَا وَكَم مِن فُؤاد إليهَــا صَبَـا

إلى أَن بدا الشَيبُ فِي مِــفرَقِي وَأَجريتُ مِن خَـــيلهِ أَشْهَبَا

فَأَيقظَني الشَيبُ من غَفْــلَتي فَفِي لمتي مِن حَديثِــي نَبَـا

وَقد عَاد غَضُ شَــبابي بِــهِ محيـــلاً ولَونِي غَدا مَذهَبَا

فَوا أَسفِي مِن ذُنــُوبٍ مَضَتْ تَقضَيتهَا في زَمــَان الصِبَا

وكَمْ لمتُ نَفسِي فَما أَقلعــت وعَاتبـــتُ قَلبي فَمَا أَعتبَا

وَكم قَد بَكــيتُ لذنبٍ جَنيْتُ وقَلبِي نَهيتُ ولَكِـــن أَبَا

لَقد حُقَ أَبكِــي عَلى زَلَتِي فَذنبِي لحِجْــرِي قَد أَوجَبَــا

ولَيس لخطِي وتمحيــصُ ذَنبي سِوى فَرطِ لحُــبِ أَهلِ العِبَا(3)

---

(1) نفســه

(2) نفســه

(3) بوزياني الدراجي ." أدباء وشعراء من تلمسان " ج4 ص265 ، وانظر " إرشاد الحائر إلى أدباء الجزائر ج2 ص498 ،

يُدني ويبعدُ في أَحْكَامــه أبداَ هَذا يذاك ولا عَتــــبُ لمن عَتبَا(1)

ويقول في الموضوع ذاته:

وَسَالتْ دُموُعِي فَوقَ خَدي هَوامِلاَ وقَد صَيرتْ فَــــوقَ الخُدودِ لها خَداَ

قَد اصْفر لَوني بعدَ حُسنِ شَبيبتيِ كَما ابيضَ رأسي بَعدماَ كان مُسودَا

وَقَد مرَ عُمري في عَــسى ولَعلمَا تُواصلنِي لُبنَى وتَهجُرنِي سَعْـــدَى

وتَزرِي بِي الدُنيا يزورِ غـُــرُورِها فَكمْ نَقضتْ عَهداً وَكمْ نثرتْ عَقداً

وهَذا نَذيرُ الشيـــــبِ لاحَ بمفرقِي يُذكرنِي خَـــــوفًا وينجِزُ لي وَعدًا

هَويتُ مِن الدُنيــاَ زَخاَرفها الــتِي يفِـــــــرْط هَواهاَ لا أُطيقَ لَها ردَا

شَغفتُ بِها دَهرًا ولم أَدرِ ما مَضَى وقَد بَذلــتُ من بَعد مَا أَظهرتْ وُدَا

تُشَاغِلنِي نَفسِي وُدنيايَ والهَوى وتُبعدنِي من بَعـــد مَا أَظهرتْ وُداَ

ولَستُ يِسالٍ عن هَواهَا كَأننِي أُشَــــــابه بشرًا في مَحبتهِ هِنداَ(2)

ويقول في الخوف من الشيب:

لَيالِي لُبانَة قد تَقضتْ وقَد مَضتْ وجَيشُ شَبَابي بالمشيـبِ لقدْ قَدَا

ويَاليتَ شِعري لِلزمَانِ الذِي مَضَى أَيرجعُ مُرَ العَيشِ مِن بَعدِهِ شَهْدَا

وَتغفِر أوزَارِي وتمحِي جَــرائمِي وحَصـــر ذُنوبِي لاَ أطيقَ لها عَدَا

أنا المسْرفُ الجَاني أنا المذنبُ الذي أُشاهدُ بابَ العفْو بِالذنبِ قد سُدَا

لَقد حُق لي أَبكِي عَلَى فَرطِ زَلتي وَأسكُب دَمعاَ كاَلعقيقِ عَلَى الخدَا

إذا ذَرفتْ عـــيناي زادَ تفـــكُري وتَعظمُ أفُكاري ووُجدي لَه أَجدىَ

أُعاتبُ نفسِــــي في زَمان بِطالتي وقَلبي علَى كَســـبِ المآثم قَد جَدَا

وجَيشُ شَبابي قد مَضى بسبيلهِ وجَيش مَشيـــبي قد تَقدمَ لي وَفْداَ

وحاَلي بين الحـــالتين كَما ترى فَتطعمُــــني شَــوقاً وتُقلقنِي صَدَا(3)

(1) المرجع السابق ص266

(2) نفسه ص266، 267

(3) نفســـه ص267

ويقول **ابن أبي العيش (محمد)** (654هـ):

قَنعتُ بما رُزقت فلَسـت أَسعَى لِـــــدار أَبي فُلان أو فلانِ
وآثرت المقــــام بكسر بيتي مُـــــعين فِي المعارفِ أم مُعانِ
ولاَ أَلْقَى خَليلاً غَير صَـــبرٍ ولاَ أَحَـــــــدَ أَراهُ أو يَرانِي
وقَد أَيقنــتُ أن الــرزق آتٍ إِن لَم آتــِــــــهِ سَعــيًا أَتَانِي
وقَد حَققتُه فَهمًــا وعِلـــمًا وقَد شَـــاهدتـُه رَأي العِيانِ
فَلازِم ذَا بِإخلاصٍ تمَـــــكن هُنَا وهُنـــاك من أنسى مَكانِ (1)

ويقول أيضا:

إِنِي بِذنُوبِي مُعــــــتَرفُ وَالخَوفُ أَشـــــدُ مِن الأَلَمِ
يَا رَب إِذْ لم تعصِــــمُنِي مَالي بِذنُوبي مِن عِــــصَمِ
كم أجني الذنب وتمهلني وتقـــابل ذلـــك بالنعم
ولَكمْ أَعصِيكَ وتَسترُنِي يَا ذَا الأَفضَـــالِ وذاَ الكَرمِ
مَا زِلتُ بِفضْلِكَ تَرحمِنِي وتَجودُ عَلـــى مِن القِدَمِ
والعَبدُ بِبــَابِكَ مُلتِزمٌ وبِغَـــيرِ جَنابِكَ لم يحـمِ(2)

ويقول **ابن الخلوف القسنطيني**(ت899هـ)، في الخوف من كثرة الذنوب:

فَدهْري في لَهو وقَلـــبِي في عَمَى وعُمرِي في نَقـــصٍ وذَنبِي في نَمَا
أَتَيتُ ذُنوبًا لَيسَ تُحصَى وكَيفَ لي بِعذْبٍ وقَد أُضِيفَتْ بِالذَنبِ مَلجَمَا(3)

ويقول **ابن قنفذ القسنطيني**(ت809هـ):من

مَضَت سِتُونَ عَامَا مِن وُجُودي زمان أَمسَكتُ عَن َلعِبٍ و لهْوٍ
وقَد أَصْبحْتُ يوم حُلولِ إِحْدَى وثَامنةَ عَلَى كَسَـــل وَسَهْوٍ
فَكَمْ لاِبنِ الخَطيبِ مِن خَطَايَا وَفَضْـــلُ اللهِ يَشمَلُهُ بِعَفْوٍ(4)

(1) موسوعة الشعر الجزائري ج2ص375
(2) نفســـه
(3) إرشاد الحائر إلى أدباء الجزائر ج2 ص561
(4) موسوعة الشعر الجزائري م2ص460

ويقول **محمد بن الحسن القلعي** (ت673هـ)،

تَوهَمْتُ من طُولِ الحِسَابِ وهَولِه — وَكَثرةِ ذَنبي كَيفَ لاَ لِتُوهِـمُ
فَيَا سَامِعَ الشَكْوىَ أَقلني عَثْرتِي — فَأنكَ يَا مَولاَي تَعفُ وتَرحَمُ
وَقَد اثْقلتْ ظَهرِي ذُنُوب عَظيمةٍ — وَلَكن عَفوُ الله أَعلَى وأَعظَمُ(1)

ويقول كذلك:

واعملُ لأُخْرىَ ولاَ تَبخَل بِمَكرمَة — فَكُلُ شَيءٍ عَلى حَـــدِ إلىَ قَدَر
وخَلِ عَنِ زَمن تَخشى عَواقبــــهُ — عَن الزَمَانِ إذا فَــكَرتُ ذِي عِبرِ
وكُلُ حَي وَإنْ طَالــــتْ سَلاَمَته — يَغتَاله المَــــوتُ منه على حَذرِ
يَا ويحَ من غَــــرَه دَهرٌ فَسر بِهِ — لم يَخلصُ الصَفو إلاَ شَيبٌ بِالكَدرِ
انْظرْ لمن باد تَنظــــرْ آيةً عَجَبا — وَعــبْرة لِأولَي الأَلــبَابِ والعِبرِ
أَين الألى جَنبُوا خَيلاً مـســومةً — وشَيــــدُوا إرما خوفا من القَدر
لم تَغنم خَيلهم يَوماً وإن كَثــرتْ — ولَـم تفـــد إرمًا للحَادث النُكرِ
تَنافَسَ النَاس في الدُنيا وقَد عَلِموا — أَن المُقام بِها كَلـــمحِ بِالبَصرِ
وفَكَرنَا في مُلوكِ العرب من يمن — ولِتعتبر بِملوكِ الصــينِ مِن مُضرِ
أفَناهُم الدَهر وأولاَهم وآخِرهُم — لم يَبقَ مِنه سِوى الأَسماء والسِيرَ(2)

ويقول **ابن مرزوق الخطيب محمد** (ت781هـ):

يَا نَفسُ جدي قَد بَدَا — الصُبحِ أَلاَ فَاعتبِرِي
اتَعظِي بمـــنْ مَضَى — وارْتَدعِي وازْدَجِري
مَا بَعدَ شَيبُ الودِ مِن — مُرتقِــب فَشمِري(3)

ويقول :

و إنِي كثير الخَطَا والـــذُنُوبِ — وخَوفِي مِـــم عَلي ارْتسَمْ(4)

---

(1) من الموسوعة م2 ص474

(2) نفســه

(3) نفســه ص552

(4) من إرشاد الحائر إلى أدباء الجزائر ج2ص480

وقَد جَاء أَنَ البـــِــلا والمَحَن	يُنيلاَن فَضـــلَ الثَوابِ الأَعَمْ

وأَنهُمَا يمحوانِ الـــــذُنوبَ	وأنهُما يُجــــــزِلانِ القَسمْ

تَوالتْ ذُنوبٌ وعَمتْ خُطُوبٌ	ودَامتْ كُــــــرُوبٌ وَزَاد الألمْ

أَيَا مَالِكَ المُلـــــكِ يا عُدتِي	ويَا كَاشفَ ما حَل بِي من سَقَمْ

تَداركْ عَــبدا عَظِيم الذُنوبِ	بِعفْوكَ رَبي عَـــــمَا اجْترَمْ

وخُذ بيــــــدِي إنني غَارقٌ	وهَا أنا أَقْـــــرعُ سِن النَدمْ

فِأنْ لم تَكُـــــنْ آخِذًا بِيدِي	وَإلا فَـــيَا زَلـــــةً للقَدمْ

فَإنْ لم تَهب لِي مِنكَ الرِضَى	وتَعـــــــفُو عَني فَمَا لي قَدمْ

فَمنْ للكُروبِ من الخُطوبِ	ومَـــــنْ للذُنوبِ وما قَد أَهمْ(1)

ويقول **أبو حفص عمرو بن عبد الله بن محمد بن عمرو السُلمي الأغماتي**(ت**604هـ**). (ولد بأغمات وسكن مدينة فاس).

أيُّها المُغتَــرُّ بِالزَمَـــن	في هَـــواه خالِعَ الرَسَنِ

حبُّك الدُنيا وَزينَتـــــها	فتنَةٌ عَمَّـتك بِالفـِتَنِ

ظَلتَ وَالحالاتُ شاهِدة	عاكِفاً مِنها عَلى وَشنِ

فَاهجرنها إن زينتــــها	زينَةٌ شانَــت وَلَم تَزنِ

خَدَعــتك إِنَّها قَبُحَت	باطِناً في ظاهِرٍ حَسَنِ

وَلتُقَدِّم ما تُســــَرُّ بِهِ	قَبلَ طُول البَثّ وَالحَزنِ

فَكَأن أُخراك ما بَرِحَت	وَكَأن دُنياك لَم تَكُنِ(2)

ويقول أيضا:

يا راكِـــضاً في طِلابِ دُنيا	لَيسَ لِمَن تَصرع اِنتِعاشُ(3)

تَنــــــــحّ يا عُرضَةً لِرامٍ	أَسهُــــــمُه بِالرَدى تُراشُ

(1) المرجع السابق ص481

(2)يوسف عطا الله " شعراء العرب-المغرب والأندلس" ص256

(3) نفســـه ص253

لَم تَخشَ ناراً هَوى لَظاها لِمَـــن لَهُ نَحوَها اِنحِياشُ

أَعــذَرُ مِنكَ الفَراشُ حالا عَلمتَ ما يَجهَل الفَراشُ

تَطـــــــلُبُها لا تَنام عَـــنها وَلا يَستَقِرُّ جاشُ

مَن لَكَ بِالريِّ مِن شَراب يَشتَدُّ مِن شُربه العطاشُ

دَعها فَطُـــلّابُها رعـــاعٌ طاشَت بِأَلبابهم فَطاشُوا

وَاِظمأ لِتَروى وَكُن كَقومٍ ماتُوا بِها عِفَّةً فَعــاشُوا

لَم يَرِدُوها فَهُـــم رِواءٌ وَوارِدُوها هُـــم العِطاشُ

كَأَنَّ آمـــــالنا ظِباءٌ وَنَحنُ مِن حيرَة خِراشُ

إِن لآمالِنا اِنبِـــساطاً بِهِ لِأَعـــمارِنا اِنكِماشُ(1)

ويقول **محمد بن الحاج البلفيقي** نزيل بجاية و مراكش وسبتة (ت773هـ)من الطويل، في التنزه عن الدنيا والاعتبار.

تَزيدُ عَن الإِقْلالِ نَفسِي نَزاهَةً وتَأنسُ بالبَلوىَ وتَقْوى مَعَ الفَقرِ

فَمن كَان يخشَى صَرف دهرٍ فَإِنني أَمنتِ بِفضْلِ الله منْ ذُنوبِ الدَهرِ(2)

ويقول **يحيى بن خلدون** (ت780هـ) من كتاب إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر ج2 ص450

يمضِي الزَمانُ فَكلُّ فَان ذَاهبٌ إلا جَميل الذِكـــرِ فَهو البَاقِي

لم يَبقَ مِن إِيوان كِسرى بعد ذَا كَ الحفْلُ إلاَ الذكرُ في الأَوراقِ

هَل كَان للسَفاحِ والمنـــصورِ والَمهدي مِن ذِكرٍعَلى الإِطلاقِ

أو للرشِـــيد وللأمينِ وصنوه لَولاَشياة بـــَراعةِ الـــوَراقِ

رجَع التُراب إلى التُـــراب بمَا في كـُــل خَلقٍ حِكمَةُ الخلاقِ

إلاَ الثنَاء الخالدُ العطرُ الشَذِي يهْـــدِي حَديثُ مَكارمُ الأخلاقِ(3)

ويقول **بركات العروسي القسنطيني**(ت897هـ) من الكامل في الوعظ والمشيب والموت ، من إرشاد الحائر إلى أدباء الجزائر:

(1) نفســه

(2) من كتاب إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر ج2 ص450

(3) نفســه

يَا أَيهَا العَبد المُسـيءُ الجَاني　　　أو مَا عَلِـمتَ بأنَ عُمركَ فَانيِ

وإذا مَلكت جَميع مَا في الأَرض ما　　　تَرحلْ سِوى بالقـُطنِ والكِتانِ

أَتظُن أَنك دائمٌ ومخـلدٌ　　　والمـُوتُ محتومٌ عَلىَ الإنسانِ

فَإلى مَتى يَا غَافلاً و العـُمر قَدْ　　　وَلىَ وَلاحَ الشَيـبُ في الأَذقانِ

يَا أيهَا المغـْرورُ في غَفَلاتِه　　　ضَيعتَ عُمركَ في مَدى العِصيانِ

فَانهضْ واندَمْ على ما قَد مَضَى　　　واندُبْ كما نَدبَ المسيءُ الجَانيِ

وابسُـطْ يديكَ بِذلَةٍ وتخضَعْ　　　فَعَسىَ يجودُ عَليـكَ بِالغُفرانِ(1)

وقال **بن عبدون المكناسي** (659هـ) في المشيب:

لما تراءتِ للمَشيـبِ بمفرقِي　　　شُهب أَغرنَ علَى شَبابِي الأَدهمِ

أَبْدى التَجهُمُ مَن أَحب أَما دَرى　　　أَن الدَيـاجِي حُسْنُها بِالأنجُمِ(2)

وقال في الشكوى:

سَأسْتـَجدِي صَغِيرَا مِن كَبيرِ　　　وأَرْغـَبُ في حَصَاةٍ من ثَبيرِ

وأَقنعْ بِالقَليـلِ النَزر مِمَن　　　يَجُودُ وَلَيسَ يَقنـعُ بِالكَثيرِ

ألاَ إن النُفـُوسُ إذا أَخبتْ　　　أَدلـتْ في الخَطِيرِ وفي الحَقيرِ(3)

ويقول بن غازي المكناسي(ت919هـ) :

عجبـت لمبتاع الضلالة بالهدى　　　وللمشتري دنياه بالدين أعجب

وأعجب من هذين من باع دينه　　　بدنياه سواء فهو أخزى وأخيب (4)

ويقول **أبو بكر بن زهر** (ت595هـ) الذي سكن مراكش، وقد أوصى أن يكتب على قبره:

تأمل بفضـلك يا واقفا　　　ولاحـظ مكانا دفعنا إلـيه (5)

---

(1) المرجع السابق ص591

(2)يوسف عطا الطريفي " شعراء العرب –المغرب والأندلس"- ص 171

(3) نفسـه

(4) نفسـه ص175

(5) نفسـه ص273

تراب الضريح على صفحتي كأني لم أمـــــشي يوما عليه

أداوي الأيام حذار المـــــنون فها أنا قد صرت رهنا إليه(1)

---

(1) نفســــــه

# المصادر

# والمراجع

# المصادر والمراجع


- القرآن الكريم .رواية حفص عن عاصم
- مسلم بن الحجاج النيسابوري." صحيح مسلم". مؤسسة الرسالة .دمشق.سوريا.2009

**المعاجم** :

1. ابن الأثير – « الكامل.دار الكتاب العربي». ط6 . بيروت. لبنان. دت.
2. أبو الحسن علي بن محمد الشريف. « التعريفات» . دار الشؤون الثقافية العامة– آفاق عربية
3. ابن منظور – « لسان العرب».تعليق علي شيري– دار إحياء التراث العربي – بيروت 1988.
4. الزبيدي – «تاج العروس من جواهر القاموس». تحقيق عبد العزيز مطر .مطبة حكومة الكويت 1970.
5. سعاد الحكيم – «المعجم الصوفي» . دار ندرة للطباعة و النشر 1981.
6. عبد المنعم الحفني." معجم المصطلحات الصوفية". دار المسيرة – بيروت. لبنان .ط2– 1987

**الدواوين:**

1. ديوان أبي العتاهية – تقديم د .عمر فروق الطباع. بيروت لبنان .1997
2. ديوان ابن هانئ– تقديم كرم البستاني. دار بيروت للطباعة والنشر. 1980
3. ديوان امرئ القيس – رواية الاصمعي من نسخة الأعلم– دار المعارف للنشر – القاهرة مصر ط4.دت
4. ديوان ابن عبد ربه.– جمع . محمد رضوان الداية. مؤسسة الرسالة .بيروت – لبنان1979.
5. . ديوان عدي بن زيد العبادي . تح " محمد جبار المعيبد– دار الجمهورية للنشر–بغداد –العراق 1965.
6. . ديوان عنترة . تقديم كرم البستاني . دار صادر– بيروت. لبنان.د ت.
7. شرح ديوان لبيد . مهدي محمد ناصر الدين . دار الكتب العلمية. بيروت– لبنان– ط3 .2002
8. ديوان الحكيم أبي الصلت أمية بن عبد العزيز الداني (460–529هـ). جمع وتحقيق محمد المرزوقي . دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع–تونس .1974.
9. "ديوان الشيخ إبراهيم التازي" جمع ودراسة – المهدي لعرج.– بيروت . لبنان – دت

**المصادر:**

1. أبو عبد الله بن عبد الملك الأنصاري المراكشي. "الذيل و التكملة لكتابي الموصول والصلة" تح. د/ إحسان عباس ود/ محمد بن شريفة و د/ بشار عواد معروف .دار الغرب الإسلامي .تونس 2012
2. أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم – « طبقات علماء إفريقية و تونس» . تقديم و تحقيق: علي الشاذلي و نعيم حسن اليافي – المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر. ط2. 1985.

3. أبو الفرج ابن الجوزي – "تاريخ عمر بن الخطاب – أول حاكم ديمقراطي في الإسلام " .مطبعة التوفيق الأدبية – مصر .1916

4. أبو الفرج بن الجوزي " تلبيس إبليس"- دار القلم – بيروت . لبنان .1982 .

5. أبو عبيد البكري - المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب- . دار الكتاب . لبنان 2013.

6.أبو الفرج الأصفهاني – « الأغاني» . تحقيق سمير جابر. دار الفكر. بيروت ط2 ج 14

7. الأعلم الشنتمري . « شعر زهير بن أبي سلمى ». تح / فخر الدين قباوة دار الأفاق القاهرة – مصر . د ت

8. أحمد بن عثمان المزيد – « تلبيس إبليس» . دار الوطن للنشر ط1 2002.

9. أحمد بن القاضي المكناسي "جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس"-دار المنصور للطباعة والوراقة – الرباط . المغرب.1973.

10. أحمد بابا التنبكتي "نيل الابتهاج بتطريز الديباج " تح/ عبد الحميد الهرامة. دار الكتاب- طرابلس .ليبيا . 2000.

11. ابن الأبار – " تحفة القادم " أعاد بناءه وعلق عليه د./ إحسان عباس –دار الغرب الإسلامي.بيروت لبنان.ط1. 1986 .

12. ابن الأبار – « التكملة لكتاب الصلة » .عني بطبعه الشيخان الفريد بل مدير مدرسة تلمسان و ابن أبي شنب - مدرسة الجزائر – الجزائر ..1919

13. ابن الأبار " الحلة السيراء" تح .د/حسين مؤنس–دار المعارف. القاهرة–مصر ط2 -1975

14. ابن أبي دينار " المؤنس في أخبار إفريقية وتونس".تح .الشيخ محمد شمام .المكتبة العتيقة – تونس.ط3 .1967

15. ابن بشكوال " الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم و فقهائهم و أدبائهم" تح . بشار عواد معروف- دار الغرب الإسلامي . بيروت . لبنان . 2010

16. ابن حنبل – «كتاب الزهد».تحقيق محمد جلال شرف – دار النهضة العربية – بيروت لبنان 1981.

17. ابن خافان - « مطمع الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس».تحقيق محمد علي شوابكة . دار عمار . مؤسسة الرسالة مصر د ت.

18. ابن خلدون – «العبر». دار إحياء التراث العربي – بيروت لبنان . دت.

19. بن خلكان. « وفيات الأعيان و أبناء أبناء الريان » . تحقيق احسان عباس. دار صادر- بيروت. لبنان. د ت.

20. ابن دحية الكلبي - « المطرب من أشعار أهل المغرب» .تحقيق .د. ابراهيم الأبياري و .د. حامد عبد المجيد و د. أحمد حمد بدوي راجعه د. طه حسين- دار العلم للجميع للطباعة و النشر و التوزيع – بيروت لبنان.

21. أبو علي الحسن ابن رشيق – « العمدة في محاسن الشعر و آدابه». تحقيق محمد قرقزان.دار المعرفة– بيروت– لبنان1988.
22. ابن فرحون – « الديباج المذهب في معلافة أعيان علماء المذهب » . تحقيق محمد الأحمدي . دار التراث – القاهرة .مصر . د ت.
23. . ابن القيم الجوزي –تهذيب مدارج السالكين– هذبه عبد المنعم صالح العلى العزي–دار التوزيع والنشر الإسلامية–القاهرة – مصر ط2 – 2003.
24. ابن قنفذ القسنطيني ."الوفيات" . تحقيق عادل نويهض – دار الآفاق الجديدة –بيروت .لبنان ط4 1983
25. ابن سعيد المغربي – « المغرب في حلي المغرب ».تحقيق شوقي ضيف– دار المعارف– القاهرة. مصر ط4. د ت.
26. ابن عذارى – « البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب» . تحقيق ج . س كولان /إليقي بروقنسال. دار الثقافة. بيروت . ط3 . 1983
27. ابن عسكر و أبي بكر بن خميس – « أعلام مالقة» . تقديم و تخريج و تعليق. الدكتور عبد الله المرابط الترغي . دار الغرب الإسلامي للنشر و التوزيع– دار صاد بيروت 1999.
28. ابن كثير. « تفسير القرآن العظيم » . دار الغد الجديد – القاهرة - مصر 2007.
29. ابن مريم التلمساني. " البستان في ذكر الأولياء والعلماء في تلمسان " –اعتنى به محمد بن أبي شنب – المطبعة الثعالبية .الجزائر. 1908.
30. بشير خلدون " الحركة النقدية على أيام بن رشيق المسيلي– سلسلة الدراسات الكبرى"–الشركة الوطنية للنشر والتوزيع–الجزائر.1981.
31. الحصري – « زهر الآداب و ثمر الألباب »– دار الجيل. بيروت. لبنان ط4. د ت.
32. الحميدي – « جدوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس». تحقيق ابراهيم الأبياري– دار الكتاب المصري. دار الكتاب اللبناني– ط3 - 1989.
33. الدباغ –« معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان». تحقيق محمد ماضور. المكتبة العتيقة - بتونس ط2 1963.
34. الرفيق القيرواني – « تاريخ إفريقية و المغرب». تحقيق المنحى الكعبي و توفيق السقطي. تونس 1968.

35. عبد القادر بن عمر البغدادي " خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب"ـ مكتبة الخانجي– القاهرة– مصر 1971.

36. عبد القاهر الجرجاني " أسرار البلاغة". تعليق محمود محمد شاكر. مطبعة المدني – القاهرة . مصر1989

37. عبد الواحد المراكشي "المعجب في تلخيص أخبار المغرب" شرح صلاح الدين الهواري"– المكتبة العصرية –بيروت –لبنان .2006.

38. العماد الأصفهاني –« خريدة القصر و جريدة العصر». نقحه وزاد عليه: محمد المرزوقي، محمد العروسي المطوي، الجيلاني بن الحاج يحيى الناشر: الدار التونسية للنشر .تونس 1971

39. محمد بن رمضان شاوش . «الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد التاهرتي» . صدر عن وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007.

40. الضبي – « بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس ». تحقيق ابراهيم الأبياري .دار الكتاب المصري (القاهرة) دار الكتاب اللبناني (بيروت) ط1 1989.

41. الغبريني – « عنوان الدراية في من عرف بالمائة السابعة من مدينة بجاية» .تحقيق رابح بونار .الشركة الوطنية للنشرو التوزيع بالجزائر 1970.

42. الغزالي – « إحياء علوم الدين ».دار المعرفة – بيروت – لبنان . دت.

43. القاضي عياض –« ترتيب المدارك لمعرفة أعلام مذهب مالك» ، دار مكتبة الحياة بيروت ،د.ت.

44. قدامة بن جعفر نقد الشعر. تحقيق كمال مصطفى– القاهرة ط3 1978.

45. القشيري – « الرسالة القشيرية» . دار الكتاب العربي . بيروت– لبنان .د ت.

46. لسان الدين بن الخطيب – « الإحاطة في أخبار غرناطة ». حققه محمد عبد الله عنان – مكتبة الخاشجي للطبع و التوزيع القاهرة – مصر1977 ط1.

47. لسان الدين بن الخطيب – « نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب. » .**تحقيق إحسان عباس – دار صادر بيروت .لبنان – 1988**

48. المالكي أبي بكر بن محمد – « رياض النفوس في طبقات علماء القيروان و إفريقية ». تحقيق بشير بكوش و راجعه محمد العروسي المطوي. دار الغرب الإسلامي– بيروت لبنان 1994.ط2

49. محمد بن أحمد الدمشقي " العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام بن تيمية"– تح طلعت بن فؤاد الحلواني . – الفاروق الحديثة للنشر والتوزيع – القاهرة . مصر 2002

50. حمد بن محمد مخلوف –« شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ». المطبعة السلفية و مكتبتها القاهرة –

مصر.1349هـ.

51. المقري التلمساني –« أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض». ضبطه و حققه و علق عليه ، مصطفى السقا ، إبراهيم الأبياري – عبد الحفيظ شلبي–مطبعة التأليف و الترجمة و النشر – القاهرة – مصر – 1940.

52. الناصري أبو العباس أحمد بن خالد – « الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى». تحقيق جعفر الناصري و محمد الناصري– دار الكتاب. بدار البيضاء– المغرب 1955.

53. يحي بن شرف الدين النووي –« شرح متن الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية » منشورات المكتبة العصرية صيدا . لبنان ط$_2$ 1982. .

54. يحيى بن خلدون " بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد" تقديم وتحقيق . د/ عبد المجيد حاجيات . دار عالم المعارف للنشر والتوزيع – الجزائر .

## المراجع:

1. أبو عمران و فريق من الأساتذة –« معجم مشاهير المغاربة ». منشورات دحلب– الجزئر .2007.
2. ابراهيم أنيس – « موسيقى الشعر » .مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة – مصر ط6.- 1988.
3. ابراهيم بسيوني – « نشأة التصوف الإسلامي ». دار المعارف بمصر 1961.
4. ابراهيم الدسوقي . جاد الرب –« شعر المغرب حتى خلافة المعز ». دار الثقافة للنشر و التوزيع 1991.
5. أحمد أمين " ظهر الإسلام" تحقبق محمد فتحي أبو بكر. مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.القاهرة – مصر.2013.
6. إحسان عباس " فن الشعر" دار الثقافة للنشر والتوزيع – بيروت– لبنان.ط3 دت.
7. إحسان عباس " تاريخ الأدب الأندلسي–عصر الطوائف والمرابطين – دار الشروق . عمان الأردن . 1997
8. أحمد إلياس حسين – « الإباضية في المغرب العربي » . مكتبة الضامري للنشر والتوزيع– سلطنة عمان 1992.
9. الأخضر السائحي – بكر بن حماد شاعر المغرب العربي في ق3. - دار النشر وزارة الثقافة– الجزائر.2007.
10. أندري يونيان – « الجزائر بين الماضي و الحاضر».ترجمة اسطنبولي رابح منصف عاشور– ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر 1984.

11. إميل ناصف – « أروع ما قيل في الزهد و التصوف» . دار الجيل– بيروت– لبنان .دت
12. ابن صغير – « أخبار الأئمة الرستميين في القرن الثالث الهجري» . تحقيق محمد ناصر. و ابراهيم بحاز.دار الغرب الإسلامي. بيروت لبنان.1986.
13 . بدر ضيف ."شعر سابق عبد الله البربري"–دار الوفاء . الإسكندرية– مصر.2004
14. بسيوني عبد الفتاح فيود " علم البديع–دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع" – مؤسسة المختار للنشر والتوزيع .القاهرة – مصر.ط4 سنة 2015
15. بوزياني الدراجي "أدباء وشعراء من تلمسان" دار الأمل للدرسات للنشر والتوزيع . الجزائر 2011
16. طاهر توات " ابن خميس شاعر تلمسان الأكبر– دراسة نقدية". دار الأوطان.2011
17. حامد حفني داود . " تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الأول " .ديوان المطبوعات الجامعية . بن عكنون . الجزائر..1993
18. الحفناوي " تعريف الخلف برجال السلف". مطبعة بيير فونتانة الشرقية – الجزائر.1906
19. رابح بونار – « المغرب العربي تاريخه و ثقافته ». الشركة الوطنية للنشر و التوزيع – الجزائر 1981
20 . رشيد بورويبة ، موسى لقبال ، عبد الحميد حاجيات ، عطاء الله دهينة ، محمد بلقراد « الجزائر في التاريخ – العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني » – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر 1984.
21 . زكي مبارك – «التصوف الإسلامي في الأدب و الأخلاق». المكتبة العصرية. صيدا بيروت .لبنان . دت
22 . سامية جباري " الأدب والأخلاق في الأندلس– عصر الطوائف المرابطين – دار قرطبة –2009.
23. شريفي عبد اللطيف و زبير دراقي – « الإحاطة في علوم البلاغة». ديوان المطبوعات الجامعية. بن عكنون– الجزائر–2004.
24 . شوقي ضيف – « التطور و التجديد في الشعر الأموي». دار المعارف ط4 1971.
25. صابر نعمة " الصوفية معتقدا ومسلكا". دار عالم الكتب للنشر والتوزيع .بيروت لبنان ط2. 1985
26. صبحي البستاني – « الصورة الشعرية في الكتابة الفنية ».دار الفكر العربي .مصر.1986.
27 . صلاح الدين بن أيبك الصفدي " الوافي بالوفيات" دار إحياء التراث العربي" تح . أحمد الأرناووط و تركي مصطفى.–بيروت . لبنان 2000
28 . عادل نويهض. " معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر". مؤسسة نويهض الثقافية للنشر والتوزيع.–بيروت. لبنان –ط2 –1980.
29. عبد الحليم حسان – « التصوف في الشعر العربي .نشأته تطوره حتى آخر القرن الثالث الهجري»– مطبعة الرسالة – مصر .1955.

30. عبد الحميد حاجيات " أبو حمو موسى الزياني- حياته وآثاره ." الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- الجزائر 1982

31 . عبد العزيز عتيق – «الأدب العربي في الأندلس». دار النهضة العربية للطباعة و النشر. بيروت 1976.

32 . عبد العزيز نبوي – « محاضرات في الشعر المغربي القديم».الشركة الوطنية للنشر و التوزيع – الجزائر 1983.

33. عبد القادر الرباعي –« الصورة الفنية في شعر أبي تمام» . جامعة اليرموك – الأردن 1980.

عبد القادر المازني –« الشعر غاياته ووسائطه ».تحقيق فايز ترحيني. دار الفكر اللبناني ط2. 1990

34. عبد الله علي علام . « الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي». دار المعارف- القاهرة 1971.

35. عبد الله شريط – « شخصيات أدبية من المشرق و المغرب» . دار مكتبة الحياة ، بيروت ط2. 1966.

36. عبد الله شريط – " تاريخ الثقافة والادب في المشرق والمغرب" . المؤسسة الوطنية للكتاب –الجزائر 1983.

37. عبد الله كنون – "سابق البربري شاعر من المغرب" . مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق-سوريا . 1969.

38. عبد الله كنون. « النبوغ المغربي» . دار الكتاب اللبناني- بيروت . ط2 . 1961

39. عبد المالك مرتاض - « الأدب الجزائري القديم» .(دراسة في الجذور). دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع – الجزائر2005.

40. عبيدي محمد " صفحات من تاريخ الجزائر"-دار الفاروق للنشر والتوزيع.-الجزائر .2013

41. العربي دحو - « الأدب العربي في المغرب العربي من النشأة إلى قيام الدولة الفاطمية ».دار الكتاب العربي .القبة-الجزائر 2007

42. العربي دحو - « الشعر المغربي من الفتح إلى نهاية الإمارات الأعلبنية و الرستمية و الإدريسية ». ديوان المطبوعات الجزائرية 1994.

43. د/عزيز العكايشي. د/ الربيعي ين سلامة . د/محمد العيد تاورية. د/عمار ويس" موسوعة الشعر الجزائري" دار الهدى – عين مليلة. الجزائر د.ت.

44. عفت الشرقاوي –« دروس و نصوص في قضايا الأدب الجاهلي». دار النهضة العربية للطباعة و النشر – بيروت 1979.

45. فايز ترحيني – « الإسلام و الشعر» . دار الفكر اللبناني – بيروت . لبنان 1990.

46. مبارك الميلي . « تاريخ الجزائر في القديم و الحديث ». تحقيق محمد الميلي . دار الكتاب العربي للطباعة. النشر و التوزيع و الترجمة – الجزائر 2007.

47. مدحت الجيار " الصورة الشعرية عند أبي القاسم الشابي" دار المعارف- القاهرة- مصر ط2 .- 1995

48 . محمد إبراهيم بحاز " الدولة الرستمية " ، نشر جمعية التراث ، الجزائر 1988.

49. محمد بن عميرة – « دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي» . المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر 1984.

50. محمد الطاهر العدواني – «الجزائر في التاريخ (الجزائر منذ نشأة الحضارة) عصور ما قبل التاريخ و فجر التاريخ»- المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر 1984.

51. محمد الطالبي ."تراجم أغلبية، مستخرجة من مدارك القاضي عياض"- تونس .الجامعة التونسية.1968

52. محمد الطمار – « تاريخ الأدب الجزائري ». الشركة الوطنية للنشر و التوزيع - الجزائر 1981.

53. محمد الصغير غانم "مواقع وحضارات ما قبل التاريخ في بلاد المغرب القديم"- دار الهدى – عين مليلة -الجزائر 2003

54. محمد رمضان شاوش . الغوثي بن حمدان. "إرشاد الحائر إلى أدباء الجزائر" – دار البصائر للنشر والتوزيع – الجزائر 2011.

55. محمد عبد الغني الشيخ – « النثر الفني في العصر العباسي الأول - اتجاهاته و تطوره» . ديوان المطبوعات الجامعية 1983.

56. محمد علي ديوز- « تاريخ المغرب الكبير». دار إحياء الكتب العربية. القاهرة.مصر 1973.

57. محمد مرتاض-« من أعلام تلمسان . مقاربة تاريخية – فنية »- دار الغرب للنشر و التوزيع – وهران .2004

58. محمد مرتاض- « النقد الأدبي القديم في المغرب العربي . نشأته وتطوره حتى القرن السادس الهجري » - مقاربة تاريخية/ فنية . دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع- الجزائر 2014.

59. محمد مسعود جبران . "مالك بن المرحل أديب العدوتين ". المجمع الثقافي . أبو ظبي . الإمارات العربية . 2005

60. يحي بوعزيز – « أعلام الفكر و الثقافة في الجزائر المحروسة ». دار الغرب الإسلامي – بيروت 1995.

61. يحي بوعزيز – « الموجز في تاريخ الجزائر». ديوان المطبوعات الجامعية وهران- الجزائر ط$_2$ 1995.

62. يوسف عطا الطريفي "شعراء العرب_ المغرب والأندلس" دار الأهلية للنشر والطبع – عمان –الأردن.2007.

## المجلات و الموسوعات :

- مجلة الفضاء المغاربي . مجلة دورية محكمة يصدرها مخبر الدراسات الأدبية و النقدية و أعلامها في المغرب العربي- جامعة أبي بكر بلقايد- تلمسان.
- مجلة التراث العربي – مجلة فصلية تصدر عن دار إحياء كتاب العرب- العدد 75.-دمشق سوريا 1999.

## الرسائل:

- محمد لميــن بلغيث – رسالة ماجستير : " الربط بالمغرب الإسلامي وورودها في عصــري المرابطين و الموحدين " . رسالة ماجيستر في التاريخ الإسلامي . إشراف عبد الحميد حاجيات 1987.
- علي بن أحمد مشاعل – « الدعوة إلى الله في العصر العباسي الأول . – مشكلاتها و أساليبها و مواقفها (132هـ-232هـ) ». 1988 رسالة لنيل شهادة الدكتوراه . جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.–كلية الدعوة والإعلام . بإشراف د/ عبد الله بن يوسف الشاذلي.

## المواقع على الأنترنت:

- موقع المجمع الثقافي . أبو ظبي الإمارات العربية المتحدة . (الموسوعة الشعرية الإصدار الثالث)
- موقع خزانة المذهب المالكي من كتاب "الفتوحات الوهبية بشرح الأربعين النووية " لصاحبه إبراهيم بن مرعي بن عطية الشبراخيتي المالكي.
- موقع العلامة الشيخ عبد الكريم آل شمس الدين.

# الفهرس

# - الفهرس -

**مقدمة** ....................................................................................أ

**المدخل** ...............................................................................1

- الزهد (فنونه وأشكاله) :

1. جغرافيا الموقع ....................................................2
2. حول العنوان ..............................................................6
3. السياق التاريخي للزهد في الفكر الإنساني والفكر الإسلامي........................9

1 - الزهد في التاريخ الإنساني..............................................9

2- المفهوم الإسلامي للزهد .......................................................10

- في القرآن ...........................................................10
- في السنة .......................................................................13
- عند السلف الصالح.....................................................15

4. عوامل الزهد و أسبابه ..........................................................17

**الفصل الأول** ..............................................................................22

- شعر الزهد في المشرق والمغرب :

- شعر الزهد عند المشارقة .........................................23
- شعر الزهد عند الأندلسيين ............................................29
- الحياة الثقافية في المغرب العربي في بدايات الفتح الإسلام..........44

- بعض المصادر المعتمدة في البحث ........................................51

**الفصل الثاني** ......................................................................53

موضوعات شهر الزهد :

- موضوعات شعر الزهد عند المغاربة ......................54

أ. هاجس الموت.........................................55

ب. هاجسي الزمان و الدنيا ..................................66

ج. فكرتا الاعتبار و الاتعاظ.........................................................74

د. هاجسي القبور و ذهاب الأمم السابقة ..........................................82

هـ. هاجس النفس الأمارة ...............................................................83

و. فكرتا الندم و طلب الصفح ......................................................88

ز. فكرتا الشباب و الشيب ..............................................................94

ح. فكرة القناعة ..................................................................100

**الفصل الثالث** .......................................................................104

مصادر الزهد وخصائصه الفنية:

1. هواجس أخرى خالجت شعراء الزهد .............................105

أ.الغفلة ..................................................................................106

ب. الخوف من كثرة الذنوب ..............................................................107

ج. الدعوة للتزود بالتقوى أو الشكوى من قلة الزاد...............................109

**ملخص :**

تتضمن هذه المذكرة موضوع شعر الزهد المغربي من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن التاسع الهجري حاولت فيها توضيح تلك الهواجس والموضوعات التي خالجت أولئك الشعراء – الذين ولدوا أو سكنوا أو عبروا بلاد المغرب العربي لسبب أو لآخر و مكثوا مدة من الزمن في منطقة المغرب العربي- وعبروا عنها بنزعة زهدية .

يجد القارئ في هذه المذكرة تحليل بسيطا لهذه الشعار ذات النزعة الزهدية و يجد كذلك مدونة الأشعار التي استطعنا أن نجدها في هذه الفترة.

**الكلمات المفتاحية**: المغرب ، الزهد ، الشعر ، هواجس الشعراء.

**Résumé**

Cette note comprend le sujet de la poésie de l'ascèse du Maghreb de la conquête islamique à la fin du neuvième siècle AH.

Dans lequel elle a tenté de clarifier ces préoccupations et les thèmes qui ont enveloppé ces poètes - qui sont nés, ont vécu ou ont déménagé

Maghrébin pour une raison ou une autre et est resté pendant une période de temps dans la région du Maghreb - et a exprimé une ascèse tendance.

Le lecteur trouve dans cette note une analyse simple de ce slogan de l'ascèse et trouve aussi un code des poèmes qui Nous pourrions le trouver dans cette période.

**Les Mots clés** : Maghreb, l'ascèse, la poésie, les préoccupations des poètes.

**Abstract**

This note includes the subject of the poetry of the asceticism of the Maghreb from the Islamic conquest at the end of the ninth century AH.

In which she attempted to clarify these concerns and the themes that enveloped these poets - who were born, lived or moved

Maghreb for one reason or another and stayed for a period of time in the Maghreb region - and expressed a trend asceticism.

The reader finds in this note a simple analysis of this slogan of asceticism and also finds a code poems that .We could find in this period.

**Key words**: Maghreb, asceticism, poetry, the concerns of poets.Keywords